العِقْدُ الفَرِيدُ

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

بتحقيق

محمد سعيد العريان

الجزء السادس

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

[الطبعة الثانية]

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

١٣٧٢ — ١٩٥٣

كتاب الدرة الثانية

فى أيام العرب ووقائعهم

لابن عبد ربه

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رضى الله عنه :

قد مضى قولنا فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى أيام العرب ووقائعهم ؛ فإنها مآثر الجاهلية ، ومكارم الأخلاق السنية . ٥

قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم فى مجالسكم ؟

قال : كنا نتناشد الشعر ونتحدث بأخبار جاهليتنا .

وقال بعضهم : وددت أنّ لنا مع إسلامنا كرمَ أخلاق آبائنا فى الجاهلية : ١٠
ألا ترى أنّ عنترة الفوارس جاهلى لا دين له ، والحسَن بن هانئ إسلامى له دين ؛ فمنع عنترةَ كرمُه ما لم يمنع الحسنَ بن هانئ دينُه ، فقال عنترة فى ذلك :

وأغضُّ طرْفى إن بَدتْ لى جارتى ٭ حتى يُوارىَ جارتى مأواها

وقال الحسن بن هانئ مع إسلامه :

كان الشبابُ مَطيّةَ الجهلِ ٭ ومُحسِّنَ الضّحكاتِ والهزْلِ ١٥
والباعِثى والناسُ قد رقَدوا ٭ حتى أتيتُ حَليلةَ البعْلِ

حروب قيس في الجاهلية

يوم منعج : لغنيّ على عبس

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : يوم مَنْعِج يقال له يوم الرَّدْهة ، وفيه قتل شاس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي بمنعج على الردهة ، وذلك أنّ شاس ابن زهير أقبل من عند النعمان بن المنذر ، وكان قد حباه بحِباء جزيل ، وكان فيما حباه قطيفةٌ حمراء ذات هدبٍ ، وطيلسان وطيب ؛ فورد منعج وهو ماء لغنيّ ، فأناخ راحلته إلى جانب الردهة وعليها خباء لرياح بن الأسل الغنوى ، وجعل يغتسل وامرأةُ رياح تنظر إليه وهو مثل الثور الأبيض ؛ فانتزع له رياح سهماً فقتله ، ونحر ناقته فأكلها ، وضم متاعه ، وغيَّب أثرَه . وفُقد شاسُ بن زهير حتى وجدوا القطيفة الحمراء بسوق عكاظ ، قد سامتْها امرأةُ رياح بن الأسل ؛ فعلموا أنّ رياحا صاحب ثأرهم ، فغزتْ بنو عبس غنيّا قبل أن يطلبوا قَوَداً أو دية ، مع الُحصين بن زهير بن جذيمة ، والحصين بن أسيد بن جَذيمة ؛ فلما بلغ ذلك غنيًّا قالوا لرياح : آنْجُ لعلنا نصالحُ القوم على شيء فخرج رياح رديفاً لرجل من بنى كلاب ، لا يريان إلا أنهما قد خالفا وجهة القوم ، فمرّ صُرَدٌ على رءوسهما فصَرْصَر ، فقال : ماهذا ؟ فما راعهما إلا خيل بنى عبس ؛ فقال الكلابي لرياح : انحدر من خلفى والتمس نفقا فى الأرض ، فإنى شاغل القوم عنك . فانحدر رياحٌ عن عجزُ الجمل ، حتى أتى صَمدة فاحتفر تحتها مثلَ مكان الأرنب وولج فيه ، ومضى صاحبه ، فسألوه فحدّثهم ، وقال : هذه غنيٌ جامعة ، وقد استمكنتم منهم . فصدّقوه وخلوا سبيله ؛ فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه ، فقالوا : من الذى كان خلفك ؟ فقال : لا أكذب ، رياح بنُ الأسل ، وهو فى تلك الصّعدات . فقال الُحصينان لمن معهما : قد أمكننا الله من ثأرنا ، ولا نريد أن يَشركنا فيه أحد . فوقفوا عنهما ، ومضيا فجعلا يُريغان رياح بن الأسل

بالصعدات ، فقال لهما رياح : هذا غزالكما الذى تريغانه . فابتدراه ، فرمى أحدهما بسهم فأقصده ، وطعنه الآخر قبل أن يرميه فأخطأه ، ومرت به الفرس ، واستدبره رياح بسهم فقتله ، ثم نجا حتى أتى قومَه ، وانصرفوا خائبين موتورين ؛ وفى ذلك يقول الكميْتُ بنُ زيد الأسدى ، وكان له أمّان من غنىّ :

أنا ٱبنُ غنىٍّ والدِاىَ كِلاهما ٭ لأُمَّيْنِ منهم فى الفُروعِ وفى الأصلِ ٥
همُ ٱستودَعوا زُهراً بسيبَ بن سالمٍ ٭ وهمْ عدَلوا بين الُحصينَيْن بالنَّبْلِ
وهمْ قتَلوا شاسَ الملوكِ وأرغَموا ٭ أباه زُهيْرًا بالمذَلّةِ والثُّكْلِ

يوم النفراوات : لبنى عامر على بنى عبس

فيه قتل زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى ، وكانت هوازن تؤدّى إليه إتاوة ، وهى الخراج ، فأتته يوما عجوزٌ من بنى نصر بن معاوية بسَمن فى نِحْىٍ ١٠ وٱعتذرت إليه وشكتْ سنين تتابعت على الناس ؛ فذاقه فلم يرضَ طعمَه ، فدَعسها بقوس فى يده عُطُلٍ فى صدرها ، فاستلقت على قفاها منكشفة ، فتألّى خالد بن جعفر ، وقال : والله لأجعلن ذراعى فى عُنقه حتى يُقتل أو أُقتل ! وكان زهير عَدوسا مقداما لا يبالى ما أقدم عليه ؛ فاستقل ـ أى انفرد من قومه ـ بابنيه وبنى أخويه أسيد وزنباع ، يرعى الغيث فى عُشَراوات له وشَول فأتاه ١٥ الحارث بن الشّريد ، وكانت تماضر بنت الشريد تحت زهير ؛ فلما عرف الحارث مكانه أنذر بنى عامر بن صعصعة ، رهطَ خالد بن جعفر ؛ فركب منهم ستة فوارس ، فيهم خالد بن جعفر ، وصخر بن الشريد ، وحُندج بن البكّاء ، ومعاوية بن عُبادة بنَ عقيل ، فارس الهرّار ، ويقال لمعاوية : الأخيل ، وهو جد ليلى الأخيلية ، وثلاثة فوارس من سائر بنى عامر ؛ فقال أسيد لزهير : أعلمتْنى ٢٠ راعيةُ غنمى أنها رأتْ على رأس الثنية أشباحا ، ولا أحسبها إلا خيلَ بنى عامر ؛ فالحقْ بنا بقومنا . فقال زهير : «كلُّ أزَبّ نفور» وكان أسيد أشعر القفا . فذهبت مثلا ؛ فتحمل أسيد بمن معه ، وبقى زهير وابناه : ورقاء ، والحارث ؛

وصبّحتهم الفوارس ، فتمرّدتْ بزهير فرسُه القعساء ، ولحقه خالد ومعاوية الأخيل ، فطعن معاوية القعساء ، فقلبت زهيرا ، وخرّ خالد فوقه فرفع المغفر عن رأس زهير ، وقال : يا آل عامر ، أقبِلوا جميعا ! فأقبل معاوية فضرب زهيرا على مفرق رأسه ضربة بلغت الدّماغ ، وأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالدا وعليه درعان ، فلم يُغنِ شيئا ، وأجهض ابنا زهير القومَ عن زهير ، ٥ واحتملاه وقد أثخنته الضربة ، فمنعوه الماء ، فقال : أميتٌ أنا عطشا ! أسقونى الماء وإن كان فيه نفسى ! فسقوه فمات بعد ثلاثة أيام ؛ فقال فى ذلك ورقاء بن زهير :

رأيتُ زُهيْرًا تحتَ كَلْكَلِ خالدٍ * فأقبلْتُ أسعى كالعَجولِ أُبادِرُ

١٠ إلى بطَلَيْنِ ينْهضانِ كلاهما * يُريدانِ نَصْلَ السيفِ والسيفُ نادرُ

فشلَّتْ يَمينى يومَ أضربُ خالداً * ويَمنعه منى الحــديدُ المُظاهِر

فياليْتَ أنى قبــلَ أيامِ خالدٍ * ويومِ زُهيْرٍ لم تلِدْنى تماضر

لعمْرى لقد بشرْتِ بى إذ ولَدْتِنى * فماذا الذى رَدّت عليك البشائر

وقال خالد بن جعفر فى قتله زهيرا :

١٥ بل كيف تكْفرُنى هَوازنُ بعدَما * أعْتقْتهم فتوالَدوا أحْــرارا

وقتلتُ ربّهمُ زهيْرًا بعـد ما * جَدَعَ الأُنوفَ وأكثرَ الأوْتارا

وجَعلت مَهرَ بناتِهمْ ودِياتِهمْ * عَقْلَ الملوكِ هَجائناً وبِكارا

يوم بطن عاقل : لذبيان على عامر

فيه قتل خالد بن جعفر ببطن عاقل ، وذلك أنّ خالداً قدِمَ على الأسود ٢٠ ابن المنذر ، أخى النعمان بن المنذر ، ومع خالد عروة الرّحال بن عتبة بن جعفر ، فالتقى خالد بن جعفر والحارث بن ظالم بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، عند الأسود بن المنذر ، قال : فدعا لهما الأسود بتمر ، فجىء به على نِطَع فجُعِل بين أيديهم ، فجعل خالد يقول للحارث بن ظالم : يا حارث ، ألا تشكر يدى عندك أن قتلت عنك سيد قومك زهيراً وتركتك سيدَهم ؟ قال : سأجزيك

شكرَ ذلك ! فلما خرج الحرث قال الأسود لخالد : ما دعاك إلى أن تحترش بهذا الكلب وأنت ضيفى ؟ فقال له خالد إنما هو عبد من عبيدى ، لو وجدنى نائما ما أيقظنى ! وانصرف خالد إلى قبته ، فلامه عروةُ الرحال ، ثم ناما وقد أشرجت عليهما القبة ، ومع الحرث تبيع له من بنى محارب يقال له خراش ، فلما هدأت العيون أخرج الحرث ناقته وقال لخراش : كن لى بمكان كذا ، فإن طلع كوكب الصبح ولم آتك فانظر أى البلاد أحبُّ إليك فاعمِدْ لها . ثم انطلق الحرث حتى أتى قبة خالد ، فهتك شرَجها ثم ولجها ، وقال لعروة : اسكت فلا بأس عليك .

وزعم أبو عبيدة أنه لم يشعر به حتى أتى خالداً وهو نائم فقتله ، ونادى عروة عند ذلك : واجِوارَ الملك ! فأقبل إليه الناس ، وسمع الهتافَ الأسودُ ابن المنذر وعنده امرأة من بنى عامر ، يقال لها المتجردة ، فشقت جيبها وصرخت وفى ذلك يقول عبد الله بن جعدة :

شقّتْ عليكَ العامريّةُ جَيبَها ۞ أسفاً وما تبكِي عليكَ ضلالا
ياحارِ لو نبّهْتَه لوجَدْتَهُ ۞ لا طائشاً رَعِشاً ولا مِنْزالا
واغرَورَقتْ عيناىَ لمّا أُخبرت ۞ بالجعفرِىّ وأسبَلتْ إسْبالا
فلنَقْتُلنَّ بخالدٍ سَرواتِكُمْ ۞ ولنجْعَلنْ للظالمينَ نَكالا
فإذا رأيتمْ عارِضاً متهللا ۞ منّا فإنا لا نحاوِلُ مالا

يوم رحرحان : لعامر على تميم

قال : وهرب الحرث بن ظالم ونَبَتْ به البلاد فلجأ إلى معبد بن زرارة ـ وقد هلك زرارة ـ فأجاره ؟ فقالت بنو تميم لمعبد : مالكَ آويتَ هذا المشئوم الأنكد وأغريت بنا الأسوَد وخذلوه ، غير بنى دُماويّة ، وبنى عبد الله بن دارم ، وفى ذلك يقول لقيط بن زرارة :

فأمّا نَهشَلٌ وبنو نعيمٍ ۞ فلم يَصبِرلنا منهُمْ صَبُورُ

فإن تعمدْ طُهَيّةُ فى أُمورٍ * تجدْها ثَمَّ ليس لها نصير

ويربُوعٌ بأسفَلَ ذى طُلوحٍ * وعمرو لا تَحِلُّ ولا تسير

أُسيْدٌ والهجيمُ لها حُصاصٌ * وأقوامٌ من الجعْراءِ عُور

وأسلَمْنا قبائلَ من تميمٍ * لها عَدَدٌ إذا حُسِبوا كثير

٥ وأمّا الآثمـانِ بنو عَدِيٍّ * وتَيْمٍ إذ تُدُبِّرَتِ الأمُور

فلا تنعَم بهم فِتْيانُ حرْبٍ * إذا ما الحىُّ صبّحَهُمْ نذير

إذا ذهَبَتْ رماحُهُمُ بزيْدٍ * فإنّ رماح تيم لا تَضيرُ

قال : وبلغ الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مكان الحارث بن ظالم عند معبد فأغزا معبداً ، فالتقوا برحرحان ، فانهزمت بنو تميم ، وأُسر معبد بن زرارة ، ١٠ أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب فوفد لقيط بن زرارة عليهم فى فدائه ، فقال لهما : لكما عندى مائتا بعير . فقالا : يا أبا نهشل ، أنت سيد الناس وأخوك معبد سيد مضر ، فلا نقبل فيه إلا دية ملِك ! فأبى أن يزيدهم ، وقال لهم : إن أبانا أوصانا أن لا نزيد أحداً فى ديته على مائتى بعير . فقال معبد للقيط : لا تدَعْنى يالقيط ! فوالله لئن تركتنى لا ترانى بعدها أبداً ! قال : صبراً أبا القعقاع ، ١٥ فأين وَصاةُ أبينا أن لا تُؤكِلوا العربَ أنفسَكم ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم ، فتذوّب بكم ذُؤْبان العرب ؟

ورحل لقيط عن القوم ، قال : فمنعوا معبد الماء وضارُّوه حتى مات هزالا .

وقيل : أبى معبد أن يَطعَم شيئا أو يشرب حتى مات هزالا ؛ فى ذلك يقول عامر بن الطفيل :

٢٠ قضينا الحزنَ من عبْس وكانتْ * منيّةُ معبَدٍ فينـــا هُزالا

وقال جرير :

وليلةَ وادِى رحرحانَ فرَرْتمُ * فِراراً ولم تَلْوُوا زفيفَ النّعائِمِ

تركتم أبا القعْقاعِ فى الغلِّ مُصفَداً * وأىّ أخٍ لم تُسْلِموا فى الأداهِمِ

وقال :

وبِرَحْرَحانَ غداةَ كُبِّل معبدٌ ❊ نكحوا بناتِكم بغيرِ مُهور

يوم شعب جبلة : لعامر وعبس على ذبيان وتميم

قال أبو عبيدة : يوم شعب جَبلة أعظم أيام العرب ؛ وذلك أنه لما انقضت وقعة رحرحان، جمع لقيط بن زرارة لبني عامر ، وألب عليهم ، وبين أيام رحرحان ويوم جبلة سنة كاملة .

وكان يوم شعب جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت بنو عبس يومئذ في بني عامر حلفاء لهم ، فاستعدى لقيط بني ذبيان لعداوتهم لبني عبس من أجل حرب داحس ، فأجابته غطفان كلها غير بني بدر ، وتجمعت لهم تميم كلها غير بني سعد ، وخرجت معه بنو أسد لحلف كان بينهم وبين غطفان ، حتى أتى لقيطٌ الجونَ الكلبي ، وهو ملك هَجَر ، وكان يجبي من بها من العرب ، فقال له : هل لك في قوم عادين قد ملأوا الأرض نعما وشاء فترسل معي ابنيك ، فما أصبنا من مال وسبي فلهما ، وما أصبنا من دم فلي؟ فأجابه الجون إلى ذلك ، وجعل له موعداً رأس الحول ، ثم أتى لقيطٌ النعمان بن المنذر فاستنجده وأطعمه في الغنائم ، فأجابه ؛ وكان لقيط وجيها عند الملوك؛ فلما كان على قرن الحول من يوم رحرحان ، انهلّت الجيوش إلى لقيط ، وأقبل سنان ابن أبي حارثة المري في غطفان ، وهو والد هرم بن سنان الجواد ؛ وجاءت بنو أسد ، وأرسل الجون ابنيه معاوية وعمرا ، وأرسل النعمان أخاه لأمه حسان ابن وبرة الكلبي ؛ فلما توافوا خرجوا إلى بني عامر وقد أنذروا بهم وتأهبوا لهم ، فقال الأحوص بن جعفر ، وهو يومئذ رحا هوازن ، لقيس بن زهير : ماترى ، فإنك تزعم أنه لم يعرض لك أمران إلا وجدت في أحدهما الفرج ؟ فقال قيس ابن زهير : الرأى أن نرتحل بالعيال والأموال حتى ندخل شعب جبلة ، فنقاتل القوم دونها من وجه واحد ؛ فإنهم داخلون عليك الشعب ، وإن لقيطا رجل فيه

طيش ، فسيقتحم عليك الجبل ؛ فأرى لك أن تأمر بالإبل فلا ترعى ولا تسق وتعقل ، ثم تجعل الذرارى وراء ظهورنا ، وتأمر الرجال فتأخذ بأذناب الإبل ، فإذا دخلوا علينا الشعبَ حلّت الرجالةُ عُقُل الإبل ثم لزمت أذنابَها ، فإنها تنحدر عليهم وتحن إلى مرعاها ووِردها ولا يردّ وجوهَها شيء ، وتخرج الفرسان فى أثر الرجالة الذين خلف الإبل ، فإنها تحطم مالقيتْ ، وتقبل عليهم الخيل وقد حطموا من عل !

قال الأحوص : نِعم مارأيت ! فأخذ برأيه ، ومع بنى عامر يومئذ بنو عنس وغنىّ فى بنى كلاب ، وباهلة فى بنى كعب ، والأبناء أبناء صعصعة ، وكان رهط المعقر البارقى يومئذ فى بنى نمير بن عامر ، وكانت قبائل بجيلة كلها فيهم غير قَسر .

قال أبو عبيدة : وأقبل لقيط والملوك ومن معهم ، فوجدوا بنى عامر قد دخلوا شِعب جبلة ، فنزلوا على فم الشّعب ، فقال لهم رجل من بنى أسد : خذوا عليهم فم الشعب حتى يعطشوا ويخرجوا ، فوالله ليتساقطُنّ عليكم تساقط البعْر من است البعير !

فأتوا حتى دخلوا الشعب عليهم وقد عقلوا الإبل وعطشوها ثلاثة أخماس ، وذلك اثنتا عشرة ليلة ، ولم تطعم شيئا ؛ فلما دخلوا حلوا عُقلها ، فأقبلت تهوى ، فسمع القوم دويّها فى الشعب ، فظنوا أن الشعب قد هدم عليهم ، والرجالة فى أثرها آخذين بأذنابها ؛ فدقّت كل مالقيت ، وفيها بعير أعور يتلوه غلام أعسر آخذ بذنبه وهو يرتجز ويقول :

أنا الغلامُ الأعسَرْ ٭ الخيرُ فىّ والشرّ ٭ والشرُّ فىّ أكثرْ

فانهزموا لا يلوون على أحد ؛ وقتل لقيط بن زرارة ، وأُسر حاجب بن زرارة أسره ذو الرُّقيبة ؛ وأُسر سنان بن أبى حارثة المرى أسره عروة الرحال ، فجز ناصيته وأطلقه فلم تشنه ، وأسر عمرو بن عمرو بن عُدَس ، أسره قيس بن المنتفق فجزّ ناصيته وخلاه طمعا فى المكافأة ، فلم يفعل ؛ وقتل معاوية بن الجون ، ومنقذ

ابن طريف الأسدى ، ومالك بن ربعى بن جندل بن نهشل ؛ فقال جرير :

كأنكَ لم تشهَدْ لقيطاً وحاجِباً * وعمْرَو بنَ عمرٍو إذ دعايالَ دارِمِ

ويومَ الصَّفا كنتمْ عبيداً لعامرٍ * وبالحزْنِ أصبحتُم عبيدَ اللهازِمِ

يعنى بالحزن : يوم الوَقيط .

وقال جرير أيضا فى بنى دارم : ٥

ويومَ الشِّعبِ قد تَركوا لقيطاً * كأنَّ عليه حُلةَ أرجُوانِ

وكُبِّل حاجبٌ بشِمامَ حولاً * فحكَّمَ ذا الرَّقيبَةِ وهْو عانِ

وقالت دُختَنوس بنت لقيط ترثى لقيطا :

فَرّتْ بنو أسدٍ وخَـ * ـرَّ الطيْرُ عن أربابِها

عن خيرِ خُنْدِفَ كلِّها * مِن كهلِها وشبابِها ١٠

وأتمِّها حَسَباً إذا * نُصّتْ إلى أحسابِها

وقال المعقر البارقى :

أمِنْ آلِ شعثاءَ الحمولُ البواكِرُ * مع الصُّبحِ أمْ زالتْ قُبيلُ الأباعِرُ

وحلَّتْ سُليمى فى هِضابٍ وأيْكةٍ * فليس عليها يومَ ذلكَ قادرُ

وألقتْ عصاها واستقرّت بها النَّوى * كما قرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ ١٥

وصبَّحها أملاكُها بكتيبةٍ * عليها إذا أمست من اللهِ ناظِرُ

معاويةُ بن الجوْنِ ذُبيانُ حولهُ * وحسّانُ فى جمعِ الرِّبابِ مُكاثِرُ

وقد زحفتْ دُودانُ تبْغى لثأرِها * وجاشتْ تميمٌ كالفُحولِ تخاطِرُ

وقد جمعوا جمْعاً كأنّ زُهاءهُ * جَرادٌ هَفا فى هَبوةٍ مُتطايرُ

فمروا بأطنابِ البُيوتِ فردَّهم * رجالٌ بأطنابِ البيوتِ مساعِرُ ٢٠

فباتوا لنا ضَيفاً وبِتْنا بِنعْمَةٍ * لنا مُسْمِعاتٌ بالدُّفوفِ وزامِرُ

فلم نُقْرِهم شيئاً ولكن قِراهُمُ * صَبوحٌ لدَيْنا مَطلعَ الشّمسِ حازرُ

وصبّحهم عند الشروق كتائبٌ * كأركانِ سَلْمى سَيْرُها مُتواتِرُ
كأنّ نعامَ الدَّوِّ باضَ عليهم * وأعيُنُهم تحت الحبيك خوازرُ
منَ الضاربين الهامَ يمشون مقدَما * إذا غُصَّ بالرِّيق القليل الحناجرُ
أظنّ سَراة القوم أن لن يُقاتلوا * إذا دعيَتْ بالسفح عبْسٌ وعامرُ
٥ ضَرَبنا حَبيك البيض في غمْرِ لُجّةٍ * فلم ينجُ في الناجين منهم مُفاخرُ
هَوَى زهْدَمٌ تحت العجاج لعامرٍ * كما انقضّ بازٍ أقتمُ الرِّيش كاسرُ
يُفرِّج عنا كلَّ ثَغْرٍ نخافه * مِسَحٌّ كسِرْحان القصيمةِ ضامرُ
وكل طموح في العِنان كأنها * إذا اغتمَسَت في الماء فتخاءُ كاسرُ
لها ناهضٌ في الوكْر قد مَهدَت له * كما مَهدَت للبَعْل حسناءُ عاقرُ
١٠ تَخافُ نساءٌ يبْتززْن حليلَها * مُحرَّبةٌ قد أحرَدَتْها الضَّرائرُ

استعار هذا البيت « فألقت عصاها » من المعقر البارقي ، إذ كان مثلا في الناس — راشد بن عبد ربه السُّلَمى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل أبا سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب ، ووجه راشد ابن عبد ربه السلمى أميراً على المظالم والقضاء ؛ فقال راشد بن عبد ربه :

١٥ صحَا القلبُ عن سلْمى وأقْصر شأوُه * وردّتْ عليه ما تبتغيه تُماضرُ
وحلّمه شيْبُ القَذَال عن الصِّبا * وللشيْبُ عن بعض الغوايَةِ زاجرُ
فأقصَرَ جهلى اليومَ وارتدَّ باطلى * عن اللهو لمَّا ابيضَّ منى الغدائرُ
على أنه قد هاجَه بعد صحوَةٍ * بمعرض ذى الآجام عِيسٌ بواكِرُ
ولما دنتْ من جانب الغُوط أخصبتْ * وحلّت فلاقاها سُلَيْمٌ وعامرُ
٢٠ وخبّرها الرُّكبانُ أن ليس بينَها * وبين قُرى بُصْرَى ونَجْران كافرُ
فألقت عصاها واستقرّت بها النّوى * كما قرّ عيْناً بالإياب المُسافرُ

فاستعار هذا البيت الآخِر من المعقر البارقى ، ولا أحسبه استجاز ذلك إلا لاستعمال العامة له وتمثيلهم به .

يوم مقتل الحارث بن ظالم بالخربة

قال أبو عبيدة : لما قتل الحارثُ بن ظالم خالدَ بن جعفر الكلابى ، أتى صديقا له من كندة فالتف عليه ، فطلبه الملك فخفى ذكرُه حتى شخص من عند الكندى ، وأضمرته البلاد حتى استجار بزياد أحد بنى عجل بن لجيم ، فقام بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا لعجل : أخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم ؛ فإنه لا طاقة لنا بالشهباء ودوسر ـ وهما كتيبتان للأسود بن المنذر ـ ولا بمحاربة الملك فأبت ذلك عليهم عجل ، فلما رأى ذلك الحارث بن ظالم كره أن تقع بينهم فتنة بسببه ، فارتحل من بنى عجل إلى جبلَى طيئ ، فأجاروه ، فقال فى ذلك :

لَعَمْرى لقد حَلّت بى اليومَ ناقتى * على ناصرٍ من طيّئٍ غير خاذلِ

فأصبحتُ جاراً للمَجَرّة فيهم * على باذخٍ يعلو يدَ المُتطاول

إذا أجا لفّتْ علىّ شِعابها * وسَلْمى فأنى أنتم مِن تناوُلى

فمكث عندهم حينا ، ثم إن الأسود بن المنذر لما أعجزه أمره أرسل إلى جارات كن للحارث بن ظالم ، فاستاقهن وأموالهن ، فبلغ ذلك الحارث بن ظالم ، فخرج من الحين فاندس الحارث بن ظالم فى الناس حتى علم مكان جاراته ومرعى إبلهن ، فأتاهن فاستنقذهن واستاق إبلهن ، فألحقهن بقومهن ؛ واندس فى بلاد غطفان ، حتى أتى سنان بن أبى حارثة المُرى ـ وهو أبو هرم الذى كان يمدحه زهير ـ وكان الأسود بن المنذر قد استرضع ابنه شرحبيل عند سلمى امرأة سنان وهى من بنى غنم بن دودان بن أسد ، فكانت لا تأمن على ابن الملك أحدا ؛ فاستعار الحارث بن ظالم سرج سنان وهو فى ناحية الشربة ، لا يعلم سنانٌ ما يريد ، وأتى بالسرج امرأة سنان وقال لها : يقول لك بعلك آبعثى ابنك مع الحارث ، فإنى أريد أن أستأمن له الملك ؛ وهذا سرجه آية ذلك . قال : فزيّنته سلمى ورفعته إليه فأتى به ناحية من الشربة فقتله ؛ وقال فى ذلك :

أخُصْىَ حمار بات يَكدِم نجمة * أتؤكل جاراتى وجارُك سالم

علوتُ بذِى الحيّات مفرِقَ رأسِه ٭ ولا يركبُ المكروهَ إلا الأكارمُ
فتكتُ به كما فتكْت بخالدٍ ٭ وكان سلاحى تحتويهِ الجماجمُ
بدأتُ بذاك وآثنيْت بهــذه ٭ وثالثة تبْيضُّ منهــا المَقادِمِ

قال : وهرب الحارث من فوره ذلك ، وهرب سنان بن أبى حارثة ، فلما
٥ بلغ الأسود قتل ابنه شرحبيل ، غزا بنى ذبيان ، فقتل وسبى وأخذ الأموال ،
وأغار على بنى دودان رهط سلمى التى كان شرحبيل فى حجرها ؛ فقتلهم وسباهم
فنشط لذلك ؛ قال : فوجد بعد ذلك نعلى شرحبيل فى ناحية الشربة عند بنى محارب
ابن خصفة ، فغزاهم الملك ، ثم أسرهم ، ثم أحمى الصفا ، وقال : إنى أحذيكم نعالا
فأمشاهم على ذلك الصفا ، فتساقطت أقدامهم ، ثم إن سيار بن عمرو بن جابر
١٠ الفزارى ، احتمل للأسود دية ابنه ألف بعير ، وهى دية الملوك ، ورهنه بها قوسه
فوفاه بها ، فقال فى ذلك :

ونحن رهَنّا القوْسَ ثُمّتَ فُودِيَتْ ٭ بألف على ظهر الفزارِى أقْرعا
بعشرِ مئين للمــلوك وفَى بهـا ٭ ليُحمد سيّار بن عمرو فأسرعا

فكان هذا قبل قوس حاجب ، فقال فى ذلك أيضاً :

١٥ هل وجدتم حاملًا كحاملى ٭ إذا رهَن القوْس بألفٍ كاملِ
بدِيَةِ ابن المَلِك الحُلاحِلِ ٭ فآفتكّها من قبل عامٍ قابل
سيّارٌ المُوفِى بها ذو النائل

وهرب الحارث فلحق بمعبد بن زرارة فاستجار به فأجاره ، وكان من سبب
وقعة رحرحان التى تقدّم ذكرها ؛ ثم هرب الحارث حتى لحق بمكة وقريش ؛ لأنه
٢٠ يقال إن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، إنمـا هو مرة بن عوف بن لؤى
ابن غالب ؛ فتوسل إليهم بهذه القرابة ، وقال فى ذلك :

إذا فارَقْتُ ثعلبةَ بن سعدٍ ٭ وإخوتَهم نُسِبتُ إلى لؤىّ
إلى نسب كريم غير دَغْل ٭ وحىّ من أكارِم كلّ حىّ

فإنْ يكُ منهم أصلى فمنهم ٭ قرابين الإلهِ بنو قُصىّ

فقالوا : هذه رحم كرْشاء إذا استغنيتم عنها لن يَبَرَّكم . قال : فشخص الحارث عنهم غضبان . وقال فى ذلك :

ألا لستمُ منا ولا نحن منكم ٭ برئنا إليكم من لؤىِّ بن غالب

غدوْنا على نَشزِ الحجاز وأنتمُ ٭ بمنْشعِبِ البطحاءِ بين الأخاشِب ٥

وتوجه الحارث بن ظالم إلى الشام ، فلحق بيزيد بن عمرو الغسانى فأجاره وأكرمه ، وكان ليزيد ناقة مُحماة ، فى عنقها مدية وزناد وصرّة ملح ؛ وإنما كان يمتحن بها رعيته لينظر من يجترئ عليه ، فوحمت امرأة الحارث فاشتهت شحما فى وحمها ؛ فانطلق الحارث إلى ناقة الملك فانتحرها ، وأتاها بشحمها ، وفقدت الناقة ، فأرسل الملك إلى الخِمْس التغلبي وكان كاهنا ، فسأله عن الناقة ؛ فأخبره أن الحارث صاحبها ، فهمّ الملك به ، ثم تذمّم من ذلك ؛ وأوجس الحارث فى نفسه شرا فأتى الخِمس التغلبي فقتله . فلما فعل ذلك دعا به الملك فأمر بقتله ، فقال : أيها الملك إنك قد أجرْتنى فلا تغدِرَنّ بى ! فقال الملك : لا ضَيْر ، إن غدرت بك مرة فقد غدرت بى مراراً ! وأمر ابن الخِمس فقتله ، وأخذ ابن الخمس سيف الحارث فأتى به عكاظ فى الأشهر الحُرُم ، فأراه قيس بن زهير العبسى ، فضربه قيس فقتله ، وقال يرثى الحارث بن ظالم : ١٠ ١٥

وما قصرَت من حاضِنٍ ستْرَ بيتها ٭ أبرّ وأوْفى منك حارِ بن ظالم

أعزّ وأحمى عنـــد جارٍ وذمّة ٭ وأضربُ فى كاب مِن النقْع قاتم

حرب داحس والغبراء : وهى من حروب قيس

قال أبو عبيدة : حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ابنى بغيض بن ريث بن غطفان ؛ وكان السبب الذى هاجها أن قيس بن زهير ، وحَمَل بن بدر ، تراهنا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبْق ، وكان داحس فحلا لقيس ابن زهير ، والغبراء حِجْرا لحمل بن بدر ، وتواضعا الرهان على مائة بعير ، ٢٠

وجعلا منتهى الغاية مائة غلوة ، والإضمار أربعين ليلة ؛ ثم قادوهما إلى رأس الميدان بعد أن أضمروهما أربعين ليلة ، وفى طرف الغاية شعاب كثيرة ، فأكمن حَمَلُ بن بدر فى تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين ، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردُّوا وجهه عن الغاية .

٥ قال : فأرسلوهما فأحضرا ، فلما أحضرا خرجت الأنثى من الفحل ، فقال حمل بن بدر : سبقتك ياقيس ! فقال قيس : رويداً يعْدُوَانِ الجدَدَ إلى الوعْث وترشح أعطاف الفحل . قال : فلما أوغلا فى الجدَد وخرجا إلى الوعث ، برز داحس عن الغبراء ؛ فقال قيس : جرى المذكيات غِلاء . فذهبت مثلا ، فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفِتية ، وثبوا فى وجه داحس فردُّوه عن الغاية ؛ فنى ذلك يقول

١٠ قيس بن زهير :

وما لاقَيْتُ من حَمَلِ بن بدرٍ * وإخوتِه على ذاتِ الإصادِ

هُمُ فخَرُوا علىَّ بغيْرِ فخْرٍ * ورَدُّوا دونَ غايتِه جَوادِى

وثارت الحرب بين عبس وذبيان ابنى بغيض ، فبقيت أربعين سنة لم تُنْتَجْ لهم ناقةٌ ولا فرسٌ ، لاشتغالهم بالحرب ، فبعث حذيفةُ بن بدر ابنه مالكا إلى

١٥ قيس بن زهير يطلب منه حق السبق ، فقال قيس : كلا لامطلتك به . ثم أخذ الرمح فطعنه به فدق صلبه ، ورجعت فرسه عارية ؛ فاجتمع الناس فاحتملوا دية مالك مائة عُشراء — وزعموا أن الربيع بن زياد العبسى حملها وحده — فقبضها حذيفة ، وسكن الناس .

ثم إن مالك بن زهير نزل اللّقاطة من أرض الشربة ، فأخبر حُذيفة بمكانه ،

٢٠ فعدا عليه فقتله . فنى ذلك يقول عنترةُ الفوارس :

فلِلهِ عيْنا مَنْ رأى مثلَ مالِكٍ * عقيرَةَ قوْمٍ أن جَرَى فرسانِ

فليْتَهما لم يَجْرِيا قيدَ غَلْوَةٍ * وليْتَهما لم يُرسَلا لِرِهانِ

فقالت بنو عبس : مالك بن زهير بمالك بن حذيفة ، ورُدُّوا علينا مالنا . فأبى حذيفة أن يرد شيئاً ؛ وكان لربيع بن زياد مجاوراً لبنى فزارة ، ولم يكن فى

العرب مِثله ومثلُ إخوته ، وكان يقال لهم : الكَمَلَة ؛ وكان مشاحناً لقيس بن زهير من سبب درع لقيس غلبه عليها الربيع بن زياد ؛ فاطرد قيس لبوناً لبنى زياد فأتى بها مكة ، فعاوَض بها عبد الله بن جدعان بسلاح ؛ وفى ذلك يقول قيس بن زهير :

أَلم يبلغك والأنباءُ تنمِى * بمـا لاقَتْ لبونُ بنِى زِيادِ
ومَحْبِسها على القُرَشِىِّ تُشْرَى * بأَدراعٍ وأَسـيافٍ حِداد
وكنتُ إذا بُليتُ بخصْمِ سوءٍ * دلَفْتُ له بداهِيَـةٍ نآدِ

ولما قُتل مالك بن زهير ، قامت بنو فزارة يسألون ويقولون : ما فعل حمارُكم ؟ قالوا : صدناه ! فقال الربيع : ماهذا الوحى ؟ قالوا : قتلْنا مالك بنَ زهير . قال : بئس مافعلتم بقومكم ؛ قبلتم الدية ثم رضيتم بها وغدرتم ! قالوا : لولا أنك جارُنا لقتلناك ! وكانت خُفرة الجار ثلاثا ؛ فقالوا له : بعد ثلاث ليال اُخرج عنا . فخرج واتبعوه ، فلم يلحقوه حتى لحق بقومه ، وأتاه قيس بن زهير فعاقده ؛ وفى ذلك يقول الربيع :

فإنْ تكُ حربُكم أمستْ عَواناً * فإنى لم أكُن ممن جناها
ولكنْ ولْدُ سوْدَةَ أرّثوها * وحَشُّوا نارَها لِمَن اصطلاها
فإنى غيْرُ خاذِلِكم ولكِنْ * سأَسْعَى الآن إذ بلغتْ مَداها

ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان إلى بنى فزارة وذبيان ؛ ورئيسهم الربيع بن زياد ، ورئيس بنى فزارة حذيفة بن بدر .

يوم المريقب : لبنى عبس على فزارة

فالتقوا بذى المريقب من أرض الشَّربّة فاقتتلوا ، فكانت الشوكة فى بنى فزارة ؛ قُتل منهم عوفُ بن زيد بن عمرو بن أبى الحصين ، أحد بنى عدى بن فزارة ؛ وضمضمُ أبو الحصين المرّى ، قتله عنترةُ الفوارس ؛ ونفرٌ كثير ممن لا يُعرف أسماؤهم ؛ فبلغ عنترةَ أن حصيناً وهرما ابنىْ ضمضم يشتمانه ويوعدانه ، فقال فى

قصيدته التى أولها :

هلْ غادرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ * أمْ هل عرفتَ الدارَ بعدَ توَهُّمِ
يا دارَ عبْلَةَ بالجِواءِ تكلّمى * وعِمِى صباحاً دارَ عبلةَ واَسلَمى
ولقد خشيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ * للحَرْبِ دائرةٌ على ابنَىْ ضمضم
الشاتمَىْ عِرْضِى ولم أشتُمْهُما * والنَّاذِرَيْنِ إذا لم ألقَهُما دمِى
إنْ يفعَلا فلقد تركتُ أباهُما * جزَرَ السِّباع وكلِّ نسْرٍ قشعَمِ
لمَّا رآنى قد نزلتُ أُريدُه * أبْدى نواجِذهُ لغيْر تبسُّمِ

وفى هذه الوقعة يقول عنترة الفوارس :

فلتعلمنّ إذ التقتْ فُرْسانُنا * يومَ المُرَيْقِبِ أنّ ظنَّكَ أحْمَقُ

يوم ذى حُسًى : لذبيان على عبس

ثم إن ذبيان تجمعت لِمَا أصابت منهم يوم المريقب فزارة بنُ ذبيان ومرةُ ابن عوف بن سعد بن ذبيان وأحلافُهم ، فنزلوا فتوافوا بذى حُسًى — وهو وادى الصفا من أرض الشربة وبينها وبين قَطَن ثلاث ليال ، وبينها وبين اليَعمريّة ليلة . فهربت بنو عبس ، وخافت أن لاتقوَم بجماعة بنى ذبيان ، واتّبعوهم حتى لحقوهم ، فقالوا : التفانى أو تُقيدونا . فأشار قيس بن زهير على الربيع بن زياد أن لايناجزوهم ، وأن يعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا فى أمرهم ؛ فتراضوا أن تكون رُهُنهم عند سبيع بن عمرو ، أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ؛ فدفعوا إليه ثمانية من الصبيان وانصرفوا وتكافّ الناس ، وكان رأىُ الربيع مناجزَتَهم فصرفه قيس عن ذلك ، فقال الربيع :

أقولُ ولم أمْلِكْ لقَيْسٍ نصيحَةً * أرَى ماتَرى واللهُ بالغيْبِ أعلَمُ
أتُبقى على ذُبْيانَ فى قتْلِ مالِكٍ * فقد حشَّ جانِى الحربِ ناراً تضَرَّمُ

فمكث رهنهم عند سبيع بن عمرو حتى حضرته الوفاة ، فقال لابنه مالك بن سبيع : إن عندك مكرُمةً لا تبيد إن أنت حفظتَ هؤلاء الأغَيْلمة ؛ فكأنى بك

لو مِتُّ أتاك خالُك حذيفة بن بدر فعصر لك عينيه وقال : هلك سيدُنا ! ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم ، فلا تَشْرُفُ بعدها أبداً ، فإن خفت ذلك فاذهب بهم إلى قومهم . فلما هلك سبيع أطاف حذيفة بابنه مالك وخدعه حتى دفعهم إليه ، فأتى بهم اليعمرية ، فجعل يُبرِز كل يوم غلاماً فينصبه غرضا ، ويقول : ناد أباك ! فينادى أباه حتى يقتله . ٥

يوم اليعمرية : لعبس على ذبيان

فلما بلغ ذلك من فعل حذيفة بنى عبس أتوهم باليعمريّة ، فلقوهم بالحرّة — حَرة اليعمرية — فقتلوا منهم اثنى عشر رجلا ؛ منهم مالكُ بن سبيع الذى رمَى بالغِلمة إلى حُذيفة ، وأخوه يزيد بن سبيع ، وعامر بن لوذان ، والحرث بن زيد ، وهرم بن ضمضم أخو حصين . ويقال ليوم اليعمرية : يوم نفر ؛ لأن بينهما أقل من نصف يوم . ١٠

يوم الهباءة : لعبس على ذبيان

ثم اجتمعوا فالتقوا فى يوم قائظ إلى جنب جفر الهَباءة ، واقتتلوا من بُكرةٍ حتى انتصف النهار ، وحجز الحَرُّ بينهم ؛ وكان حذيفة بن بدر يحرق فخذيه الركض ، فقال قيس بن زهير : يا بنى عبس ، إن حذيفة غداً إذا احتدمت الوديقة مستنقِعٌ فى جفرْ الهباءة فعليكم بها . فخرجوا حتى وقعوا على أثر صارف ، فرس حذيفة ، والحنفاء ، فرس حمل بن بدر ؛ فقال قيس بن زهير : هذا أثر الحنفاء وصارف ، فقفوا أثرهما حتى توافوا مع الظهيرة على الهباءة . فبصُرَ بهم حمل بن بدر ، فقال لهم : مَن أبغضُ الناس إليكم أن يقف على رءوسكم ؟ قالوا : قيس بن زهير ، والربيع بن زياد ، فقال : هذا قيس بن زهير قد أتاكم فلم ينقض كلامه حتى وقف قيس وأصحابه على جفر الهباءة ، وقيس يقول : لبيكم لبيكم ! يعنى إجابة الصّبية الذين كانوا ينادونهم إذ يُقتلون ! وفى الجفر حذيفة وحمل ابنا بدر ومالك ابن بدر ، وورقاء بن هلال من بنى ثعلبة بن سعد ، وحَنَش بن وهب ؛ فوقف ١٥ ٢٠

عليهم شداد بن معاوية العبسي ، وهو فارس جروة ، وجروة فرسه ، ولها يقول :

وَمَن يَكُ سائلا عنى فإنى ٭ وجرْوةَ كالشَّجا تَحت الوَرِيدِ
أُقوِّتُها بقُوتى إنْ شَتَوْنا ٭ وأَلْحَفُها رِدائى فى الجَليد

فحال بينهم وبين خيلهم ، ثم توافت فرسان بنى عبس ، فقال حمل :
٥ ناشدتك اللهَ والرحِم ياقيس ! فقال : لبيكم لبيكم ! فعرف حذيفة أنه لن يدعهم ، فانتهر حملا وقال : إياك والمأثورَ من الكلام ! فذهبتْ مثلا ، وقال لقيس : لئن قتلتنى لا تصلح غطفان بعدها ! فقال قيس : أبعدها الله ولا أصلحها ! وجاءه قِرواشٌ بمِعْبلةٍ ففصم صلبه ، وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الأسلع ، فضرباه بسيفيهما حتى ذَفَّفا عليه ، وقتل الربيعُ بن زياد حملَ بدر ،
١٠ فقال قيس بن زهير يرثيه :

تعلَّم أنّ خيرَ الناس ميْتٌ ٭ على جفْــر الهباءةِ مايَرِيمُ
ولولا ظُلمه ما زلتُ أبكى ٭ عليه الدهرَ ماطَلع النُّجومُ
ولـكنّ الفتى حَمْلَ بنَ بدر ٭ بغى والبغْىُ مَرْتَعُه وخِيم
أظنّ الحلمَ دلَّ علىَّ قومى ٭ وقد يُستضعَفُ الرجلُ الحليم
١٥ ومارَسْتُ الرجالَ ومارَسونى ٭ فمُعــوَجّ علىَّ ومُســتقيم

ومثَّلوا بحذيفة بن بدر كما مثّل هو بالغلمة ؛ فقطعوا مذاكيره وجعلوها فى فيه ، وجعلوا لسانه فى استه ؛ وفيه يقول قائلهم :

فإنّ قتيلا بالهباءةِ فى أَستِهِ ٭ صحيفتُه إنْ عاد للظُّلم ظالمُ
متى تقرءوها تَهدِكم عن ضلالِكم ٭ وتُعرَفْ إذا مافضّ عنها الخواتم

٢٠ وقال فى ذلك عقيل بن عُلَّفة المرّى :

ويُوقِدُ عوفٌ للعشيرةِ نارَه ٭ فهلّا على جفْرِ الهباءة أوْقَدا
فإنّ على جفْر الهباءة هامَةً ٭ تُنادِى بنى بَدْرٍ وعاراً مخلَّدا
وإنّ أبا وَرْدٍ حُذيفةَ مُثْفَرٌ ٭ بأيْرٍ على جفْر الهباءة أسْوَدا

وقال الربيع بن قعنب :

خَلَقَ المخازِى غيرَ أنّ بذى حُسَى ۝ لبَنِى فزارةَ خِـــزْيَة لا تَخْلُقُ

تِبْيانُ ذلك أنّ فى آست أبيهمُ ۝ شَنْعاء من صُحُفِ المخازِى تَبْرُق

وقال عمرو بن الأسلع :

إن السماء وإن الأرضَ شاهدةٌ ۝ واللهُ يشهدُ والإنسان والبلدُ ٥

أنِّى جَزيتُ بنى بدرٍ بسعيِهمُ ۝ على الهباءةِ قتْلا مالَه قَوَدُ

لمَّا الْتقيْنا على أرْجاءِ جُمّتِها ۝ والمَشرَفيَّة فى أيمانِنا تَقِـد

عَلوْتُه بحُسـام ثم قلتُ له ۝ خذْها إليك فأنت السيدُ الصمد

فلما أصيب أهل الهباءة واستعظمت غطفانُ قتلَ حذيفة ، تجمعوا ، وعرفت بنو عبس أن ليس لهم مقام بأرض غطفان ، فخرجوا إلى اليمامة فنزلوا بأخوالهم ١٠ بنى حنيفة ، ثم رحلوا عنهم فنزلوا ببنى سعد بن زيد بن مناة .

يوم الفروق

ثم إن بنى سعد غدروا بجوارهم فأتوا معاوية بن الجون فاستجاشوه عليهم وأرادوا أكلهم ، فبلغ ذلك بنى عبس ، ففرّوا ليلا ، وقدّموا ظعنهم ، ووقف فرسانهم بموضع يقال له الفَروق ، وأغارت بنو سعد ومن معهم من جنود ١٥ الملك على محلتهم ، فلم يجدوا إلا مواقد النيران ، فأتبعوهم حتى أتوا الفروق ، فإذا بالخيل والفرسان وقد توارت الظعن عنهم ، فانصرفوا عنهم ؛ ومضى بنو عبس فنزلوا ببنى ضبة فأقاموا فيهم ، وكان بنو جَذيمة من بنى عبس يسمَّوْن بنى رواحة ، وبنى بدر بن فزارة يسمون بنى سودة ؛ ثم رجعوا إلى قومهم فصالحوهم . ٢٠

وكان أولَ من سعى فى الحمالة حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرة ، فمات ؛ فسعى فيها هاشم بن حرملة ابنُه ، وله يقول الشاعر :

أحيا أباه هاشمُ بنُ حَرْمَلَهْ ٭ يومَ الهباتَيْن ويومَ اليَعْمَلَهْ
تَرى الملوكَ حوله مُرَعْبَلَهْ ٭ يَقتلُ ذا الذَّنْب ومَن لا ذنْب له

يوم قطن

فلما توافوا للصلح ، وقفت بنو عبس بقَطن ، وأقبل حصين بن ضمضم ، ٥ فلقى تَيحان أحد بنى مخزوم بن مالك فقتله بأبيه ضمضم ، وكان عنترة بن شداد قتله بذى المريقب ، فأشارت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان ، وقالوا : لا نصالحكم ما بلّ البحرُ صُوفة ، وقد غدرتم بنا غير مرة . وتناهض القوم : عبس وذبيان ، فالتقوا بقطن ، فقَتل يومئذ عمرو بن الأسلع عيينة ، ثم سفرت السفراء بينهم ؛ وأتى خارجة بن سنان أبا تيحان بابنه فدفعه إليه ، فقال : ١٠ فى هذا وفاء من ابنك ! فأخذه فكان عنده أياما ، ثم حمل خارجة لأبى تيحان مائة بعير قادها إليه ، واصطلحوا وتعاقدوا .

/يوم غدير قلهى

قال أبو عبيدة : فاصطلح الحيان ، إلا بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فإنهم أَبَوْا ذلك وقالوا : لا نرضى حتى يُودُوا قتلانا أو يُهدَر دمُ من قتلها فخرجوا ١٥ من قطن حتى وردوا غدير قلهى ، فسبقهم بنو عبس إلى الماء ، فمنعوهم حتى كادوا يموتون عطشا ودوابّهم ، فأصلح بينهم عوف ومعقل ابنا سبيع من بنى ثعلبة ؛ وإياهما يعنى زهير بقوله :

تَداركْتُما عبْسًا وذبْيانَ بعد ما ٭ تفانَوْا ودَقُّوا بينَهم عِطرَ مَنْشَم

فوردوا حرباً وأخرجوا عنه سلما .

٢٠ تم حرب داحس والغبراء .

يوم الرقم : لغطفان على بنى عامر

غزت بنو عامر فأغاروا على بلاد غطفان بالرَّقَم - وهو ماء لبنى مرة - وعلى بنى عامرٍ : عامرُ بن الطفيل - ويقال يزيد بن الصعق - فركب عيينة بن حصن فى بنى فزارة ، ويزيد بن سنان فى بنى مرة - ويقال الحارث بن عوف - فانهزمت بنو عامر ، وجعل يقاتل عامر بن الطفيل ويقول : يا لقيس لا تقتلى ٥
تموتى ! فزعمت بنو غطفان أنهم أصابوا من بنى عامر يومئذ أربعة وثمانين رجلا ، فدفعوهم إلى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم ، فقتلوهم أجمعين ؛ وانهزم الحكم بن الطفيل فى نفر من أصحابه ، فيهم جراب ابن كعب ، حتى انتهوا إلى ماء يقال له المروزات ، فقطع العطش أعناقهم فماتوا ، وخنق نفسَه الحكمُ بن الطفيل تحت شجرة مخافةَ المُثلة ؛ وقال فى ذلك ١٠
عروة بن الورد :

عجِبتُ لهم لِمْ يَخنقونَ نفوسَهم ﻫ ومقتَلهم تحت الوغَى كان أجدَرا

يوم النتأة : لعبس على بنى عامر

خرجت بنو عامر تريد أن تدرك بثأرها يوم الرقم ، فجمعوا على بنى عبس بالنُّتأة وقد أُنذروا بهم ، فالتقوا وعلى بنى عامر : عامر بن الطفيل ، وعلى ١٥
بنى عبس : الربيع بن زياد ؛ فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت بنو عامر ، وقتل منهم صفوان بن مرة ، قتله الأحنف بن مالك ؛ ونهشل بن عبيدة بن جعفر ، قتله أبو زغبة بن حارث ؛ وعبد الله بن أنس بن خالد ؛ وطَعن ضبيعة بن الحارث عامرَ بن الطفيل فلم يضرّه ونجا عامر ، وهُزمت بنو عامر هزيمة قبيحة ، فقال خراشة بن عمرو العبسى : ٢٠

وساروا على أظْمائهم وتَواعَدوا ﻫ مِيــاهًا تَحامتْها تَميمٌ وعامرُ

كأن لم يكنْ بينَ الدناب وواسِطٍ * إلى المُنْحَنَى من ذِي الأراكةِ حاضرُ
ألا أبْلغا عنى خليليَّ عامراً * أتنسى سُعادَ اليوم أم أنت ذاكرُ
وصدّتْكَ أطرافُ الرماحِ عن الهوى * ووَرَدْتَ أموراً ليس فيها مصادِر
وغادرْت هِزّان الرئيسَ ونهشَلا * فلله عينا عامرٍ من يُغادر
٥ وأسلمتَ عبدَ الله لما عَرفْتهُم * ونجّاك وثّابُ الجراميز ضامر
قذفتَهم فى اليمِّ ثم خــذلتهم * فلا وألتْ نفسٌ عليك تحاذِر

وقال أبو عبيدة : إن عامر بن الطفيل هو الذى طعن ضبيعة بن الحارث ثم نجا من طعنته ، وقال فى ذلك :

فإن تنْجُ منهـا يا ضُبيعُ فإننى * وجدِّكَ لم أعقِل عليكَ التمائمـا

١٠ يوم شواحط : لبنى محارب على بنى عامر

غزت سرية من بنى عامر بن صعصعة بلاد غطفان ، فأغارت على إبل لبنى محارب بن خصفة ؛ فأدركهم الطلب ، فقتلوا من بنى كلاب سبعة وارتدوا إبلهم ؛ فلما رجعوا من عندهم وثب بنو كلاب على جَسر ، هم من بنى محارب كانوا حاربوا إخوتهم فخرجوا عنهم وحالفوا بنى عامر بن صعصعة — فقالوا : نقتلهم ١٥ بقتل بنى محارب مَن قتلوا منا ، فقام خداش بن زهير دونهم حتى منعهم من ذلك ، وقال :

أيا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغَنْ * عقيلا وأبْلغ إنْ لقيتَ أبا بكرِ
فيا أخويْنا من أبينا وأمّنا * إليكُمْ إليكم لا سبيلَ إلى جَسْر
دَعُوا جانبى إنى سأتركُ جانباً * لكم واسعاً بين اليمامَةِ والقهْر
٢٠ أنا فارسُ الضّحْياءِ عمرو بن عامرٍ * أبَى الذّمّ واختار الوفاءَ على الغدْر

يوم حوزة الأول: لسليم على غطفان

قال أبو عبيدة: كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد وبين هاشم بن حرملة أحد بنى مرة بن غطفان، كلام بعكاظ، فقال معاوية: لوددت والله أنى قد سمعت بظعائن يندبنك! فقال هاشم: والله لوددت أنى قد تَرَّبت الرطبة — وهى جُمة معاوية، وكانت الدهرَ تنطف ماء ودهناً وإن لم تدهن — فلما كان بعد [حين] تهيأ معاوية ليغزو هاشماً، فنهاه أخوه صخر فقال: كأنى بك إن غزوتهم علق بجمتك حسك العُرقط. فقال: فأبى معاوية وغزاهم يوم حوزة فرآه هاشم بن حرملة قبل أن يراه معاوية، وكان هاشم ناقهاً من مرض أصابه، فقال لأخيه دريد ابن حرملة: إن هـذا إن رآنى لم آمن أن يشدّ علىّ. وأنا حديث عهد بشكية؛ فاستطرِدْ له دونى حتى تجعله بينى وبينك. ففعل، فحمل عليه معاوية وأردفه هاشم فاحتلفا طعنتين؛ فأردى معاوية هاشماً عن فرسه الشماء، وأنفذ هاشمٌ سنانه من عانة معاوية. قال: وكرّ عليه دريد فظنه قد أردى هاشماً، فضرب معاوية بالسيف فقتله، وشد خُفاف بن عمير على مالك بن حارث الفزارى قال: وعادت الشماء فرس هاشم حتى دخلت فى جيش بنى سليم فأخذوها وظنوها فرس الفزارى الذى قتله خُفاف، ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخى معاوية، فقالوا: أنعم صباحاً أبا حسان! قال: حُييتم بذلك، ما صنع معاوية؟ قالوا: قُتل! قال: فما هذه الفرس؟ قالوا: قتلنا صاحبها! قال: إذاً قد أدركتم ثأركم؛ هذه فرس هاشم بن حرملة.

قال: فلما دخل رجب، ركب صخر بن عمرو الشماء صبيحة يوم حرام، فأتى بنى مرة، فلما رأوه قال لهم هاشم: هذا صخر فحيُّوه وقولوا له خيرا. وهاشم مريض من الطعنة التى طعنه معاوية؛ فقال: مَن قتل أخى؟ فسكتوا، فقال: لمن هذه الفرس التى تحتى؟ فسكتوا، فقال هاشم: هلم أبا حسان إلى من يُخبرك! قال: من قتل أخى؟ فقال هاشم: إذا أصبتنى أو دريداً فقد أصبت ثأرك! قال فهل

كفنتموه ؟ قال : نعم ، فى بردين : أحدهما بخمس وعشرين بكرة . قال : فأرونى قبره . فأروه إياه ، فلما رأى القبر جزع عنده ، ثم قال : كأنكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعى ؛ فوالله ما بتُّ منذ عقلت إلا واتراً أو موتورا ، أو طالبا أو مطلوبا ، حتى قُتل معاوية ، فما ذقت طعم نوم بعده !

يوم حوزة الثانى

٥

قال : ثم غزاهم صخر ، فلما دنا منهم مضى على الشماء ، وكانت غراء محجّلة ، فسود غرتها وتحجيلها ، فرأته بنتٌ لهاشم ، فقالت لعمها دريد : أين الشماء؟ قال : هى فى بنى سليم . قالت : ما أشبهها بهذه الفرس ! فاستوى جالساً فقال : هذه فرس بهيم ، والشماء غراء محجلة . وعاد فاضطجع ، فلم يشعر حتى طعنه صخر . قال :

١٠ فثاروا وتناذروا ، وولى صخر وطلبته غطفان عامةَ يومها ، وعارض دونه أبو شجرة ابن عبد العزى ، وكانت أمه خنساء أخت صخر ، وصخر خاله ؛ فردّ الخيل عنه حتى أراح فرسه ونجا إلى قومه ، فقال خفاف بن ندبة لما قتل معاوية : قتلنى الله إن برحت من مكانى حتى أثأر به فشد على مالك سيد بنى جُمح فقتله ، فقال فى ذلك :

١٥

فإن تكُ خيلى قد أُصيبَ صَميمُها * فعمْداً على عيْنٍ تيمَّمْتُ مالكا

نَصَبْتُ له عَلْوَى وقد خان صُحْبَتِى * لِأَبْنِيَ مجــداً أو لِأثأرَ هالكا

أقولُ له والرُّمْح يأطِرُ متْنُه * تأمَّل خُفافاً ، إننى أنا ذلكا

وقال صخر يرثى معاوية ، وكان قال له قومه : اْهجُ بنى مرة ! فقال : مابيننا أجلُّ من القذع [ولو لم أُمسك عن سبِّهم إلا صيانةً للسانى عن الخَنا لفعلت ! ثم خاف أن يُظنَّ به عِىّ] وأنشأ يقول :

٢٠

وعاذلةٍ هبَّت بليــلٍ تلومُنى * ألا لا تلومِينى كفى اللوم ما بيا

تقولُ ألا تَهجو فوارِس هاشمٍ * ومالىَ أن أهجوهُمُ ثم ماليا

أَبَى الذَّمّ أنى قد أصابوا كريمتى * وأنْ ليس إهداءُ الخَنا من شماليا

إذا ما امْرُؤٌ أهدَى لِمَيتٍ تحيّةً * فحياكَ ربُّ الناسِ عنى مُعاويا

وهوّنَ وجدِى أننى لم أقل له * كذبتَ ، ولم أبخل عليه بمـاليا

وذِى إخوةٍ قطعْتُ أقران بينِهم * كما تركونى واحداً لا أخاليا

وقال فى قتل دريد :

ولقد دفعتُ إلى دريْدٍ طعنةً * نجلاء توغرُ مثلَ غطّ المِنخرِ ٥

ولقد قتلتُكُمُ ثُناءَ وموحداً * وتركْتُ مُرّةَ مثلَ أمْس الدابرِ

قال أبو عبيدة : وأما هاشم بن حرملة فإنه خرج منتجعاً فلقيه عمرو بن قيس الجشمى فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ، لا وألت نفسى إن وألَ ! فلما نزل هاشم كمن له عمرو بن قيس بين الشجر ، حتى إذا دنا منه أرسل عليه معبلة ففلق قحفه فقتله ، وقال فى ذلك : ١٠

لقد قتلتُ هاشمَ بن حرمَله * إذ المـــلوكُ حوله مُغربله

يقتُلُ ذا الذّنب ومن لا ذنبَ له

يوم ذات الأثل

قال أبو عبيدة : ثم غزا صخر بن عمرو بن الشريد بنى أسد بن خزيمة واكتسح إبلهم ، وأتى الصريخ بنى أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل ، ١٥ فاقتتلوا قتالا شديداً ؛ فطعن ربيعة بن ثور الأسدى صخراً فى جنبه ، وفات القوم بالغنيمة ، وجوى صخر من الطعنة ، فكان مريضا قريبا من الحول . حتى مله أهله ، فسمع امرأة من جاراته تسأل سلمى امرأته كيف بعلك ؟ قالت : لاحىٌّ فيرجى ، ولا ميّتٌ فينعى ، لقد لقينا منه الأمرين ! وكانت تسأل أمه : كيف صخر ؟ فتقول : أرجو له العافية إن شاء الله ! فقال ٢٠ فى ذلك :

أرى أمّ صخرٍ لا تملُّ عيادتى * وملّت سُليمى مضجعى ومكانى

فأىُّ امرئٍ ساوى بأمٍّ حليلةً * فلا عاش إلا فى شقاً وهوان

وما كنتُ أخشى أن أكون جنازةً * عليكِ ومَن يغترُّ بالحدثان
لَعَمْرى لقد نبَّهتِ من كان نائما * وأسمعْتِ من كانت له أُذُنان
أهُمُّ بأمر الحزم لو أستطيعُه * وقد حِيل بين العَيْر والنَّزَوان

فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد فى موضع الطعنة ، قالوا له : لو قطعتَها لرجونا أن تبرأ . فقال : شأنكم ! فقطعوها فمات ، فقالت الخنساء أخته ترثيه :

فما بالُ عينى ما بالُها * لقد أخضَلَ الدمعُ سربالَها
أمِن بعد صخرٍ مِن آلِ الشريـ * ـدِ حَلَّت به الأرض أثقالها
فآليْت أبكى على هالكٍ * وأسأل نائحةً مالها
هَمَمْت بنفسىَ كلَّ الهموم * فأوْلى لنفسى أوْلى لها
لأحمل نفسى على آلةٍ * فإمّا عليها وإمّا لها

وقالت ترثيه :

وقائلةٍ والنَّفْسُ قد فات خَطْوُها * لِتُدركه : يالهفَ نفْسى على صخرِ!
ألا ثكِلَت أُمُّ الذين غدوْا به * إلى القبر، ماذا يَحملون إلى القبر!

يوم عدنية : هو يوم ملحان

قال أبو عبيدة : هذا اليوم قبل يوم ذات الأثل ، وذلك أن صخراً غزا بقومه وترك الحىَّ خِلْواً ، فأغارت عليهم غطفان ، فثارت إليهم غلمانهم ومن كان تخلف منهم ؛ فقتل من غطفان نفرٌ وانهزم الباقون ؛ فقال فى ذلك صخر :

جزى الله خيراً قومَنا إذ دعاهم * بعَدْنِيّة الحى الخلوفُ المُصَبَّحُ
وغِلمانُنا كانوا أُسُود خَفِيَّةٍ * وحُقَّ علينا أن يُثابوا ويُمدَحوا
هُمُ نَفَّروا أقرانَهم بمُضَرِّسٍ * وسمرٍ وذادوا الجيشَ حتى تزحزحوا
كأنهمُ إذ يَطْردون عشيَّةً * بقُنَّة مِلْحانٍ نعامٌ مُرَوَّحُ

يوم اللوى : لغطفان على هوازن

قال أبو عبيدة : غزا عبد الله بن الصمة — واسم الصمة : معاوية الأصغر — من بنى غزيّة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن — وكان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى ؛ فاسمه : عبد الله ، وخالد ، ومعبد ؛ وكنيته : أبو فرغان ، وأبو دفافة وأبو وفاء ؛ وهو أخو دريد بن الصمة لأبيه وأمه — فأغار على غطفان ، فأصاب منهم إبلا عظيمة فاطّردها ؛ فقال له أخوه دريد : النجاء فقد ظفرت . فأبى عليه وقال : لا أبرح حتى أنتقع نقيعتى — والنقيعة : ناقة ينحرها من وسط الإبل فيصنع منها طعاما لأصحابه ، ويقسم ما أصاب على أصحابه فأقام وعصى أخاه ؛ فتبعته فزارة فقاتلوه ، وهو بمكان يقال له اللوى ، فقتل عبد الله ، وارتُثَّ دريدٌ فبقى فى القتلى فلما كان فى بعض الليل أتاه فارسان ، فقال أحدهما لصاحبه : أنى أرى عينيه تَبِصّ ، فانزل فانظر إلى سُبّته . فنزل فكشف ثوبه فإذا هى تُرمّز فطعنه ، فخرج دم قد كان احتقن .

قال دريد : فأفقت عندها ، فلما جاوزونى نهضت . قال : فما شعرت إلا وأنا عند عرقوب جَمَل امرأة من هوازن ، فقالت : من أنت ؟ أعوذ بالله من شرك ! قلت : لا ، بل مَن أنت ؟ ويلك ! قالت : امرأة من هوازن سيارة . قلت : وأنا من هوازن ، وأنا دريد بن الصمة . قال : وكانت فى قوم مجتازين لا يشعرون بالوقعة ، فضمته وعالجته حتى أفاق .

فقال دريد يرثى عبد الله أخاه ، ويذكر عصيانه له وعصيان قومه ، بقوله :

أعاذلُ إنّ الرُّزْء فى مِثْل خالدٍ * ولا رُزْء فيما أهلك المرء عن يدِ

وقلتُ لعارضٍ وأصحابِ عارضٍ * ورهْطِ بنى السّوْداء والقومُ شُهّدى

علانيــةً ظنُّوا بألفْىْ مُدجّجٍ * سَراتهُم فى الفــارسىّ المُسَرَّدِ

أمرتهم أمرى بمنقطَع اللِّوى * فلم يَستبينوا الرُّشد إلّا ضُحى الغدِ

فلما عصوْنى كنتُ منهم وقد أرى * غَوايتَهُم أو أنّنى غــيرُ مُهْتدِ

وما أنا إلا من غزيّة إن غوَت * غوَيتُ وإنْ ترْشَد غزيةُ أرشُدِ
فإن تُعْقِب الأيامُ والدهرُ تعلَموا * بنى غالبٍ أنّا غِضابٌ لمعبــد
تنادوْا فقالوا أرْدَت الخيْل فارسا * فقلت أعبد الله ذلِكم الرّدِى
فإنْ يك عبد الله خَلّى مكانَهُ * فما كان وقّافاً ولا طائش اليَدِ
٥ ولا بَرِما إذْ ما الرياح تناوحَتْ * برطْبِ العِضاهِ والضّريعِ المعضّد
كميْشُ الإزارِ خارجٌ نصف ساقِه * صبورٌ على الضّرّاء طَلّاعُ أنْجُدِ
قليل التّشكّى للمصائبِ حافظ * من اليوْم أعقاب الأحاديثِ فى غدِ
وهَوّنَ وجدِى أننى لم أقل له * كذَبْت ولم أبخل بما ملَكتْ يدِى

أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : خرج دريد بن الصمة فى فوارس من بنى جشم
١٠ حتى إذا كانوا فى وادٍ لبنى كنانة يقال له الأخرم ، وهم يريدون الغارة على بنى كنانة
إذ رُفع له رجل فى ناحية الوادى معه ظَعينة ؛ فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه :
صِحْ به : خَلِّ عن الظعينة وآنج بنفسك ، فانتهى إليه الفارس وصاح به وألحّ عليه
فألقى زمام الناقة وقال للظعينة :

سيرى على رِسلِكِ سَيْر الآمن * سَيْر ردَاحٍ ذاتِ جأشٍ ساكِنِ
١٥ إنّ آنْثِنائى دون قِرْنى شائنى * أبْلِى بلائى وآخبُرى وعاينى

ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه فأعطاه للظعينة ؛ فبعث دريد فارسا آخر
لينظر ما صنع صاحبُه ، فلما انتهى إليه ورأى ما صنع ، صاح به فتصامم عنه كأن
لم يسمع ، فظن أنه لم يسمع ، فغشيه ، فألقى [ربيعة] زمام الراحلة إلى الظعينة ،
ثم خرج وهو يقول :

٢٠ خَلِّ سبيل الحُرّة المنيعهْ * إنك لاقٍ دونَها ربيعهْ
فى كفّه خطّيّةٌ مُطيعهْ * أوْلا فخذْها طعْنةً سريعهْ
والطعنُ منى فى الوغى شريعهْ

ثم حمل عليه فصرعه ؛ فلما أبطأ على دريد بعث فارسا لينظر ما صنعا ؛ فلما

انتهى إليهما وجدهما صريعين، ونظر إليه يقود ظعينته ويجر رمحه، فقال له الفارس: خَلِّ عن الظعينة! فقال للظعينة: آقصِدى قصد البيوت، ثم أقبل عليه فقال:

ماذا تريدُ من شَتِيمٍ عابس * ألم تر الفارس بعد الفارس
أرْداهُما عامـل رُمْحٍ يابس

ثم حمل عليه فصرعه، وانكسر رمحه.

وارتاب دريد، وظنّ أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل؛ فلحق دريد ربيعة وقد دنا من الحى، ووجد أصحابه قد قتلوا؛ فقال: أيها الفارس، إنّ مثلك لا يُقتل، ولا أرى معك رُمحك، والخيل ثائرة بأصحابها [وأراك حديث السنّ] فدونك هذا الرمح، فإنى منصرف إلى أصحابى فمُثَبِّطُهم عنك.

فانصرف إلى أصحابه فقال: إن فارس الظعينة قد حماها وقتل أصحابكم وانتزع رمحى، ولا مطمع لكم فيه! فانصرف القوم؛ وقال دريد فى ذلك:

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثْلِه * حامى الظَّعينـةِ فارساً لم يُقْتَلِ
أَرْدَى فوارسَ لم يكونوا نُهْزةً * ثم آستمرّ كأنه لم يفعلِ
مُتَهلِّلا تبـــدو أسِرّةُ وجهِه * مثْل الحُسام جلَتْه كفُّ الصَّيْقَل
يُزْجى ظعينتَه ويسْحَب رُمْحه * مُتوَجِّها يُمنـــاه نحو المنزلِ
وتُرى الفوارسُ من مهابةِ رُمْحه * مِثْلَ البُغاث خَشين وقعَ الأجدلِ
ياليْت شِعْرى مَن أبوه وأُمُّه * يا صاحِ من يك مِثْله لا يُجهَل

وقال ابن مكدم:

إنْ كان ينفَعُك اليقين فسائلى * عنِ الظّعينةَ يوم وادى الأخرم
إذ هِىَ لأوّل من أتاها نُهْزةٌ * لولا طِعانُ ربيعةَ بن مُكَدَّمِ
إذ قال لى أدْنَى الفوارسِ منهم * خلِّ الظّعينة طائعاً لا تَنْدَم
فصرفْتُ راحلةَ الظعينة نحوَه * عمْـــداً ليعْلم بعض مالم يعْلَم
وهتَكْتُ بالرُّمْح الطويل إهابهُ * فهوى صريعاً لليدَيْن وللفَم

ومنحتُ آخرَ بعده جَيَّاشَةً * نجلاءَ فاغِرَةً كشِدْقِ الأضجَمِ

ولقد شفَعْتُهما بآخرَ ثالثٍ * وأبَى الفِرارَ عنِ العِداةِ تَكرُّمِى

ثم لم يلبث بنو كنانة [رهط ربيعة بن مكدم] أن أغارت على بنى جُشَم [رهط دُريد] ، فقتلوا [وأسَروا وغَنموا] ، وأسروا دُرَيْدَ بن الصِّمة ، فأخفى نسبه ، فبينما هو عندهم محبوس ، إذ جاءت نسوة يتهادين إليه ، فصاحت إحداهن فقالت : هلكتم وأهلكتم ، ماذا جرّ علينا قومُنا ؟ هذا والله الذى أعطى ربيعةَ رمحَهَ يوم الظعينة ! ثم ألقت عليه ثوبها ، وقالت يا آل فراس أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادى ! فسألوه : من هو ؟ فقال أنا دريدُ بن الصمة ، فمن صاحبي ؟ قالوا : ربيعةُ بن مكدم . قال : فما فعل ؟ قالوا : قتلته بنو سُليم ! قال : فما فعلت الظعينة ؟ قالت المرأة : أنا هى ، وأنا امرأته ! فحبسه القوم وآمَروا أنفسهم ، فقال بعضهم : لاينبغى لدريد أن تُكفَرَ نعمتُه على صاحبنا ! وقال الآخرون لا والله لايخرج من أيدينا إلا برضا المُخارق الذى أسره ، فانبعثت المرأة فى الليل — وهى ريطة بنت جزل الطعان — فقالت :

سَنجزِى دُرَيْداً عن ربيعةَ نعمةً * وكلُّ آمرِئٍ يُجْزَى بما كان قدما

فإنْ كان خيرا كان خيرا جزاؤه * وإن كان شَرًّا كان شرًّا مُذَمَّما

سنجزِيه نُعْمَى لم تكن بصَغيرةٍ * بإهدائه الرُّمْحَ الطويلَ المُقَوما

فلا تَكْفُرُوه حقَّ نُعْماهُ فيكمُ * ولا تَركبوا تلك التى تملأُ الفَما

فإن كان حيًّا لم يضِق بثوابِهِ * ذِراعاً ، غنيًّا كان أو كان مُعْدَما

نفُكُّوا دُرَيْداً من إسار مُخارقٍ * ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرّ سُلَّما

فلما أصبحوا أطلقوه ، فكسته وجهزته ولحق بقومه ، فلم يزل كافّاً عن حرب بنى فراس حتى هلك .

يوم الصلعاء : لهوازن على غطفان

فلما كان فى العام المقبل غزاهم دريد بن الصمة بالصّلعاء، فخرجت إليه غطفان فقال دريد لصاحبه : ماترى ؟ قال أرى خيلا عليها رجالٌ كأنهم الصبيان ، أسِنّتُها عند آذان خيلها . قال : هذه فزارة . ثم قال : انظر ماترى ؟ قال : أرى قوما كأنّ عليهم ثياباً غمست فى الجادىّ . قال : هذه أشجع . ثم قال أنظر ماترى؟قال: ٥ أرى قوماً يهزون رماحهم ، سوداً ، يخدون الأرض بأقدامهم. قال : هذه عبس، أتاكم الموت الزؤام فاثبُتوا ! فالتقَوْا بالصلعاء ، فكان الظفر لهوازن على غطفان وقَتل دريدُ ذوأبَ بن أسماء بن زيد بن قارب .

حرب قيس وكنانة

يوم الكديد : لسليم على كنانة ١٠

فيه قُتل ربيعةُ بن مكدم فارس كنانة ، وهو من بنى فراس بن غنم بن مالك ابن كنانة ، وهم أنجد العرب ، وكان الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم ؛ وفيهم يقول على بن أبى طالب لأهل الكوفة : ودِدْتُ والله أن لى بجميعكم وأنتم مائةُ ألف ثلثمائةٍ من بنى فراس بن غنم .

وكان ربيعة بن مكدم يُعقر على قبره فى الجاهلية ، ولم يُعقر على قبر أحد ١٥ غيره ؛ ومرّ به حسانُ بن ثابت وقتلته بنو سليم يوم الكديد ، ولم يحضر يومَ الكديد أحدٌ من بنى الشريد .

يوم برزة : لكنانة على سليم

قال أبو عبيدة : لما قَتلت بنو سليم ربيعةَ بن مكدم فارس كنانة ورجعوا، أقاموا ماشاء الله ، ثم إن ذا التاج ، مالك بن خالد بن صخر بن الشريد — ٢٠

واسم الشريد عمرو ، وكانت بنو سليم قد توّجوا مالكا أمّروه عليهم — فغزا بنى كنانة ، فأغار على بنى فراس ببَرْزَة ، ورئيسُ بنى فراس عبد الله بن جذل ؛ فدعا عبدُ الله إلى البراز ، فبرز إليه هند بن خالد بن صخر بن الشريد ، فقال له عبد الله : من أنت ؟ قال : أنا هند بن خالد بن صخر ، فقال عبد الله : أخوك أسنُّ منك . يريد مالك بن خالد ، فرجع فأحضر أخاه ، فبرز له ؛ فجعل عبد الله ابن جذل يرتجز ويقول :

أدنوا بنِي قِرْنِف القِمَعْ * إنى إذا الموتُ كنَعْ
لا أستغيثُ بالجزعْ

ثم شدّ على مالك بن خالد فقتله ، فبرز إليه أخوه كرز بن خالد بن صخر ، فشدّ عليه عبد الله بن جذل فقتله أيضاً ، فشدّ عليه أخوهما عمرُو بن خالد بن صخر بن الشريد ، فتخالفا طعنتين ، فجرح كلُّ واحد منهما صاحبَه وتحاجزا ، وكان عمرو قد نهى أخاه مالكا عن غزو بنى فراس ، فعصاه وانصرف للغزو عنهم ، فقال عبد الله بن جذل :

تجنّبْتُ هِنداً رغبةً عن قِتالِهِ * إلى مالِكٍ أعشُو إلى ضوْء مالِكِ
فأيقنْتُ أنى ثائرٌ بابنِ مُكْدَمٍ * غَداةَ إذٍ أو هالِكٌ فى الهوالك
فأنفذْتهُ بالرُّمحِ حين طعنْتُه * مُعانقَةً ليست بطعنةِ باتِكِ
وأثنى لِكُرْزٍ فى الغُبارِ بطعنةٍ * علَتْ جِلْدهُ منها بأحْمَرَ عاتِك
قتلْنا سُلَيْمًا غَثَّها وسمينَها * فصبراً سُلَيْمٌ قد صبَرْنا لذلك
فإن تكُ نِسْوانى بكَيْنَ فقد بكت * كما قد بكتْ أمُّ لِكُرْزٍ ومالك

وقال عبد الله بن جذل أيضاً :

قتلْنا مالِكا فبَكوْا عليه * وهل يُغْنى منَ الجزعِ البُكاء ؟
وكُرْزاً قد تركْناهُ صريعاً * تسيلُ على ترائبِهِ الدّماء
فإن تجزعْ لِذاك بنو سُلَيْم * فقد ـ وأبيهم ـ غلَبَ العزاء

فصبراً يا سُلَيْمُ كما صبَرْنا * وما فيكم لِواحِدِنا كِفاءُ
فلا تبعُدْ ربيعة من نديم * أخو الهُلّاكِ إن ذمّ الشّتاء
وكم من غارَةٍ ورعيلِ خَيْل * تدارَكها وقد حَمِسَ اللّقاء

يوم الفيفاء: لسليم على كنانة

قال أبو عبيدة: ثم إن بنى الشريد حرّموا على أنفسهم النساء والدهن، حتى يُدرِكوا بثأرهم من بنى كنانة، فغزا عمرُو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على بنى فراس، فقتل منهم نفراً، منهم عاصم بن المعلى، وفضلة، والمعارك، وعمرو بن مالك، وحصن، وشريح؛ وسبى سبياً فيهم ابنة مكدم أخت ربيعة بن مكدم، فقال عباس بن مرداس فى ذلك يرد على ابن جذل فى كلمته التى قالها يوم بَرزة:

ألا أبلِغا عنى ابنَ جذلٍ ورهطَهُ * فكيفَ طلبْناكم بكُرْز ومالكِ؟
غداةَ فجعْناكم بحِصنٍ وبِابنِهِ * وبابنِ المُعلّى عاصمٍ والمعارِكِ
ثمانيـــة منهم ثأرْناهُمُ به * جميعاً وما كانوا بواءً بمالك
نُذيقُكم والموتُ يبْنِي سُرادِقاً * عليكم، شباحَدِّ السُّيوفِ البواتك
تلوحُ بأيدينا كما لاح بارِقٌ * تلألأ فى داجٍ مِنَ الليلِ حالِك
صبَحْناكم العوجَ العناجيجَ بالضُّحى * تمُرُّ بنا مَرَّ الرِّياحِ النّواهِكِ
إذا خرجَتْ من هبْوةٍ بعد هبْوةٍ * سَمتْ نحوَ مُلْتفٍّ من الموتِ شائكِ

وقال هند بن خالد بن صخر بن الشريد:

قتلْتُ بمالِكٍ عَمْرًا وحِصْناً * وخَلَّيْت القَتام على الخُدودِ
وكُرْزاً قد أبأْتُ به شريحًا * على أثَرِ الفَوارِسِ بالكديدِ
جزيْناهم بما انتهكوا وزدْنا * عليه ما وجَدْنا منْ مزيدِ
جلبْنا منْ جنُوبِ العودِ جُرْدًا * كطيْرِ الماءِ غلّسَ للوُرُودِ

قال : فلما ذكر هندُ بن خالد يوم الكديد وافتخر به ، ولم يشهده أحدٌ من بنى الشريد ، غضب من ذلك نُبيشة بن حبيب ، فأنشأ يقول :

تُبخِّل صُنعنا فى كلِّ يومٍ ٭ كمخضوبِ البَنانِ ولا يَصيدُ
وتأكلُ ما يَعافُ الكلبُ منه ٭ وتَزعُمُ أن والِدَكَ الشَّريد
أبَى لِى أنْ أُقِرَّ الضَّيمَ قيسٌ ٭ وصاحبُه المَزُورُ به الكَديدُ

حرب قيس وتميم

يوم السوبان : لبنى عامر على بنى تميم

قال أبو عبيدة : أغارت بنو عامر على بنى تميم وضبة فاقتتلوا ، ورئيسُ ضبة حسان بن وبرة ، وهو أخو النعمان لأمه ، فأسره يزيد بن الصعق ، وانهزمت تميم ؛ فلما رأى ذلك عامرُ بن مالك بن جعفر ، حسده ، فشدَّ على ضرار بن عمرو الضَّبِّىّ ، وهو الرديم ، فقال لابنه إذ همّ : أغنِه عنى . فشدّ عليه فطعنه ، فتحوّل عن سرجه إلى جنب أبدائه ، ثم لحقه ، فقال لأحد بنيه : أغنه عنى . ففعل مثل ذلك ، ثم لحقه ، فقال لابن له آخر : أغنه عنى . ففعل مثل ذلك ، فقال : ما هذا إلا مُلاعب الأسنّة ، فسُمِّىَ عامر من يومئذ ملاعبَ الأسنة ؛ فلما دنا منه قال له ضرار : إنى لأعلم ما تريد ، أتريد اللبن ؟ قال : نعم ! قال : إنك لن تَصِلَ إلىَّ ومن هؤلاء عين تَطرف ، كلهم بنىَّ . قال له عامر : فأحلنى عن غيرك . فدلَّه على حبيش بن الدلف ، وقال : عليك بذلك الفارس . فشدّ عليه فأسره ، فلما رأى سواده ، وقِصَرَه ، جعل يتفكر ؛ وخاف ابن الدلف أن يقتله ، فقال : ألست تريد اللبن ؟ قال : بلى . قال : فأنى لك به . وفادى حسان بنُ وبرة نفسه من يزيد بن الصعق بألف بعير فداء الملوك ، فكثر مال

يزيد وبما ؛ ثم أغار بعد ذلك يزيد بن الصعق على عصافير النعمان بذى لِيان ، وذو لِيان : عن يمين القريتين .

يوم أقرن : لبنى عبس على بنى دارم

غزا عمرو بن عمرو بن عدس من بنى دارم وهو فارس بنى مالك بن حنظلة ، فأغار على بنى عبس وأخذ إبلا وشاء ثم أقبل ، حتى إذا كان أسفل من ثنية أقرن ، نزل فابتنى بجارية من السبي ، ولحقه الطلب فاقتتلوا ، فقَتل أنسُ الفوارس ابنُ زياد العبسى عمْرا ، وانهزمت بنو مالك بن حنظلة ، وقتلت بنو عبس أيضاً حنظلةَ بنَ عمرو ـ وقال بعضُهم : قُتِلَ فى غير هذا اليوم ـ وارتدوا ما كان فى أيدى بنى مالك ، فنعى ذلك جريرٌ على بنى دارم ، فقال :

هل تذْكرونَ لَدَى ثنيَّة أقرُنٍ * أنَسَ الفوارسِ حين يهوِى الأسْلَعُ

وكان عمرو أسلع ، أى أبرص . وكان لسماعة بن عمرو ، خالٌ من بنى عبس ، فزاره يوما فقتله بأبيه عمرو .

يوم المرّوت : لبنى العنبر على بنى قشير

أغار بَحير بن سلمة بن قشير على بنى العنبر بن عمرو بن تميم ، فاتبعوه حتى لحقوه وقد نزل المرّوت وهو يقسم المِرباع ويعطى مَن معه ، فتلاحق القوم واقتتلوا ، فطعن قعنب بن عتاب الهيثمَ بن عامر القشيرى فصرعه فأسره ، وحمل الكدامُ ـ وهو يزيد بن أزهر المازنى ـ على بحير بن سلمة فطعنه فأرداه عن فرسه ، ثم نزل إليه فأسَرَه ؛ فأبصره قعنْب بن عتاب ، فحمل عليه بالسيف فضربه فقتله ، فانهزم بنو عامر وقُتل رجالهم ؛ فقال يزيد بن الصَّعِق يرثى بحيرا :

أواردةٌ علَىَّ بنو رِيَاحٍ * بفخرِهمُ وقد قتَلوا بحيرًا ؟

فأجابته الغوراء من بنى سليط بن يربوع :

قَعِيدَكَ يا يَزِيدُ أبا قُبَيْسٍ ٭ أَتُنذِرُ كى تُلاقِينا النُّذورا

وتُوضِعُ تُخبِر الرُّكْبانَ أنّا ٭ وُجِدنا فى مِراس الحرب خُورا

ألمْ تَعلمْ قعيـــدُك يا يزيد ٭ بأنا نَقْمَع الشيخَ الفَخورا

٥ ونَفْقَأُ ناظرَيْه ولا نُبـالِى ٭ ونَجعل فوق هامَته الدرُورا

فأبلغ إن عرَضتَ بنى كِلابٍ ٭ فإنّا نحن أقعصْنا بَحيرا

وضرَّجْنا عبيـدةَ بالعوالِى ٭ فأصبح مُوثَقًا فينا أسيرا

أفخْراً فى الخلاء بغير فخر ٭ وعند الحربِ خَوّاراً ضَجورا

يوم دارة مأسل : لتميم على قيس

١٠ غزا عتبة بن شتير بن خالد الكلابى بنى ضبة ، فاستاق نَعَمَهم ، وقتل حصينُ بن ضرار الضبى ، أبازيد الفوارس ، فجمع أبوه ضرارٌ قومَه وخرج ثائراً بابنه حصين ، وزيد الفوارس يومئذ حَدَثٌ لم يُدرك ، فأغار على بنى عمرو بن كلاب ، وأفلت منه عتبة بن شتير وأسر أباه شتيرَ بن خالد ، وكان شيخاً كبيراً أعور ، فأتى به قومه ، فقال : ياشتير ، آختَرْ واحدةً من ثلاث . قال : أعرضها علىَّ . قال : إمّا أن تردّ ابنى حصينا ! قال : فإنى لا أنشرُ الموتى ! قال : وإمّا أن ١٥ تدفع إلىَّ آبنك عتبةَ أقتله به ! قال : لا ترضى بذلك بنو عامر : أن يدفعوا فارسهم شابا مقتبلا بشيخ أعور ، هامةِ اليوم أوغد . قال : وإمّا أن أقتلك قال : أمّا هذه فنعم ! قال : فأمر ضرارٌ ابنَه أدهمَ أن يقتله ، فلما قدمه ليضرب عنقه ، نادى شتير : ياآل عامر ، صبراً بصبىّ ! كأنه أنف أن يُقتل بصبى ، فقال ٢٠ فى ذلك شَمعلة فى كلمة له طويلة :

وخيّرْنا شُتيراً فى ثلاثٍ ٭ وما كان الثلاث له خِيارا

جَعلتُ السيفَ بين اللِّيتِ منه ٭ وبين قِصاص لِمّتِه عِذارا

وقال الفرزدق يفخر بأيام ضبة :

ومغبوقةٍ قبل القِيانِ كأنها ٭ جرادٌ إذا أجلى على الفزع الفَجْرُ
عَوابس ما تنفكُّ تحت بطونها ٭ سرابيل أبطالٍ بنائقها حُمْر
تركْن ابن ذى الجدّين ينشج مُسْنَداً ٭ وليس له إلا ألاءته قبر
وهن على خدَّى شتير بن خالد ٭ أثير عجاج من سنابكها كدْر
إذا سُوِّمتْ للبأس يغشى ظهورها ٭ أسودٌ عليها البيض عادتها الهصْر
يَهزُّون أرْماحا طِوالا مُتونها ٭ بهنّ الغِنى يومَ الكَريهةِ والفقر

أيام بكر على تميم

يوم الوقيط

قال فراس بن خندف : تجمعت اللهازم لتُغير على تميم وهم غارون ، فرأى ذلك ناشب الأعور بن بَشامة العنبرى ، وهو أسير فى بنى سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ؛ فقال لهم : أعطونى رسولا أرسله إلى بنى العنبر ، أُوصيهم بصاحبكم خيراً ليولُوه مثل الذى تُوَلُّونى من البرّ به والإحسان إليه . وكان حنظلة بن الطفيل المرثدى أسيراً فى بنى العنبر ، فقالوا له : على أن توصيه ونحن حضور . قال : نعم . فأتوه بغلام لهم ، فقال : لقد أتيتمونى أحمق ، وما أراه مُبْلِغا عنى ! قال الغلام : لا والله ما أنا بأحمق ، وقل ما شئت فإنى مبلغه . فملأ الأعور كفه من الرمل ، فقال : كم هذا الذى فى كفى من الرمل ؟ قال الغلام : شىء لا يُحصَى كثرةً . ثم أومأ إلى الشمس ، وقال : ما تلك ؟ قال : هى الشمس ! قال : فاذهب إلى قومى فأبلغهم عنى التحية ، وقل لهم يحسنوا إلى أسيرهم ويكرموه ؛ فإنى عند قوم محسنين إلىّ مكرمين لى ؛ وقل لهم يَعْرُوا جملى الأحمر ، ويركبوا ناقتى العيساء ، بآية ما أكلت معهم حَيْسا ، ويرعوا حاجتى فى أُبَيْنِي مالك ؛ وأخبرهم أن العوسج قد أورق ، وأن النساء قد تشكّتْ ؛

وليعصوا همام بن بشامة ، فإنه مشئوم محدود ، ويطيعوا هذيل بن الأخنس ، فإنه حازم ميمون .

فأتاهم الرسول فأبلغهم ؛ فقال بنو عمرو بن تميم : ما نعرف هذا الكلام ؛ ولقد جُنّ الأعورُ بعدنا ، فوالله ما نعرف له ناقة عنساء ، ولا جملا أحمر ! فشخص الرسول ، ثم ناداهم هذيل : يابنى العنبر ، قد بين لكم صاحبكم ؛ أما الرمل الذى قبض عليه ، فإنه يخبركم أنه أتاكم عدد لا يُحصى وأما الشمس التى أومأ إليها ، فإنه يقول إن ذلك أوضح من الشمس وأما جمله الأحمر ، فإنه هو الصّمان ، يأمركم أن تعروه ؛ وأما ناقته العيساء ، فهى الدهناء ، يأمركم أن تحترزوا منها ؛ وأما أبناء مالك ، فإنه يأمركم أن تنذروا بنى مالك بن مالك بن زيد مناة ما حذّركم ، وأن تمسكوا الحلف بينكم وبينهم ؛ وأما العوسج الذى أورق ، فيخبركم أن القوم قد لبسوا السلاح ؛ وأما تشكّى النساء ، فيخبركم بأنهن قد عملن شِكاء يغزون به .

قال : وقوله « بآية ما أكلت معكم حيسا » يريد أخلاطا من الناس قد غزوكم .

قال : فتحرزت عمرو فركبت الدهناء ؛ وأنذروا بنى مالك ، فقالوا : لسنا ندرى ما يقول بنو عمرو ، ولسنا متحولين لِما قال صاحبكم . قال : فصبّحت اللهازم بنى حنظلة ، فوجدوا عمْراً قد خلت ، وإنما أرادوهم على الوقيط ، وعلى الجيش أبجر بن جابر العجلى ؛ وشهدها ناس من تيم اللات ، وشهدها الغزر ابن الأسود بن شريك من بنى سنان ؛ فاقتتلوا ، فأُسِر ضرار بن القعقاع بن معبد ابن زرارة ، وتنازع فى أسره بشر بن السوراء من تيم اللات ، والغزر بن الأسود فجزا ناصيته وخلّا سربه من تحت الليل ؛ وأسر عمرو بن قيس من بنى ربيعة ابن عجل ، وأسر عثجل بن شيبان بن علقمة من بنى زرارة ، ومُنّ عليه ، وأُسرت غمامة بنت طوق بن عبيد بن زرارة ، واشترك فى أسرها الحطيم بن هلال ، وظربان ابن زياد ، وقيس بن خالد ؛ وردّوها إلى أهلها ؛ وعيّر جرير بن الخطفى بنى دارم بأسر ضرار وعثجل وبنى غمامة ، فقال :

أغمامُ لو شَهِدَ الوقيطَ فوارسى ... ما فيه يُقْتَلُ عثجلٌ وضرارُ

فأُسر حنظلة المأمون بن شيبان بن علقمة ، أسره طيسلة بن زياد أحد بنى ربيعة ، وأسر جويرية بن بدر من بنى عبد الله بن دارم ، فلم يزل فى الوثاق حتى قال أبياتا يمدح فيها بنى عجل ، وأنشأ يتغنى بها رافعاً عقيرته :

وقائلةٍ ما غاله أن يزورَها ٭ وقد كنتُ عن تلك الزِّيارة فى شَغلِ

وقد أدركَتْنى والحوادثُ جمةٌ ٭ مخالبُ قومٍ لا ضعافٍ ولا عزْلِ ٥

سِراعٍ إلى الداعى، بطاءٍ عن الخنا ٭ رزانٍ لدى النادى، من غير ما جهْلِ

لعلهُمُ أن يُمطِرونى بنعمةٍ ٭ كما طاب ماءُ المُزْن فى البلدِ المحلِ

فقد ينعشُ الله الفتى بعدَ عَثْرةٍ ٭ وقد يبتدِى الحسنَى سُراةُ بنى عِجْلِ

فلما سمعوه أطلقوه ؛ وأُسر نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة ، وعمرو ابن ناشب ؛ وأُسر سنان بن عمرو أخو بنى سلامة بن كندة من بنى دارم ، ١٠ وأُسر حاضر بن ضمرة ، وأُسر الهيثم بن صعصعة ، وهرب عوف بن القعقاع عن إخوته ، وقتل حكيم النهشلى ، وذلك أنه لم يزل يقاتل وهو يرتجز ويقول :

كلُّ امرئٍ مُصَبَّحٌ فى أهلِهِ ٭ والموتُ أدنى من شراكِ نعلِهِ

وفيه يقول عنترة الفوارس : ١٥

وغادرنا حكيما فى مجالٍ ٭ صريعاً قد سلبناهُ الإزارا

يوم النباج وثيتل : لتميم على بكر

الخشنى قال : أخبرنا أبو غسان العبدى ـ واسمه رفيع ـ عن أبى عبيدة معمر ابن المثنى ، قال : غدا قيس بن قاسم فى مقاعس وهو رئيس عليها ـ ومقاعس هو صريم ، وربيع ، وعبيد ، بنو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ٢٠ بن تميم ـ ومعه سلامة بن ظرب بن نمر الحمانى فى الأحازب وهم حمان ، وربيعة ، ومالك ، والأعرج ـ بنو كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فغزوا بكر بن وائل فوجدوا بنى ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، واللهازم ، وهم : بنو قيس وتيم اللات

ابن ثعلبة ، وعجل بن لجيم ، وعنزة بن أسد بن ربيعة ـ بالنباج وثيتل ، وبينهما روحة ؛ فتنازع قيس بن عاصم وسلامة بن ظرب فى الإغارة ، ثم اتفقا على أن يُغير قيس على أهل النِّباج ، ويُغير سلامةُ على أهل الثيتل . قال . فبعث قيس بن عاصم سنانَ بن سُمَيٍّ الأهتم شَيِّفَةً له ـ والشَّيِّفة الطليعة ـ فأتاه الخبر ، فلما أصبح قيسٌ
٥ سقى خيله ثم أطلق أفواه الرَّوايا ، وقال لقومه : قاتلوا ، فإن الموت بين أيديكم ، والفلاة من ورائكم ! فلما دَنَوْا من القوم صُبحاً سمعوا ساقيا من بكر يقول لصاحبه : يا قيس أورِدْ فتفاءلوا به ؛ فأغاروا على النباج قبل الصبح ، فقاتلوهم قتالا شديدا ، ثم إن بكراً انهزمت ، فأسر الأهتم حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد ، وأصابوا غنائم كثيرة ؛ فقال قيس لأصحابه : لامقام دون الثيتل ، فالنجاة . فأتوا ثيتل
١٠ ولم يغز سلامةُ ولا أصحابه بعد ، فأغار عليهم قيس بن عاصم ، فقاتلوه ثم انهزموا ، فأصاب إبلا كثيرة ؛ فقال سلامة : إنكم أغرتم على ما كان أمره إلىّ ! فتلاحوا فى ذلك ، ثم اتفقوا على أن سلموا إليه غنائم ثيتل ، ففى ذلك يقول ربيعة بن ظريف :

فلا يُبعِدَنْك الله قيس بن عاصمٍ * فأنت لنا عِز عزيزٌ وموئلُ
١٥ وأنت الذى حَوَيت بكر بن وائلٍ * وقد عضَّلت منها النباجُ وثيتل
غداةَ دعت يا آل شيبانَ إذ رأت * كراديس يهديهنّ وردٌ محجَّل
وظلت عُقابُ الموتِ تهفو عليهم * وشُعثُ النواصى لجمهنّ تصلصل
فما منكم أبناء بكرِ بن وائل * لغارتنا إلا رَكوبٌ مذللُ

وقال جرير يصف ما كان من إطلاق قيس بن عاصم أفواهَ المزاد
٢٠ بقوله :

وفى يومِ الكلابِ ويوم قيسٍ * هراقَ على مُسلَّحة المزادا

وقال قُرة بن قيس بن عاصم :

أنا ابن الذى شقّ المزاد وقد رأى * بثيتل أحيـاء اللهازم حضَّرا

وصبّحهم بالجيش قيس بن عاصمٍ * ولم يجدوا إلا الأسنّة مصدرا
على الجردِ يعلُكْنَ الشكيمَ عوابسا * إذا الماء من أعطافهن تحدّرا
فلم يرَها الراءون إلا فجاءةً * يُثِرن عجاجاً بالسنابكِ أكدرا
سقاهم بها الذيفانَ قيس بن عاصم * وكان إذا ما أوردَ الأمر أصدرا
وحُمران أدّته إلينا رماحُنا * يُنازعُ غلاًّ من ذراعيْهِ أسمرا ٥
وجشامةَ الذهليَّ قدناه عَنْوة * إلى الحى مصفودَ اليدينِ مفكَّرا

يوم زرود: لبنى يربوع على بنى تغلب

أغار خزيمة بن طارق التغلبي على بنى يربوع وهم بزرود، فنذروا به، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديداً؛ ثم انهزمت بنو تغلب وأُسر خزيمة بن طارق، أسره أنيف بن جبلة الضبي — وهو فارس الشَّيِّط، وكان يومئذ معتلاً فى بنى يربوع ١٠ وأسيد بن حِناءة السليطى؛ فتنازعا فيه، فحكما بينهما الحرث بن قراد — وأمُّ الحارث امرأة من بنى سعد بن ضبة — فحكم بناصية خزيمة للأنيف بن جبلة، على أنّ لِأسيد على أنيف مائةً من الإبل. قال: ففدى خزيمة نفسه بمائتى بعير وفرس. قال أنيف:

أخذتُك قسراً يا خزيم بن طارقٍ * ولاقيتَ منى الموتَ يوم زرودِ ١٥
وعانقته والخيلُ تدمَى نُحورُها * فأنزلتُه بالقاع غير حَميد

أيام يربوع على بكر

وهذه أيام كلها لبنى يربوع على بنى بكر: من ذلك يوم ذى طلوح، وهو يوم أوْد؛ ويوم الحائر، ويوم ملهم؛ ويوم القُحقح، وهو يوم مالة ويوم رأس عين، ويوم طِخفة، ويوم الغَبِيط، ويوم مُخطّط، ويوم جَدود، ويوم الجبايات ويوم زرود الثانى. ٢٠

يوم ذى طلوح: لبنى يربوع على بكر

كان عميرة بن طارق بن حصينة بن أريم بن عبيد بن ثعلبة؛ تزوج مُرِّيّة بنت جابر، أخت أبجر بن جابر العجلى؛ فخرج حتى ابتنى بها فى بنى عجل، فأتى أبجرُ

أختَه مزنة امرأة عميرة يزورها فقال لها : إني لأرجو أن آتيكِ ببنتِ النطف امرأة عميرة التي في قومها ! فقال له عميرة : أترضى أن تحاربني وتسبيني ؟ فندم أبجر وقال لعميرة : ما كنت لأغْزُوَ قومك ! ثم غزا أبجر والحوفزان متساندَين : هذا فيمن تبعه من بني شيبان ، وهذا فيمن تبعه من بني اللهازم ؛ وساروا بعميرة معهم قد وكل به أبجر أخاه حُرفصة بن جابر ؛ فقال له عميرة : لو رجعت إلى أهلي فاحتملتُهم ! فقال حرفصة : افعل فكر عميرة على ناقته ، ثم نكل عن الجيش ، فسار يومين وليلة حتى أتى بني يربوع ، وأنذرهم الجيش ؛ فاجتمعوا حتى التقَوْا بأسفل ذي طلوح ، فأول ما كان فارس طلع عليهم عميرة ، فنادى : يا أبجر هلمّ ! فقال : من أنت ؟ قال : أنا عميرة ! فكذبه ، فسفر عن وجهه ، فعرفه ، فأقبل إليه ، والتقت الخيل بالخيل ، فأُسر الجيش إلا أقلهم .

وأسر حنظلة بن بشر بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم — وكان في بني يربوع — الحوفزان بن شريك ، وأخذه معه مكبلا ، وأُخذ ابن طارق سوادة بن يزيد بن بُجير بن عم أبجر ، وأُخذ ابن عنمة الضبي الشاعر ، وكان مع بني شيبان ، فافتكه متمِّم بن نويرة ؛ فقال ابن عَنمة يمدح مُتمم بن نويرة :

جزى الله ربُّ الناس عني مُتمِّما ٭ بخيْرِ جزاءٍ ، ما أعَفَّ وأمْجَدا

أُجِيرتْ به آباؤنا وبناتنا ٭ وشارَكَ في إطْلاقِنا وتفرّدا

أبا نَهْشَلٍ إني لكم غير كافرٍ ٭ ولا جاعِلٍ من دونِك المالَ مُرصدا

وأُسر سُويد بن الحوفزان ، وأسر سويد وفلحس ، وهما من بني سعد بن همام فقال جرير في ذلك يذكر ذي طُلوح :

ولمّا لقينا خيْلَ أبجَرَ يَدعي ٭ بدعوى لُجَيْمٍ غيرَ ميلِ العواتقِ

صبَرْنا وكان الصبرُ منّا سجيّةً ٭ بأسيافِنا تحت الظّلالِ الخوافِقِ

فلما رأوْا أنْ لا هَوادةَ عندَنا ٭ دعوْا بعد كرْبٍ يا عُميْرَ بنَ طارقِ

يوم الحائر : وهو يوم ملهم . لبنى يربوع على بكر

وذلك أن أبا مُليل عبد الله بن الحارث بن عاصم بن حميد ، وعلقمة أخاه ، انطلقا يطلبان إبلا لهما ، حتى وردا ماءهم من أرض اليمامة ؛ فخرج عليهما نفر من بنى يشكر ، فقتلوا علقمة وأخذوا أبا مُليل ، فكان عندهم ما شاء الله ، ثم خلّوا سبيله ، وأخذوا عليه عهدا وميثاقا أن لا يخبر بأمر أخيه أحدا ؛ فأتى قومه ، فسألوه عن أمر أخيه ، فلم يخبرهم ؛ فقال وبرة بن حمزة : هذا رجل قد أُخذ عليه عهد وميثاق ! فخرجوا يقصُّون أثرَه ، ورئيسُهم شهاب بن عبد القيس ، حتى وردوا ملهم ؛ فلما رآهم أهل ملهم تحصنوا ، فحرقت بنى يربوع بعض زرعهم وعقروا بعض نخلهم ؛ فلما رأى ذلك القوم نزلوا إليهم فقاتلوهم ، فهُزمت بنو يشكر وقتل عمرو بن صابر صبرا ، ضربوا عنقه ، وقَتَل عيينة بن الحارث بن شهاب ابن مُثَلَّم بن عبيد بن عمرو ، رجلا آخر منهم ؛ وقتل مالك بن نويرة حُمران بن عبد الله ، وقال :

طلبْنا بيوم ٍ مثل يوْمك علقما ٭ لَعَمْرى لَمَن يسعى بها كان أكرما
قتلْنا بجنبِ العِرْض عمرَو بن صابرٍ ٭ وحمْرانَ أقصَدناهما والمثَلما
فللهَ عيْنا مَن رأى مثْل خيْلنا ٭ وماأدركَتْ من خيْلهم يوم مَلْهَما

يوم القحقح : وهو يوم مالة . لبنى يربوع على بنى بكر

أغارت بنو أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان على بنى يربوع ، ورئيسهم مجبه بن ربيعة بن ذهل ، فأخذوا إبلا لعاصم بن قرط أحد بنى عُبيد ، وانطلقوا ؛ فطلبهم بنو يربوع ، فناوشوهم ، فكانت الدائرة على بنى ربيعة ؛ وقَتل المنهال بن عصمة المجبه بن ربيعة ؛ فقال فى ذلك نمران الرياحى :

وإذا لقيتَ القوْم فاطْعن فيهم ٭ يوْم اللّقاء كطعْنة المنهالِ
ترَكَ المُجبَّهَ للضّباع مُنكَّسا ٭ والقومُ بين سوافلٍ وعَوالِ

يوم رأس العين : لبنى يربوع على بكر

أغارت طوائف من بنى يربوع على بنى أبى ربيعة برأس العين ، فاطّردوا النَعَم فاتبعهم معاوية بن فراس فى بنى أبى ربيعة ، فأدركوهم ؛ فقتل معاوية بن فراس وفاتوا بالإبل ، وقال سحيم فى ذلك :

٥ أليس الأكرمونَ بنو رِياحٍ * نَمَــوْنى منهم عمى وخالى
هُمُ قتلوا المُجَبَّهَ وآبن تيْمٍ * تنوحُ عليهما سُودُ اللّيالى
وهُمْ قتَلوا عميدَ بنى فِراس * برأسِ العيْنِ فى الحِججِ الخوالى
وذادوا يوْم طِخفَة عن حِماهم * ذِياد غرائبِ الإبلِ النِّهالِ

يوم العظالى : لبنى يربوع على بكر

١٠ قال أبو عبيدة : وهو يوم أعشاش ، ويوم الأُفاقة ، ويوم الإياد ، ويوم مُليحة .

قال وكانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس ، وكانوا يجيرونهم ويجهزونهم ، فأقبلوا من عند عامل عين التمر فى ثلثمائة فارس متساندين ، يتوقعون انحدار بنى يربوع فى الحَزْن — وكانوا يَشْتون خُفافا ، فإذا انقطع الشتاء انحدروا إلى الحزن — قال : فاحتمل بنو عُتيبة ، وبنو عبيد ، وبنو زبيد من بنى سليط ، من ١٥ أول الحى ، حتى استهلوا ببطن مُليحة ؛ فطالعت بنو زبيد فى الحزن حتى حلّوا الحُديقة والأُفاقة ، وحلت بنو عُتيبة وبنو عبيد بعين بروضة الثَّمَد .

قال : وأقبل الجيشُ حتى نزلوا هضبة الخصِىّ ، ثم بعثوا رئيسهم ، فصادفوا غلاما شابا من بنى عبيدة يقال له قرط بن أضبط ، فعرفه بسطام — وقد كان عرفه عامة غُلمان بنى ثعلبة حين أسره عتيبة ؛ قال : وقال سليط : بل هو المطوّح ٢٠ ابن قرواش — فقال له بسطام : أخبرنى ، ماذاك السواد الذى أرى بالحديقة ؟ قال : هم بنو زبيد ، قال : أفيهم أسيد بن حِنّاءة ؟ قال : نعم . قال : كم هم ؟ قال : خمسون بيتا . قال : فأين بنو عُتيبة ؟ وأين بنو أزنم ؟ قال : نزلوا روضة الثمد . قال : فأين سائر الناس ؟ قال : هم محتجزون بخفاف . قال : فمن هناك من بنى عاصم ؟

قال الأحيمر ، وقعنب ومعدان ، أبنا عِصْمة . قال : فمن فيهم من بنى الحارث بن عاصم ؟ قال : حصين بن عبد الله . فقال بسطام لقومه : أطيعونى تقبضوا على هذا الحى من زبيد وتصبحوا سالمين غانمين . قالوا : وما يغنى عنا بنو زبيد لا يودون رحلتنا . قال : إن السلامة إحدى الغنيمتين . فقال له مفروق : انتفخ تتحول يا أبا الصهباء . وقال له هانئ : أحِبنا ! فقال لهم : ويلكم ! إن أسيدا لم يظلّه بيت قط شاتيا ولا قائظا ، إنما بيته القفر ، فإذا أحس بكم أجال على الشقراء فركض حتى يشرف على مليحة ، فينادى : يا آل يربوع ! فتركب ، فيلقاكم طعن ينسيكم الغنيمة ، ولا يُبصر أحدكم مصرع صاحبه ؛ وقد جئتمونى وأنا أتابعكم ، وقد أخبرتكم ما أنتم لاقون غداً ! فقالوا : نلتقط بنى زبيد ، ثم نلتقط بنى عبيدة وبنى عتيبة ، كما نلتقط الكمأة ، ونبعث فارسين فيكونان بطريق أسيد ، فيحولان بينه وبين يربوع . ففعلوا ، فلما أحس بهم أسيد ركب الشقراء ، ثم خرج نحو بنى يربوع ، فابتدره الفارسان ، فطعن أحدهما فألقى نفسه فى شق فأخطأه . ثم كر راجعاً حتى أشرف على مليحة ، فنادى : يا صباحاه ! يا آل يربوع ! غُشيتم ! فتلاحقت الخيل حتى توافوا بالغطفان ، فاقتتلوا ؛ فكانت الدائرة على بنى بكر ، قتل منهم : مفروق ابن عمرو ، فدفن بثنية يقال لها ثنية مفروق ، والمقاعس الشيبانى ، وزهير بن الحزَوّر الشيبانى ، وعمرو بن الحزوّر الشيبانى ، والهيْثم بن المِقْماس ، وعمير بن الوذاك ، والضُّرَيس ؛ وأما بسطام فألح عليه فارسان من بنى يربوع ، وكان دارعاً على ذات النُّسوع ، وكانت إذا أجذت لم يتعلق بها شيء من خيلهم ، وإذا أوعثت كادوا يلحقونها ؛ فلما رأى ثقل درعه وضعها بين يديه على القرَبوس ؛ وكره أن يرمى بها ، وخاف أن يلحق فى الوعث . فلم يزل ديدنه وديدن طالبيه ، حتى حميت الشمس وخاف اللحاق ، فمر بوجار ضبع ، فرمى الدرع فيه . فدَ بعضها بعضاً حتى غابت فى الوجار . فلما خفف عن الفرس نشطت ففاتت الطلب وكان آخرَ من أتى قومه ؛ وقد كان رجع إلى درعه لما رجع عنه القوم فأخذها . فقال العوام فى بسطام وأصحابه :

وإنْ يك فى يوم الغبيطِ مَلامة * فيوم العُظالى كان أخزى وألْوَما

أناخوا يُريدون الصباحَ فصُبِّحوا ٭ وكانوا على الغازين غُدوةَ أشأما
فررتم ولم تَلوُوا على مُجحريكم ٭ لو الحارثُ الحرّاب يُدعَى لأقدما
ولو أنّ بسْطامًا أُطيعَ لأمره ٭ لأدّى إلى الأحياء بالحِنْو مَغنَما
ففرّ أبو الصَّهْباء إذ حَمِىَ الوغى ٭ وألقى بأبدان السلاح وسلّما
٥ وأيقن أنّ الخيلَ إن تلتبسْ به ٭ يَعُدْ غانما أو يَملإِ البيتَ مأْتما
ولو أنها عصفورةٌ لحسِبْتُها ٭ مُسوِّمةً تدعو عُبَيداً وأزْنما
أَبِى لك قَيْدٌ بالغَبيطِ لقاءهم ٭ ويومُ العَظالى إن فخرتَ مكلّما
فأفلتَ بسْطامٌ حريصاً بنفسه ٭ وغادر فى كرْشاء لَدْناً مُقوّما
وقاظ أسيراً هانئٌ وكأنما ٭ مَفارقُ مفروقٍ تَغشَّيْنَ عَندما

١٠ قال : ثم إنّ هانئاً فدى نفسه وأسرَى قومه ؛ فقال العوام فى ذلك :

إنّ الفتى هانئاً لاقى بشِكّته ٭ ولم يَجِمْ عن قتالِ القومِ إذ نَزلا
ثمّتَ سارَع فى الأسرى ففكّهم ٭ حامى الذِّمار حَقيقٌ بالذى فعلا

يوم الغبيط لبنى يربوع على بنى بكر

قال أبو عبيدة : يقال لهذا اليوم : يوم الغبيط ، ويوم الثعالب ـ والثعالب
١٥ أسماء قبائل اجتمعت فيه ـ ويقال له : يوم صحراء فَلْج .

وقال أبو عبيدة : حدّثنى سليط بن سعد ، زبّان الصُّبيرىّ ، وجهم بن حسان السَّليطى ، قالوا : غزا بِسطام بن قيس ، ومفروق بن عمرو ، والحارث ابن شريك ـ وهو الحوفزان ـ بلاد بنى تميم ـ وهذا اليوم قبل يوم العُظالى ـ فأغاروا على بنى ثعلبة بن يربوع ، وثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن عدى
٢٠ ابن فزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ؛ فذلك قيل له يوم الثعالب ، وكان هؤلاء جميعاً متجاورين بصحراء فلج فاقتتلوا ؛ فانهزمت الثعالب فأصابوا فيهم واستاقوا إبلا من نَعمهم ، ولم يشهد عتيبة بن الحارث بن شهاب هذه

الوقعة ؛ لأنه كان نازلا يومئذ فى بنى مالك بن حنظلة ؛ ثم امترّوا على بنى مالك ، وهم بين صحراء فلج وبين الغبيط ، فاكتسحوا إبلهم : فركبت عليهم بنو مالك ، فيهم عتيبة بن الحارث بن شهاب ، ومعه فرسان من بنى يربوع يأثفهم – أى صار معهم مثل الأثافى للرماد – وتألّف إليهم الأحيمر بن عبد الله ، والأسيد بن حِنّاءة ، وأبو مرحب ، وجرو بن سعد الرياحى وهو رئيس بنى يربوع – وربيع ، والخليس ، وعمارة ، وبنو عتيبة بن الحارث ، ومعدان وعصمة ابنا قعنب ، ومالك بن نويرة ، والمنهال بن عصمة أحد بنى رياح بن يربوع ، وهو الذى يقول فيه متمّم بن نويرة فى شعره الذى يرثى فيه مالكا أخاه :

لقد غيّب المنهالُ تحت لوائِه ۞ فتًى غير مِبطان العشيّة أرْوعا

فأدركوهم بغبيط المَدَرة ، فقاتلوهم حتى هزموهم ، وأدركوا ما كانوا استاقوا من أموالهم ؛ وألح عتيبة والأسيد والأحيمر على بسطام ، فلحقه عتيبة فقال : استأسِر لى يا أبا الصهباء ! فقال : ومن أنت ؟ قال : أنا عتيبة ، وأنا خيرٌ لك من الفلاة والعطش ! فأسره عتيبة . ونادى القومُ بِجاداً أخا بسطام : كرّ على أخيك ! وهم يرجون أن يأسروه ، فناداه بسطام : إن كررت فأنا حَنيف . وكان بسطام نصرانيا ، فلحق بجاد بقومه ، فلم يزل بسطام عند عتيبة حتى فادى نفسه .

قال أبو عبيدة : فزعم أبو عمرو بن العلاء أنه فدى نفسّه بأربعمائة بعير وثلاثين فرسا ، ولم يكن عربى عكاظى أعلى فداءً منه ، على أن جز ناصيته وعاهده أن لا يغزو بنى شهاب أبدا ؛ فقال عتيبة بن الحارث بن شهاب :

أبلغْ سَراةَ بنى شيْبان مألكةً ۞ أنى أبأتُ بعبدِ الله بسْطاما

قاظَ الشربّة فى قيدٍ وسلسلةٍ ۞ صوتُ الحديدِ يُغَنّيه إذا قاما

يوم مخطط : لبنى يربوع على بكر

قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس والحوفزان الحرثُ متساندَين يقودان بكر بن وائل ، حتى وردوا على بنى يربوع بالفِردوس ، وهو بطن لإياد ، وبينه وبين مخطط ليلة ، وقد نذِرت بهم بنو يربوع فالتقوا بالمخطط ، فاقتتلوا ، فانهزمت بكر بن وائل ، وهرب الحوفزان وبسطام ففاتا ركضا ، وقُتل شريك بن الحوفزان ، قتله شهاب بن الحارث أخو عتيبة ، وأسر الأحيمر بن عبد الله بن الضريس الشيبانى ؛ فقال فى ذلك مالك بن نويرة ولم يشهد هذا اليوم :

إلّا أكن لاقيتُ يومَ مُخطَّطٍ * فقد خَبّرَ الرُّكبانُ ما أتودّدُ
بأفناء حىّ من قبائل مالكٍ * وعمرو بن يربوعٍ أقاموا فأخلَدوا
فقال الرئيسُ الحوفزان تبيَّنوا * بنى الحِصنِ قد شارفتم ثم حَرِّدوا
فما فَتِئوا حتى رأَوْنا كأننا * مع الصبح آذِىٌّ من البحر مُزْبِد
بملمومة شهباءَ يَبرُقُ خالُها * تَرى الشمسَ فيها حين دارتْ توقُّد
فما بَرِحوا حتى علَتْهم كتائبٌ * إذا طُعنت فرسانها لا تُعَرِّد
فأقررتُ عينى يوم ظلّوا كأنهم * ببطن غَبيطٍ خُشْبُ أثْلٍ مُسنَّد
صَريعٌ عليه الطيرُ تَحجِلُ فوقَه * وآخَرُ مَكْبولُ اليدَين مُقيَّد
وكان لهم فى أهلِهم ونسائِهم * مَبيتٌ ولم يَدْروا بما يُحدِثُ الغد
وقد كان لابن الحوفزان لو انتهى * شَريكٌ وبسْطامٌ عن الشرّ مقعَد

يوم جدود

غزا الحوفزان ، وهو الحارث بن شريك ، فأغار على من بالقاعة من بنى سعد ابن زيد مناة ؛ فأخذ نَعَما كثيرا ، وسبى فيهنّ الزرقاء من بنى ربيع بن الحارث ، فأعجب بها وأعجبت به ، وكانت خرقاء ، فلم يتمالك أن وقع بها ؛ فلما انتهى إلى جَدود ، منعتهم بنو يربوع بن حنظلة أن يردوا الماء ، ورئيسُهم عتيبة بن الحارث

ابن شهاب ، فقاتلوهم ، فلم يكن لبنى بكر بهم يدٌ ، فصالحوهم على أن يعطوا بنى يربوع بعض غنائمهم ، على أن يخلُّوهم [أنْ] يردوا الماء ، فقبلوا ذلك وأجازوهم ؛ فبلغ ذلك بنى سعد ، فقال قيس بن عاصم فى ذلك :

جزى اللهُ يرْبوعًا بأسوأ سعْيها * إذا ذُكرتْ فى النائباتِ أمورُها

ويومَ جَدودٍ قد فضَحْتمْ أباكمُ * وسالمْتمُ والخيلُ تَدْمَى نُحورُها

فأجابه مالك :

سأسأل مَن لاقَى فوارِسَ مُنقِذٍ * رِقابَ إماءٍ كيف كان نكيرُها

ولما أتى الصريخُ بنى سعد ، ركب قيس بن عاصم فى أثر القوم حتى أدركهم بالأشْيَمَيْن ، فألح قيس على الحوفزان وقد حمل الزرقاء ، وكان الحوفزان قد خرج فى طليعة ، فلقيه قيس بن عاصم فسأله من هو ؛ فقال : لا تَكاتُم اليوم ، أنا الحوفزان ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو على . ومضى ، ورجع الحوفزان إلى أصحابه ، فقال : لقيت رجلا أزرق كأنّ لحيته ضريبة صوف فقال : أنا أبو على . فقالت عجوز من السبي : بأبى أبو على ! ومن لنا بأبى على ؟ فقال لها : ومن أبو على ؟ قالت : قيس بن عاصم ! فقال لأصحابه : النجاء ! وأردف الزرقاء خلفه وهو على فرسه الزَّبِد ، وعقد شعرها إلى صدره ونجا بها . وكانت فرس قيس إذا أوعثت قصّرت وتمطّر عليها الزّبد ، فلما أجدّت لحقتْ بحيث يُكلم الحوفزان ، فقال قيس له : يا أبا حمار ، أنا خير لك من الفلاة والعطش ! قال له الحوفزان : ماشاء الزبِد . فلما رأى قيس أن فرسه لا يلحقه ، نادى الزرقاء فقال : ميلى به يا جعار ! فلما سمعه الحوفزان ، دفعها بمرفقه وجزّ قرونها بسيفه ، فألقاها عن عجز فرسه ، وخاف قيس أن لا يلحقه فنجله بالرمح فى خُرابة وركه ، فلم يُقصِده وعَرج منها وردّ قيس الزرقاء إلى بنى الربيع ، فقال سوّار بن حيّان المِنقرى :

ونحن حَفَزْنا الحوْفزان بطعْنةٍ * تمُجُّ نجيعًا من دمِ الجوْفِ أشْكلا

يوم سفوان

قال أبو عبيدة : التقت بنو مازن وبنو شيبان على ماء يقال له سفوان فزعمت بنو شيبان أنه لهم ، وأرادوا أن يُجلوا تميما عنه ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فظهرت عليهم بنو تميم ، وذادوهم حتى وردوا الحدَث ، وكانوا يتوعّدون بنى مازن قبل ذلك ، فقال فى ذلك وذاك المازنى : ٥

رُويداً بنى شيبانَ بعضَ وعيدِكم ٭ تُلاقوا غداً خيلى على سفَوان
تلاقوا جياداً لا تَحيد عن الوغَى ٭ إذا الخيلُ جالت فى القنا المتدانِى
عليها الكُماة الغُرُّ من آل مازنٍ ٭ ليوثُ طعانٍ كلَّ يومِ طعان
تلاقوهم فتعْرفوا كيف صبرُهُم ٭ على ما جنت فيهم يدُ الحدَثان
مقاديمُ وصّالون فى الروع خطوَهُم ٭ بكلِّ رقيق الشَّفْرتين يمانِ ١٠
إذا استُنجدوا لم يسألوا من دعاهم ٭ لأيّةِ حربٍ أم لأىِّ مكان

يوم السلى

قال أبو عبيدة : كان من حديث يوم السلى أن بنى مازن أغارت على بنى يشكر فأصابوا منهم ، وشدّ زاهر بن عبد الله بن مالك على تميم بن ثعلبة اليشكرى فقتله ، فقال فى ذلك : ١٥

لله تيمٌ أىُّ رُمحِ طرادٍ ٭ لاقى الحِمام وأى نصل جلادِ
ومحشُّ حربٍ مقدمٌ متعرضٌ ٭ للموتِ غيرُ معرِّدٍ حيّاد

وقال حاجب بن ذبيان المازنى :

سلى يشكراً عنى وأبناء وائلٍ ٭ لهازِمَها طرًّا وجمع الأراقمِ
ألم تعلمى أنّا إذا الحربُ شمرت ٭ سِمامٌ على أعدائنا فى الحلاقم ٢٠
عُتاةٌ قراةٌ فى الشّتاء مساعِرٌ ٭ حُماةٌ كماةٌ كالليوثِ الضراغمِ

بأيديهم سُمْرٌ من الخطِّ لدْنةٌ * وبيضٌ تجلى عن فراخ الجماجمِ

أولئكَ قومٌ إن فخرتُ بعزِّهم * فخرتُ بِعزٍّ فى اللُّهى والغَلاصم

هُمُ أنزلوا يوم السليِّ عزيزَها * بسُمْرِ العوالِى والسُّيوفِ الصَّوارِم

يوم نقاء الحسن : وهو يوم السقيفة لبنى ضبه على شيبان

قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ـ وقيس ابن مسعود هو ذو الجدّين وأخوه ، السليل بن قيس بن ضبة بن أد بن طابخة ـ فأغار على ألف بعير لمالك بن المنتفق فيها فحلها قد فقأ عينه ، وفى الإبل مالك ابن المنتفق ، فركب فرساً له ونجا ركضا ، حتى إذا دنا من قومه نادى : يا صباحاه ! فركبت بنو ضبة ؛ وتداعت بنو تميم ، فتلاحقوا بالنقا ، فقال عاصم بن خليفة لرجل من فرسان قومه أيهم رئيس القوم ؟ قال : حاميتهم صاحب الفرس الأدهم يعنى بسطاما ، فعلا عاصمٌ عليه بالرمح فعارضه ، حتى إذا كان بحذائه رمى بالقوس وجمع يديه فى رمحه فطعنه ، فلم تخطئ صماخ أذنه ، حتى خرج الرمح من الناحية الأخرى ، وخرّ على الألاءة ـ والألاءة شجرة ـ فلما رأى ذلك بنو شيبان خلّوا سبيل النعم وولوا الأدبار ؛ فمن قتيل وأسير ؛ وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس بن مسعود أخا بسطام فى سبعين من بنى شيبان ، فقال ابن غنمة الضبى ، وهو مجاورٌ يومئذ فى بنى شيبان يرثى بسطاما وخاف أن يقتلوه ، فقال :

لأمِّ الأرضِ ويلٌ ما أجنَّت * بحيثُ أضرَّ بالحسنِ السبيلُ

نقسم ماله فينا وندعو * أبا الصهباء إذ جَنح الأصيل

كأنكِ لم تَرَيْه ولم تريه * تخُبُّ به عُذَا فرةٌ ذَمول

حقيبةُ رحْلها بدنٌ وسرجٌ * تعارضُها مربَّةٌ دءول

إلى ميعادِ أرْعَنَ مكفهرٍّ * تُضمَّرُ فى جوانبه الخيُول

لك المِرْباعُ منها والصَّفايا * وحُكمُك والنشيطَة والفضُول

لقد ضمِنت بنو زيد بن عمرو * ولا يوفِى ببسطامٍ قتيل

خرّ على الآلاءة لم يوسّد * كأنّ جبينَه سيفٌ صقيلُ
فإن تجزَع عليه بنو أبيهِ * فقد فُجِعوا وحلَّ بهم جليل
بمطعامٍ إذا الأشوالُ راحت * إلى الحجراتِ ليس لها فصِيل

وقال شملة بن الأخضر بن هُبيرة :

٥ ويومَ شقائقِ الحسنَيْنِ لاقت * بنو شيبانَ آجالا قِصاراً
شككْنا بالرماحِ وهُنّ زورٌ * صماخَى كبشِهم حتى استدارا
وأوجَرْناه أسمرَ ذا كعوبٍ * يشبّه طولُه مسَداً مُغارا

وقال محرز بن المكعبر الضبي :

أطلقتُ من شيبانَ سبعينَ راكباً * فآبوا جميعاً كلُّهم ليس يشكر
١٠ إذا كنتَ فى أفنانِ شيبانَ مُنعماً * فجُزَّ اللحى إنّ النواصيَ تكفر
فلا شكرهم أبغى إذا كنتُ مُنعما * ولا ودّهم فى آخر الدهر أُضمِر

أيام بكر على تميم

يوم الزُّوَيرَين

قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل تنتجع أرض تميم فى الجاهلية ترعى بها
١٥ إذا أجدبوا ، فإذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عورة يصيبونها ولا شيئا يظفرون
به إلا اكتسحوه ؛ فقالت بنو تميم : امنعوا هؤلاء القوم من رعْى أرضكم وما
يأتون إليكم فحشدت تميم ، وحشدت بكر واجتمعت ؛ فلم يتخلف منهم إلا
الحوفزان بن شريك فى أناس من بنى ذهل بن شيبان وكان غازيا ؛ فقدّمت بكر
عليهم عمراً الأصم أبا مفروق ـ قال : وهو عمرو بن قيس بن مسعود أبو عمر
٢٠ ابن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ـ فحسد سائرُ ربيعة الأصم على الرياسة ، فأتوه
فقالوا : يا أبا مفروق ، إنا قد زحفنا لتميم وزحفوا لنا أكثر ما كنا وكانوا قط .
قال : فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن نجعل كل حى على حياله ، ونجعل عليهم رجلا

منهم ؛ فنعرف غَناء كل قبيلة ، فإنه أشدّ لاجتهاد الناس ! قال : والله إنى لأبغض الخلاف عليكم ، ولكن يأتى مفروق فينظر فيما قلتم . فلما جاء مفروق شاوره أبوه ـ وذلك أول يوم ذُكر فيه مفروق بن عمرو ــ فقال له مفروق : ليس هذا أرادوا ، وإنما أرادوا أن يخدعوك عن رأيك وحسدوك على رياستك ؛ والله لئن لقيت القوم فظفرت لايزال الفضلُ لنا بذلك أبدا ، ولئن ظفر بك لاتزال لنا رياسة نُعرف بها ! فقال الأصم : ياقوم ، قد استشرت مفروقا فرأيته مخالفا لكم ، ولست مخالفا رأيه وما أشار إليه . فأقبلت تميم بجملين مجللين مقرونين مقيدين ، وقالوا : لانولّى حتى يولى هذان الجملان ، وهما الزويران . فأخبرت بكر بقولهم الأصمّ ، فقال : وأنا زويركم ، إن حشُوهما فحشُونى ، وإن عقروهما فاعقرونى ! قال : والتقى القوم ، فاقتتلوا قتالا شديدا .

قال : وأسرت القوم بنو تميم ، حرّاث بن مالك أخا مرة بن همام ، فركض به رجل منهم وقد أردفه ، واتبعه ابنه قتادة بن حراث ، حتى لحق الفارس الذى أسر أباه ، فطعنه فأراده عن فرسه ، واستنقذ أباه ؛ ثم استحرّ بين الفريقين القتال ، فانهزمت بنو تميم ؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة . فمن قتل منهم : أبو الرئيس النهشلى . وأخذت بكر الزويرين ، أخذتهما بنو سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، فنحروا أحدهما فأكلوه وافتحلوا الآخر ، وكان نجيبا ، فقال رجل من بنى سدوس :

يا سَلْمُ إن تسألِى عنّا فلا كشفٌ * عند اللّقاء ولسنا بالمقاريفِ
نحنُ الذين هَزمنا يوم صبَّحنا * جيشَ الزُّويرينِ فى جمعِ الأحاليف
ظلُّوا وظلنا نكر الخيلَ وسطهمُ * بالشِّيبِ منّا وبالمرْدِ الغطاريفِ

وقال الأغلب بن جُشم العجلى :

جاءوا بزويرهم وجئنا بالأصم * شيخٌ لنا قد كان من عهدِ إرمْ
يكرُّ بالسّيفِ إذا الرمحُ انحطمْ * كهمّةِ الليْثِ إذا ما الليثُ هم
كانت تميمٌ معشراً ذوِى كرمْ * غلصمةً من الغلاصِمِ العظم

قد نَفخُوا لو ينفُخُون فى فَحَمْ * وصبَرُوا لو صبَروا على أمَمْ
إذ ركِبَتْ ضَبَّةُ أعجازَ النَّعمْ * فلمْ تَدَعْ ساقاً لها ولا قدمْ

يوم الشيطين : لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : لما ظهر الإسلام ـ قبل أن يسلم أهل نجد والعراق ـ
٥ سارت بكر بن وائل إلى السواد ، وقالت : نغير على تميم بالشيِّطَين ؛ فإن في دِين ابن عبد المطلب : من قتل نفساً قُتل بها ؛ فنغير هذا العام ثم نسلم عليها ! فارتحلوا من لعلع بالذرارى والأموال ؛ فأتوا الشيطين فى أربع ، وبينهما مسيرة ثمانية أميال ؛ فسبقوا كل خبر حتى صبحوهم وهم لا يشعرون ، ورئيسهم يومئذ بشر بن مسعود بن قيس بن خالد ذى الجدين ؛ فقتلوا بنى تميم قتلا ذريعاً ، وأخذوا أموالهم ؛ واستحر القتل
١٠ فى بنى العنبر وبنى ضبة وبنى يربوع ، دون بنى مالك بن حنظلة .

قال أبو عبيدة : حدثنا أبو الحناء العنبرى ؛ قال قتل من بنى تميم يوم الشيِّطَين ستمائة رجل . قال : فوفد وفد بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فقالوا : ادعُ الله على بكر بن وائل ! فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رُشَيد ابن رميض العنبرى :

١٥ وما كانَ بيْن الشيِّطَيْنِ ولعْلَعٍ * لنسوتنا إلاَّ مَراجعُ أربعُ
فجئنا بجمعٍ لم يرَ النَّاسُ مِثلهُ * يكادُ لهُ ظهرُ الوريعة يَضلَعُ
بأرْعَنَ دَهْمٍ شيّد البُلق وسْطهُ * له عارِضٌ فيه الأسِنَّةُ تلمعُ
صَبَحْنا بِهِ سعداً وعَمْراً ومالكا * فكان لهم يومٌ مِنَ الشَّرِّ أشنعُ
فخلَّوْا لنا صحنَ العِراقِ وإنَّه * حِمًى منهم لا يُستطاعُ مُمَنَّعُ

٢٠ يوم صعفوق : لبكر على تميم

أغارت بنو أبى ربيعة على بنى سليط بن يربوع يوم صعفوق ، فأصابوا منهم أسرى ، فأتى طريفُ بن تميم العنبرى فروة بن مسعود ، وهو يومئذ سيد

بنى أبى ربيعة ، ففدى منهم أسرى بنى سليط ورهَنهم ابنه ؛ فأبطأ عليهم فقتلوا ابنه ، فقال :

لا تأمَنَنَّ سُلَيْمى أنْ أُفارِقَها * صرْعى الظَّعائنِ بعد اليوْمِ صُعْفوق
أعطيْتُ أعداءهُ طوْعاً برُمَّتِهِ * ثم انصرفْتُ وظنى غيرُ موثوق

٥

يوم مبايض : لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : كانت الفرسان إذا كانت أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضا ، تقنَّعوا كى لا يُعرفوا ، وكان طريف بن تميم العنبرى لا يتقنَّع كما يتقنعون ، فوافى عكاظ وقد كشفت بكر بن وائل ، وكان طريف قتل شراحيل الشيبانى أحد بنى عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ، فقال حصيصة : أرونى طريفا . فأروه إياه ، فجعل كلما مر به تأمله ونظر إليه ففطن طريف ، فقال : مالَكَ تنظر إلىّ ؟ فقال : أتوسَّمك لأعرفك ؛ فلله علىّ إن لقيتُك أن أقتلك أو تقتلنى ! فقال طريف فى ذلك :

١٠

أوَ كلما وردَتْ عكاظَ قبيلةٌ * بعثوا إلىّ عَريفَهم يتوسَّمُ
فتوسَّمونى إننى أنا ذلكم * شاكى سلاحى فى الحوادثِ مُعْلِمُ
تحتى الأغرُّ وفوْق جلدى نثرةٌ * زغْفٌ تَردُّ السَّيفَ وهو مُثَلَّمُ
حوْلى أسيِّد والهُجَيْم ومازنٌ * وإذا حللتُ فحوْل بيتىَ خَضَّمُ

١٥

قال : فمضى لذلك ما شاء الله ، ثم إن بنى عائذة حلفاء بنى أبى ربيعة بن ذهل ابن أبى شيبان — وهم يزعمون أنهم من قريش ، وأن عائذة بن لؤى بن غالب — خرج منهم رجلان يصيدان ، فعرض لهما رجل من بنى شيبان ، فذعر عليهما صيدَهما ، فوثبا عليه فقتلاه ؛ فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما فأبت بنو ربيعة عليهم ذلك ؛ فقال هانئ بن مسعود : يا بنى ربيعة ، إن إخوتكم قد أرادوا ظلمكم فانمازوا عنهم . قال : ففارقوهم وساروا حتى نزلوا بمبايض ، ماء لهم — ومبايض علم من وراء الدهناء — فأبق عبدٌ لرجل من بنى أبى ربيعة ،

٢٠

فسار إلى بلاد تميم ، فأخبرهم أن حيًّا جديدا من بنى بكر بن وائل نُزولٌ على مبايض ؛ وهم بنو أبى ربيعة والحى الجديد المنتق من قومه ؛ فقال طريف العنبرى : هؤلاء ثأرى ياآل تميم ، إنمـا هم أُكلة رأس . وأقبل فى بنى عمرو بن تميم ، وأقبل معه أبو الجدعاء ، أحد بنى طُهية ، وجاءه فدكىّ بن أعبد المِنقرى فى جمع من بنى سعد ابن زيد مناة ؛ فنـذِرت بهم بنو أبى ربيعة ، فانحاز بهم هانئ بن مسعود وهو رئيسهم ، إلى علم مبايض ؛ فأقاموا عليه وشرقوا بالأموال والسَّرح ، وصبَّحتهم بنو تميم ؛ فقال لهم طريف : أطيعونى ولترغوا من هؤلاء الأكلب يصْفُ لكم ما وراءهم . فقال له أبو الجدعاء رئيس بنى حنظلة ، وبدكى رئيس بنى سعد بن مناة : أنقاتل أكلبا أحرزوا نفوسهم ونترك أموالهم ؟ ما هذا برأى ، وأبَوْا عليه . فقال هانئ لأصحابه : لا يقاتل رجل منكم ولحقت تميم بالنعم والبغال فأغاروا عليها ، فلما ملئوا أيديَهم من الغنيمة قال هانئ بن مسعود لأصحابه : احملوا عليهم . فهزموهم وقتلوا طريفا العنبرى ، قتله حَمَصيصة الشيبانى ، وقال :

ولقد دعوتَ طريفَ دعْوةَ جاهلٍ * سفَهاً وأنت بمَعْلم قد تعْـلَمُ
وأتيْتَ حيًّا فى الحروبِ مَحَلُّهم * والجيْشُ باسم أبيهم يُستقْدمُ
فوجدْتَ قوْما يمنعون ذِمارَهُم * بُسلاء إذا هابَ الفوارِس أقدَموا
وإذا دُعُوا أبنى ربيعةَ ! شمَّروا * بكتائبٍ دون السماء تلملم
حشَـدوا عليك وعجَّلوا بِقِرائهم * وحَموْا ذِمار أبيهم أنْ يُشتموا
سلبوك درعَك والأغرَّ كلاهما * وبنو أُسيْد أسلموك وخضَّم

يوم فيحان : لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : لمـا بدى بسطام بن قيس من عُتيبة بن الحارث إذ أسر يوم الغبيط بأربعمائة بعير ، قال : لأدركن عقْل إبلى ! فأغار بفيحان ؛ فأخذ الربيع بن عتيبة واستاق ماله ، فلما سار يومين شُغل عن الربيع بالشراب ، وقد مال الربيع على قدّه حتى لان ، ثم خلعه وانحلّ منه . ثم جال فى متْن ذات النسوع — فرس

بسطام — وهرب ، فركبوا فى أثره ؛ فلما يئسوا منه ناداه بسطام : يا ربيع ، هلمّ طليقا ! فأبى . قال : وأتى نادِىَ قومه يحدثهم ، فجعل يقول فى أثناء حديثه : إيها يا ربيع ! انج ربيع ! وكان معه رئى .

قال : وأقبل ربيع حتى انتهى إلى أدنى بنى يربوع ، فإذا هو براع ، فاستسقاه وضربت الفرس برأسها فماتت . فسُمى ذلك المكان إلى اليوم : عبير الفرس . ٥

قال له أبو عُتيبة : أما إذ نجوت بنفسك فإنى مخلفٌ لك مالك .

يوم ذى قار الأول : لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : فخرج عتيبة فى نحو خمسة عشر فارسا من بنى يربوع فكمن فى حبى ذى قار ، حتى مرت به إبل بنى الحصين بالقَداوية ، اسم ماء لهم ، فصاحوا بمن بها من الحامية والرِّعاء ، ثم استاقوها . ١٠

فأخلف للربيع ما ذهب له ، وقال :

ألم تَرَنِى أمأتُ على ربيعٍ * جِلاداً فى مَبارِكِها وخُورا

وأنى قد تَركْت بنى حُصينٍ * بذى قارٍ يَرمُّون الأمورا

يوم الحاجر : لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : خرج وائل بن صريم اليشكرى من اليمامة ، فلقيه بنو أُسيد ١٥ ابن عمرو بن تميم ، فأخذوه أسيراً ، فجعلوا يغمسونه فى الركيّة ويقولون :

* يا أيها المائحُ دَلْوِى دُونَكا *

حتى قتلوه ؛ فغزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجر ، فأخذ ثمامة بن باعث ابن صريم رجلا من بنى أسيد كان وجيهاً فيهم فقتله ، وقتل على الظنّة مائة منهم ، فقال باعث بن صريم : ٢٠

سائلْ أُسيداً هل ثأرْتُ بوائلٍ * أمْ هل شَفَيتُ النّفس من بَلْبالِها

إذ أرسلونىَ ماتِحاً لدِلائهم * فملأْتُها عَلَقاً إلى أسبالها

إنى ومَن سَمَكَ السَّماء مكانَها * والبدرَ ليلةَ نصفِها وهِلالهـا
آليتُ أثقفُ منهم ذا لحيَةٍ * أبداً فتنظر عينُه فى مالهـا

وقال :

سائلْ أُسيْداً هل ثأرتُ بِوائل * أم هل أتيتُهم بأمرٍ مُبرِمِ
إذ أرسلونى ماتِحاً لِدِلائهم * فَلأُتهنّ إلى العراق بالدَّم ! ٥

يوم الشقيق : لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : أغار أبجر بن جابر العجلى على بنى مالك بن حنظلة ، فسبى سُليْمى بنت محصن ، فولدت له أبجر . ففى ذلك يقول أبو النجم :

ولقد كرَرْتُ على طُهيْة كَرّةً * حتى طَرقْتُ نساءها بمَساء

حرب البسوس ١٠

وهى حرب بكر وتغلب ، ابنى وائل

أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال : لم تجتمع معَدْ كلُّها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب ، وهم عامر ، وربيعة ، وكليب .

فالأول : عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث ، وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، وهو الناس بن مضر . وعامر بن الظرب ١٥ هو قائد معدّ يوم البيداء ، حين تمذحجت مذحج وسارت إلى تهامة ، وهى أول وقعة كانت بين تهامة واليمن .

والثانى : ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حُبَيب ابن كعب ، هو قائد معد يوم السُّلّان ، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن .

٢٠ والثالث : كليب بن ربيعة ، وهو الذى يقال فيـه : أعز من كليب وائل . وقاد معـدًّا كلها يوم خَزَازَ ، ففض جموع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليـه

معد كلها ، وجعلوا له قَسْم الملك وتاجه وتحيته وطاعته فغبر بذلك حينا من دهره . ثم دخله زهو شديد ، وبغى على قومه لما هو فيه من عزه ، وانقيادِ معدّ له ؛ حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا يُرعى حماه ، ويجير على الدهر فلا تُخفر ذمّته ، ويقول : وحش أرض كذا فى جوارى ! فلا يهاج ، ولا تورد إبل أحد مع إبله ، ولا توقد نار مع ناره ، حتى قالت العرب : أعز من كليب وائل .

وكانت بنو جشم وبنو شيبان فى دار واحدة بتهامة ، وكان كليب بن وائل قد تزوج جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان ، وأخوها جساس بن مرة ؛ وكانت البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة ، وكانت نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس ، وكان لها ناقة يقال لها سراب ، ولها تقول العرب : أشأم من سراب ، وأشأم من البسوس ! فمرت إبل لكليب بسراب ناقةِ البسوس ، وهى معقولة بفناء بيتها ، جوار جساس بن مرة ؛ فلما رأت سرابُ الإبل نازعت عقالها حتى قطعته ، وتبعت الإبل واختلطت بها ، حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض ، معه قوس وكنانة ؛ فلما رآها أنكرها ، فانتزع لها سهما فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهى ترغو ، فلما رأتها البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت : واذُلّاه ! واجاراه ! وخرجت .

مقتل كليب بن وائل

فأحمست جسّاسا ، فركب فرساً له مغروراً به ، فأخذ آلته ، وتبعه عمرو ابن الحارث بن ذهل بن شيبان على فرسه ، ومعه رمحه ، حتى دخلا على كليب الحمى ، فقال له : يا أبا الماجدة ، عمدت إلى ناقة جارتى ، فعقرتها ! فقال له : أتراك مانِعِى أن أذبّ عن حِماى ؟ فأحمسه الغضب ، فطعنه جساس فقصم صلبه ، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قَطنه ؛ فوقع كليب وهو يفحص برجله ؛ وقال لجساس : أغِثنى بشربة من ماء ! فقال : تجاوزت شبيثاً والأحصّ : ففى ذلك

يقول عمرو بن الأهتم :

وإنّ كُليباً كان يَظلم قومَه ۔ فأدركَه مثلُ الذى تَريانِ
فلما حَشاه الرُّمحُ كفُّ ابن عمه ۔ تَذكَّرَ ظلمَ الأهلِ أىَّ أوانِ
وقال لجسّاسٍ أغثْنى بشربةٍ ۔ وإلا فخبِّر مَن رأيتَ مكانى
٥ فقال تجاوزتَ الأحصَّ وماءه ۔ وبطنَ شُبيثٍ وهو غيرُ دفان

وقال نابغة بنى جعدة :

أَبلغْ عِقالا أنّ خُطةَ داحِسٍ ۔ بكفَّيكَ فاستأخرْ لها أو تقدّمِ
كليبٌ لعمرى كان أكثرَ ناصراً ۔ وأيسرَ ذنباً منكَ ضُرِّج بالدّم
رمَى ضِرْعَ ناب فاستمَرّ بطعْنة ۔ كحاشيةِ البُرْدِ اليمانى المُسهَّم
١٠ وقال لجسّاس أغثْنى بشربةٍ ۔ تَدارَكْ بها مَنًّا علىّ وأنعِم
فقال تجاوزتَ الأحصَّ وماءه ۔ وبطنَ شُبَيثٍ وهو ذو مُترسَّم

فلما قُتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النِّهىّ ؛ وتشمر المهلهل أخو كليب ـ واسمه عدى بن ربيعة ، وإنما قيل المهلهل لأنه أوّل من هلهل الشعر ، أى أرقَّه ـ واستعد لحرب بكر ، وترك النساء والغزل ، ١٥ وحرّم القمار والشراب ، وجمع إليه قومه ، فأرسل رجلاً منهم إلى بنى شيبان يُعذر إليهم فيما وقع من الأمر ؛ فأتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو فى نادى قومه ، فقالوا له : إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليباً بنابٍ من الإبل ، فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمة ؛ وإنا كرهنا العجلة عليكم دون الإعذار إليكم ؛ ونحن نعرض عليكم خلالا أربعا ، لكم فيها مخرج ، ولنا مقنع . فقال مرة : ٢٠ وما هى ؟ قال : تحيى لنا كليبا ، أو تدفع إلينا جساساً قاتِلَه فنقتله به ، أو همّاما فإنه كفء له ، أو تمكننا من نفسك ، فإنّ فيك وفاءً من دمه ! فقال : أمّا إحيائى كليباً فهذا ما لا يكون ، وأمّا جساس فإنه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى أىُّ البلاد احتوى عليه ، وأمّا همام فإنه أبو عشرة

وأخو عشرة وعم عشرة ، كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه إلىّ فأدفعه إليكم يُقتَل بجريرة غيره ، وأما أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جولة غداً فأكون أولَ قتيلٍ فيها ، فما أتعجل من الموت ؟ ولكنْ لكم عندى خصلتان : أما إحداهما فهؤلاء بنىّ الباقون ، فعلقوا فى عنق أيهم شئتم نسعة فانطلقوا به إلى رحالكم فاذبحوه ذبح الجزور ، وإلا فألف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من بنى وائل ! فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تُرذل لنا ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب .

ووقعت الحرب بينهم .

ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها وقومها ، ودعت تغلبُ النمرَ بن قاسط فانضمت إلى بنى كليب وصاروا يداً معهم على بكر ؛ ولحقت بهم غُفيلة بن قاسط ، واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال إخوتهم ، وأعظموا قتل جساس كليباً بنابٍ من الإبل ؛ فظعنت لجيم عنهم ، وكفت يشكر عن نصرتهم ، وانقبض الحارث بن عباد فى أهل بيته ، وهو أبو بجير وفارسُ النعامة . وقال المهلهل يرثى كليبا :

بِتُّ ليلى بالأنعمينَ طويلا ٭ أرقُبُ النجمَ ساهراً أن يَزولا

كيف أهدا ولا يزال قتيل ٭ مِن بَنِى وائلٍ يُنسِّى قتيلا

غَيَّبتْ دارُنا تِهامةَ فى الدهْـ ٭ ـرِ وفيها بنو مَعَدٍّ حُلولا

فتَساقوْا كأسًا أُمِرَّت عليهم ٭ بينهم يقتل العزيزُ الذليلا

فصبَحْنا بنى لجيمٍ بضربٍ ٭ يَترك الهامَ وقْعُه مفلولا

لم يُطيقوا أن يَنزلوا ونَزلنا ٭ وأخو الحرب مَن أطاق النزولا

انتضَوْا مَعْجِس القِسِىِّ وأبرقْـ ٭ ـنا كما تُوعِد الفحولُ الفحولا

قتَـــلوا ربَّهم كُليْباً سفاهاً ٭ ثم قالوا ما إن نَخاف عَويلا

كذَبوا والحرامِ والحلِّ حتى ٭ يُسلَب الخِدرُ بيضَه المحجولا

ويموتَ الجنينُ فى عاطفِ الرَّحْـ * ـمِ وتُروى رماحُنا والخيولا

وقال أيضا يرثيه :

كليبُ لا خير فى الدنيا ومَن فيها * إذ أنت خلّيتها فيمن يُخلّيها
كليب أىُّ فتى عزّ ومكرُمةٍ * تحت السقائف إذ يعلوك سافيها
٥ نَعى النعاة كليباً لى فقلتُ لهم * مالت بنا الأرضُ أو زالت رواسيها
الحزمُ والعزم كانا من صنيعته * ما كلُّ آلائه يا قومُ أحصيها
القائدُ الخيلَ تردى فى أعنّتها * زهوًا إذا الخيلُ لجّت فى تعاديها
من خيل تَغلبَ ما تُلقَى أسنّتها * إلا وقد خضّبوها من أعاديها
يُهزهِزون من الخطّىّ مُدمَجةً * كُمْتاً أنابيبُها زرقا عواليها
١٠ ترى الرماحَ بأيدينا فنُوردُها * بيضًا وتُصدرُها حُمراً أعاليها
ليتَ السماء على مَن تحتَها وقعتْ * وانشقّت الأرضُ فانجابت بمن فيها
لا أصلَح اللهُ منّا مَن يُصالحكم * ما لاحت الشمسُ فى أعلى مجاريها

يوم النهى

قال أبو المنذر : أخبرنى خراش أنّ أول وقعة كانت بينهم يوم النِّهى ؛ فالتقوا
١٥ بماء يقال له النّهى ، كانت بنو شيبان نازلة عليه ، ورئيسُ تغلب المهلهل ، ورئيس شيبان الحارث بن مرة ؛ فكانت الدائرة لبنى تغلب ، وكانت الشوكة فى شيبان ؛ واستحر القتل فيهم إلا أنه لم يُقتل فى ذلك اليوم أحدٌ من بنى مرة .

يوم الذنائب

ثم التقوا بالذنائب ، وهو أعظم وقعة لهم ؛ فظفرت بنو تغلب ، وقتلت
٢٠ بكرا مقتلة عظيمة ، وفيها قتل شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ـ وهو جدّ الحوفزان ، وهو جد معن بن زائدة ، والحوفزان هو

الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل - قتله عتاب بن سعد بن زهير ابن جشم ، وقُتل الحرث بن مرة بن ذهل بن شيبان ، قتله كعب بن زهير بن جشم ؛ وقتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة. وقتل من بنى تيم الله : جميل بن مالك بن تيم الله ، وعبيد الله بن مالك بن تيم الله. وقتل من بنى قيس بن ثعلبة : سعد بن ضبيعة بن قيس ، وتميم بن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد الخرفين ، وكان شيخا كبيرا ، فحمل فى هودج ، فلحقه عمرو بن مالك ابن الفدوكس بن جشم ، وهو جد الأخطل ، فقتله . هؤلاء مَن أصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب .

يوم واردات

ثم التقوا بواردات ، وعلى الناس رؤساؤهم الذين سمينا ؛ فظفرت بنو تغلب واستحر القتل فى بنى بكر ، فيومئذ قتل الشعثمان شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة ، وسيار بن الحرث بن سيار ؛ وفيه قُتل همام مُرّة بن ذهل ابن شيبان ، أخو جساس لأمه وأبيه ؛ فر به مهلهل مقتولا ، فقال : والله ما قتل بعد كليب قتيلٌ أعز علىّ فقد منك ! وقتله ناشرة ؛ وكان همام ربّاه وكفله ، كما كان ربّى حذيفة بن بدر قرواشا فقتله يوم الهباءة .

يوم عنيزة

ثم التقوا بعنيزة ، فظفرت بنو تغلب ؛ ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة ، كل ذلك كانت الدائرة فيه لبنى تغلب على بنى بكر : فنها يوم الحنو ، ويوم عُويرضات ، ويوم أنيق ، ويوم ضريّة ، ويوم القُصيبات ، هذه الأيام كلها لتغلب على بكر ، أصيبت فيها بكر ، حتى ظنوا أن ليس يستقبلون أمرهم .

وقال مهلهل يصف هذه الأيام وينعاها على بكر ، فى قصيدة طويلة أولها :

أليلتنا بذى حُسُمٍ أنيرى * إذا أنتِ انقضيتِ فلا تحورى

فإن يكُ بالذّنائب طال ليلى * فقد أبكى من الّليل القصير

وفيها يقول :

٥ فلو نُبش المقابرُ عن كليبٍ * لأخبرَ بالذّنائب أىّ زير

كأنا غُـــدْوةً وبنى أبينا * بجنبِ عنيزةٍ رحَيا مُدير

وإنى قد تركتُ بواردات * بُجيراً فى دمٍ مثلِ العبير

هتكتُ به بيوتَ بنى عُبادٍ * وبعضُ القتلِ أشفى للصّدور

على أنْ ليس عدلا من كليبٍ * إذا برزت مُخبَّأةُ الخدور

١٠ ولولا الريحُ أسمعَ من بحُجْرٍ * صليلَ البيضِ تُقرعُ بالذكور

وقال مهلهل لما أسرف فى الدماء :

أكثرتُ قتل بنى بكرٍ بربّهمُ * حتى بكيتُ وما يبكى لهم أحدُ

آليتُ بالله لا أرضى بقتلهمُ * حتى أبهرِجَ بكراً أينما وُجِدوا

وقال أبو حاتم : أبهرج : أدعهم بهرجا : لايقتل فيهم قتيل ، ولا يؤخذ لهم

١٥ دية . وقال : البهرج من الدراهم من هذا .

وقال المهلهل :

يا لَبكرٍ أنشروا لى كُليباً * يا لبكر أين أين الفِرارُ ؟

تلك شيبانُ تقول لبكر * صرّح الشّرُّ وبان السّرار

وبنو عِجْـــلٍ تقولُ لقيس * ولِتَيْم اللاتِ سيروا فساروا

٢٠ وقال :

قتلوا كليْباً ثم قالوا أربعوا * كذَبوا وربِّ الحلِّ والإحرامِ

حتى تبيدَ قبائلٌ وقبيـــلةٌ * ويعضُّ كلٌّ مثقّف بالهـــام

وتقومُ ربّاتُ الخدورِ حواسراً * يمسحْنَ عرض ذوائبِ الأيتامِ
حتى يَعَضَّ الشيخ بعدَ حميمِهِ * ممّا يرى ندما على الإبهام

يوم قضة

ثم إن مهلهلا أسرف فى القتل ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر أوقع ؛ وكان أكثر بكر قعدت عن نصرة بنى شيبان ، لقتلهم كليب بن وائل ؛ وكان الحارث بن عباد قد اعتزل تلك الحروب ، حتى قتل ابنه بجير بن الحارث ، ويقال إنه كان ابن أخيه ؛ فلما بلغ الحرثَ قتله قال : نعمَ القتيلُ قتيلٌ أصلح بين ابنى وائل ! وظن أن المهلهل قد أدرك به ثأر كليب وجعله كفئاً له ؛ فقيل له : إنما قتله بشسع نعل كليب ؛ وذلك أن المهلهل لما قتل بجيرا قال : بُؤ بشسع نعل كليب ! فغضب الحرث بن عباد، وكان له فرس يقال له النعامة، فركبها وتولى أمر بكر : فقاتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب فقال فى ذلك الحارث ابن عباد :

قرّبا مربطَ النعامةِ منى * لقحتْ حرب وائل عن حِيالى
لم أكنْ من جُناتِها علم اللهُ وإنى بحرّها اليوم صالى

وكان اليوم الذى شهده الحرث بن عباد يوم قضة ، ويوم تحلاق اللمم . وفيه يقول طرفة بن العبد :

سائِلوا عنّا الذى يعرِفُنا * مالقوا فى يوم تَحْلاقِ اللِّمَمْ
يوم تُبدِى البيضُ عن أسْوُقِها * وتلفُّ الخيلُ أفواجَ النَّعَمْ

وفيه أسر الحارث بن عباد المهلهل وهو لا يعرفه — واسمه عدى بن ربيعة — فقال له : دلّنى على عدى بن ربيعة وأخلّى عنك . فقال له عدى : عليكَ العهودُ بذلك إن دللتك عليه ؟ قال : نعم : قال : فأنا عدىّ ! فجز ناصيته وتركه ، وقال فيه :

لهفَ نفسى على عدِىّ ولم أعـــرف عدِيّا إذ أمكنتْنى اليدانِ

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان ، قتلهما جحدر بن ضبيعة ، طعن أحدهما بسنان رمحه ، والآخر بزجه ؛ ثم إن المهلهل فارق قومه ونزل فى بنى جَنْب ـ وجنبَ فى مذحج ـ فخطبوا إليه ابنته فنعهم ، فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه فى صداقها جلودا من أدم ؛ فقال فى ذلك :

٥ أعززْ على تغلب بما لقيتْ ٭ أخت بنى الأكرمينَ من جُشمِ
أنكحها فقدُها الأراقِمَ فى ٭ جنب وكان الحباء من أدم
لو بأبانـين جاء يخطبُها ٭ زمّل ما أنفُ خاطِبٍ بدمِ !

الكلاب الأول

قال أبو عبيدة : لما تسافهت بكر بن وائل وغلبها سفهاؤها ، وتقاطعت
١٠ أرحامها ، ارتأى رؤساؤهم ، فقالوا : إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا ، فأكل القويُّ الضعيف ؛ ولا نستطيع تغيير ذلك ؛ فنرى أن نُملّك علينا ملكا نعطيه الشاء والبعير ، فيأخذ للضعيف من القوى ، ويرد على المظلوم من الظالم ؛ ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا ، فيأباه الآخرون ، فتفسُد ذات بيننا ، ولكنا نأتى تُبّعاً فنملّكه علينا . فأتوه ، فذكروا له أمرَهم ، فملّك عليهم الحارث بن عمرو آكل
١٥ المرار الكندى ، فقدِم فنزل بطن عاقل.

ثم غزا ببكرَ بن وائل ، حتى انتزع عامة مافى أيدى ملوك الحيرة اللخميين ، وملوكِ الشام الغسانيين ، وردّهم إلى أقاصى أعمالهم . ثم طُعن فى نَيْطِه ـ أى مات ؛ فدفن ببطن عاقل ؛ واختلف ابناه شُرحبيل وسلمة فى الملك ، فتواعدا الكلاب ؛ فأقبل شرحبيل فى ضبة والرِّباب كلها ، وبنى يربوع ، وبكر بن وائل ؛ وأقبل سلمة
٢٠ فى تغلب ، والنمر ، وبهراء ومن تبعه من بنى مالك بن حنظلة ؛ وعليهم سفيان ابن مجاشع ؛ وعلى تغلب السفاح ؛ وإنما قيل له السفاح لأنه سفح أوعية قومه وقال لهم : اندروا إلى ماء الكلاب . فسبقوا ونزلوا عليه ، وإنما خرجت بكر بن وائل

مع شُرحبيل لعداوتها لبنى تغلب ؛ فالتقوا على الكلاب ، واستحرّ القتلُ فى بنى يربوع ، وشد أبو حَنش على شُرحبيل فقتله ؛ وكان شرحبيل قتلَ حنشاً ، فأراد أبو حنش أن يأتى برأسه إلى مسلمة ، فخافه ، فبعثه مع عَسيف له ، فلما رآه مسلمة دمعت عيناه وقال له : أنت قتلته ؟ قال لا ، ولكنه قتله أبو حنش . فقال : إنما أدفع الثواب إلى قاتله ! وهرب أبو حنش عنه ، فقال سلمة .

ألا أبْلغ أبا حنشٍ رَسُولاً * فمالكَ لاتجىءُ إلى الثّواب

تعلّمْ أنّ خيرَ الناسِ مَيْتاً * قتِيلٌ بينَ أحجارِ الكُلابِ

تَدَاعتْ حولهُ جُشمُ بنُ بكرٍ * وأسلَمَهُ جَعاسيسُ الرّبابِ

ومما يدل على أن بكراً كانت مع شرحبيل قولُ الأخطل :

أبا غسّانَ إنّك لم تُهِنّى * ولكنْ قد أهَنْتَ بنى شِهابِ

تَرَقَّوْا فى النخيلِ وأنسئُونا * دماءَ سَرانِكمْ يومَ الكُلابِ

يوم الصفقة : ويوم الكلاب الثانى

قال أبو عبيدة : أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال : كان يومُ الكلاب متصلا بيوم الصفقة ؛ وكان من حديث الصفقة أن كسرى الملك كان قد أوقع ببنى تميم فأخذ الأموال وسبي الذرارى بمدينة هجر ؛ وذلك أنهم أغاروا على لطيمةٍ له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ؛ فسمّيت تلك الوقعة يوم الصفقة ، ثم إن بنى تميم أداروا أمرهم ، فقال ذو الحجى منهم : إنكم قد أغضبتم الملك ، وقد أوقع بكم حتى وهنتم ، وتسامعتْ بما لقيتم القبائل ، فلا تأمنون دورانَ العرب !

فجمعوا سبعةَ رؤساء منهم ، وشاوروهم فى أمرهم ، وهم : أكثم بن صيفى الأُسيّدى ، والأعيمر بن يزيد بن مُرة المازنى ، وقيس بن عاصم المنقرى ، وأُبير بن عِصمة التيمى ، والنعمان بن الحسحاس[1] التيمى ، وأُبَيْر بن عمرو السعدى ، والزبرقان بن بدر السعدى ؛ فقالوا لهم : ماذا ترون ؟ فقال أكثم بن

(١) فى الأغانى وابن الأثير : « النعمان بن جساس » .

صيفى ، وكان يكنى أبا حنش : إن الناس قد بلغهم ماقد لقينا ؛ نحن نخاف أن يطمعوا فينا . ثم مسح بيده على قلبه وقال : إنى قد نيّفت على تسعين ، وإنما قلبي بضعة من جسمي ، وقد نحل كما نحل جسمي ؛ وإنى أخاف أن لا يدرك ذهنى الرأى لكم ؛ وأنتم قوم قد شاع فى الناس أمركم ، وإنما كان قوامُكم أسيفا

٥ وعسيفا ـ يريد العبد والأجير ـ وصرتم اليوم إنما ترعى لكم بناتُكم ؛ فليعرض علىّ كلُّ رجل منكم رأيَه وما يحضره ؛ فإنى متى أسمع الحزمَ أعرفه . فقال كل رجل منهم مارأى ، وأكثم ساكتٌ لا يتكلم ، حتى قام النعمان بن الحسحاس ، فقال : ياقوم ، انظروا ماء يجمعكم ولا يعلم الناس بأى ماء أنتم ، حتى تنفرج الحلقة عنكم وقد جممتم وصلحت أحوالكم وانجبر كسيركم وقوى ضعيفكم ؛ ولا

١٠ أعلم ماء يجمعكم إلا قِدَّة ؛ فارتحِلوا وانزلوا قِدَّة . وهو موضع يقال له الكلاب ؛ فلما سمع أكثم بن صيفى كلام النعمان ، قال : هذا هو الرأى ! فارتحلوا حتى نزلوا الكلاب ، وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم ، وأعلاه مما يلى اليمن ، وأسفله مما يلى العراق ؛ فنزلت سعد والرِّباب بأعلى الوادى ، ونزلت حنظلة بأسفله .

قال أبو عبيدة : وكانوا لايخافون أن يغزوا فى القيظ ، ولا يسافر فيه

١٥ أحد ، ولا يستطيع أحد أن يقطع تلك الصحارى ، لبُعْد مسافتها ، وليس بها ماء ! ولشدة حرها .

فأقاموا بقية القيظ لايعلم أحدٌ بمكانهم ! حتى إذا تهور القيظ ـ أى ذهب ـ بعث اللهُ ذا العينين ، وهو من أهل مدينة هجر ، فمر بقدة وصحرائها ، فرأى مابها من النَّعم ، فانطلق حتى أتى أهل هجر . فقال لهم : هل لكم فى جارية عذراء ،

٢٠ ومهرة شوهاء ، وبكرة حمراء ، ليس دونها نكبة ؟ فقالوا : ومن لنا بذلك ؟ قال : تلكم تميم ألقاء مطروحون بقِدّة . قالوا : إى والله !

فمشى بعضهم إلى بعض ، وقالوا : اغتنموها من بنى تميم ! فأخرجوا منهم أربعة أملاك ، يقال لهم اليزيديون : يزيد بن هوبر ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المأمور ، ويزيد بن المخرم ، وكلهم حارثيون ؛ ومعهم عبد يغوث الحارثى ؛ فكان

كل واحد منهم على ألفين ، والجماعة ثمانية آلاف ؛ فلا يُعلم جيش فى الجاهلية كان أكبرَ منه ، ومن جيش يوم كسرى يوم ذى قار ، ويوم شعب جبلة ـ فمضوا ؛ حتى إذا كانوا ببلاد باهلة ، قال جزء بن جزء الباهلى لابنه : يا بنى ، هل لك فى أكرومة لايصاب أبداً مثلُها ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : هذا الحىُّ من تميم قد والجوا هناك مخافةً ، وقد قصصت أثر الجيش يريدونهم ؛ فاركب جملى الأرحبىّ ، وسر سيراً رويداً عقبةً من الليل ـ يعنى ساعة ـ ثم حلّ عنه حبليه وأنخهُ وتوسّدْ ذراعه ، فإذا سمعتَه قد أفاض بجرّته وبال فاستنقعت ثفِنَاته فى بوله ، فشدَّ عليه حبله ثم ضع السَّوْطَ عليه ، فإنك لاتسأل جملك شيئاً من السير إلا أعطاك ، حتى تصبِّحَ القوم . ففعل ما أمره به .

قال الباهلى : فحللت بالكلاب قبل الجيش وأنا أنظر إلى ابن ذُكاء ـ يعنى الصبح ـ فناديت : ياصباحاه ! فإنهم ليثبون إلىّ ليسألونى من أنت ، إذ أقبل رجل منهم من بنى شقيق على مُهر قد كان فى النعم ، فنادى : ياصباحاه ! قد أُتى على النعم ! ثم كر راجعاً نحو الجيش ، فلقيه عبد يغوث الحارثى وهو أول الرعيل ، فطعنه فى رأس معدته فسبق اللبنُ الدم ، وكان قد اصطبح ، فقال عبد يغوث : أطيعونى وامضوا بالنعم وخلوا العجائز من تميم ساقطة أفواهها . قالوا : أما دون أن تُنكَح بناتُهم فلا !

وقال ضمرة بن لبيد الحِماسى ، ثم المذحجى الكاهن : انظروا إذا سُقتم النعم فإن أتتكم الخيل عصبا [عصبا] ، العصبة تنتظر الأخرى حتى تلحق بها ، فإنّ أمرَ القوم هيّن ؛ وإن لحق بكم القوم ولم ينتظر بعضُهم بعضاً حتى يردُّوا وجوه النعم ، فإنّ أمرَهم شديد .

وتقدمت سعد والرباب فى أوائل الخيل ، فالتقوا بالقوم فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النَّعم ولم ينتظر بعضهم بعضاً . ورئيسُ الرباب النعمانُ بن الحسحاس ، ورئيس بنى سعد قيس بن عاصم ؛ وأجمع العلماء أن قيس بن عاصم كان رئيسَ بنى تميم .

فالتقى القوم ، فكان أول صريع النعمان بن الحسحاس ، واقتتل القوم بقية يومهم ، وثبت بعضهم لبعض حتى حجز الليل بينهم ؛ ثم أصبحوا على راياتهم ، فنادى قيس بن عاصم : ياآل سعد ! ونادى عبد يغوث : ياآل سعد ! قيسٌ يدعو سعد بن زيد مناة ، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة ؛ فلما سمع ذلك قيس نادى : ياآل كعب ! فنادى عبد يغوث : ياآل كعب ! قيسٌ يدعو كعب بن سعد ، وعبد يغوث يدعو كعب بن مالك ؛ فلما رأى ذلك قيس نادى : ياآل كعب مقاعس فلما سمعه وعلة بن عبد الله الجرمى — وكان صاحب لواء أهل اليمن — نادى : يا لَمُقَاعس ! تفاءل به فطرح له اللواء ، وكان أول من انهزم ؛ فحملت عليهم بنو سعد الرباب فهزموهم ، ونادى قيس بن عاصم : ياآل تميم ، لا تقتلوا إلا فارسا فإن الرجّالة لكم ! ثم جعل يرتجز ويقول :

لمّا تولّوْا عُصَباً هَوارِبَا * أقسمْتُ لاأطعَنُ إلاراكِبا

إنى وجدْتُ الطعْنَ فيهم صائبا

وقال أبو عُبيدة : أمر قيس بن عاصم أن يتبعوا المنهزمة ويقطعوا عرقوب من لحقوا ولا يشتغلوا بقتلهم عن اتّباعهم فجزُّوا دوابرهم ، فذلك قول وعلة :

فِدى لكم أهلى وأمى ووالدى * غَداةَ كُلاَب إذ تُجَزُّ الدّوابرُ

وسنكتب هذه القصيدة على وجهها[1] ، وحمى عبد يغوث أصحابه فلم يوصل إلى الجانب الذى هو فيه ؛ فألظَّ به مَصاد بن ربيعة بن الحارث ، فلما لحقه مصادٌ طعَنَهُ فألقاه عن الفرس فأسره ، وكان مصادٌ قد أصابته طعنة فى مأبضه ، وكان عِرقه يهمى — أى يسيل — فعصبه ، وكتفه — يعنى عبد يغوث — ثم أردفه خلفه ، فنزفه الدم ، فمال عن فرسه مغلوبا . فلما رأى ذلك عبد يغوث قطع كتابه وأجهز عليه وانطلق على فرسه ، وذلك أول النهار ، ثم ظفر به بعد فى آخره . ونادى مناد قتل اليزيدون . وشد قبيصة بن ضرار الضبي على ضمرة بن لبيد الحماسى

(١) ستأتى فى هذا الجزء بعد قليل.

الكاهن فطعنه فخرّ صريعا ، فقال له قبيصة : ألا أخبرك تابعُك بمصرعك اليوم !
وأسر عبد يغوث ، وأسره عصمة بن أبير التيمى .

قال أبو عبيدة : انتهى عصمةُ بن أبير إلى مصادٍ وقد أمعنوا فى الطلب ،
فوجده صريعا ؛ وقد كان قبل ذلك رأى عبدَ يغوث أسيراً فى يديه ، فعرف
أنه هو الذى أجهز عليه ، فاقتص أثره ؛ فلما لحقه قال له : ويحك ! إنى رجل ٥
أُحِبُّ اللبَن ، وأنا خير لك من الفلاة والعطش ! قال عبد يغوث : ومن أنت ؟
قال : عصمةُ بن أبير . قال عبد يغوث : أو عندك منعة ؟ قال : نعم ، فألقى يده
فى يده ، فانطلق به عصمة حتى خبأه عند الأهتم ، على أن جعل له مِن فِداه جُعلا
فوضعه الأهتم عند امرأته العبشمية ، فأعجبها جماله وكمالُ خلْقِه ، وكان عصمة الذى
أسره غلاما نحيفا ، فقالت لعبد يغوث : من أنت ؟ قال : أنا سيِّدُ القوم ! ١٠
فضحكت ، وقالت : قبحك الله سيدَ قوم حين أسرَك مثلُ هذا . ولذلك يقول
عبد يغوث :

وتضحَكُ منى شيْخةٌ عبْشَمِيَّةٌ * كأن لم تَرا قبْلِى أسيراً يمانِيا

فاجتمعت الرباب إلى الأهتم فقالت : ثأرنا عندك ، وقد قُتل مَصاد والنعمان ،
فأخرجه إلينا ! فأبى الأهتم أن يُخرجه إليهم ، فكاد أن يكون بين الحيين : ١٥
الرباب وسعد ، فتنة ؛ حتى أقبل قيس بن عاصم المنقرى ، فقال : أيُؤتَى قطع حلف
الرّباب من قِبلنا ؟ وضرب فمه بقوس فهتمه فسمِّى الأهتم ، فقال الأهتم : إنما
دفعه إلىّ عصمةُ بن أبير ، ولا أدفعه إلا لمن دفعه إلىّ ؛ فليجئْ فيأخذه . فأتوا
عصمة فقالوا : ياعصمة ، قُتل سيدُنا النعمان ، وفارسُنا مصاد ، وثأرُنا أسيرك
وفى يدك ؛ فما ينبغى لك أن تستحييَه ! فقال : إنى مُمْحِل ، وقد أصبت الغنى فى ٢٠
نفسى ، ولا تطيب نفسى عن أسيرى ! فاشتراه بنو الحسحاس بمائة بعير . وقال
رؤبة بن العجاج : بل أرضوه بثلاثين من حواشى النَّعم ؛ فدفعه إليهم ، فخشوا
أن يهْجُوَهم ، فشدوا على لسانه نِسعة ؛ فقال إنكم قاتلىّ ولا بد ، فدعونى أذمُّ
أصحابى وأنوح على نفسى ! فقالوا : إنك شاعر ونخاف أن تهجُوَنا ! فعقد لهم

أن لا يفعل ، فأطلقوا لسانه وأمهلوه حتى قال قصيدته التى أولها :

أَلَالا تلومانِى كَفَى اللَّومَ مابيا * فما لكما فى اللَّومِ خيرٌ ولا لِيا

أَلم تعلَمَا أنَّ المَلامة نفعُها * قليل وما لومى أخى من شماليا

فياراكباً إمّا عَرضتَ فبلِّغنْ * نَداماىَ من نَجْرانَ أنْ لا تَلاقيا

٥ أبا كَربٍ والأيهمَين كليهِما * وقيْساً بأعلى حضرموْتَ اليمانيا

جزى الله قومى بالكلابِ مَلامةً * صريحَهُم والآخرين المَواليـا

ولو شئتُ نجّتْنى منَ القَوم نَهدَةٌ * ترى خلفَها الجُرْد الجِيادَ تَواليا

ولكننى أحمى ذِمار أبيكم * وكاد الرِّماح يَختطِفن المحاميا

أحقًّا عباد الله أن لست سامعاً * نشيدَ الرِّعاء المُعزِبين المَتاليـا

١٠ أقول وقد شَدّوا لسانى بِنِسْعةٍ * أمعشَرَ تيْمٍ أَطلِقوا عن لسانيا

وتَضحك منى شيْخةٌ عَبْشميّةٌ * كأنْ لم تَرىْ قبْلى أسيراً يمانيا

أمعْشرَ تيْمٍ قد ملَكْتم فأسْجِحوا * فإنّ أخاكم لم يكن من بَوائيا

وقد علمتْ عِرسِى مُليكةُ أننى * أنا اللّيْثُ معْدوًّا عليه وعاديا

وقد كنتُ نحّارَ الجزورِ ومُعْمِلَ المَـطِىِّ وأمضِي حيثُ لا حىٌّ ماضيا

١٥ وأعقِرُ للشَّرْب الكرام مَطِيَّتى * وأصدعُ بين القَينتيْن رِدائيا

وكنتُ إذا ما الخيْل شمَّصَها القَنا * لبيقـاً بتصْريف القَنـاةِ بَنانيا

وعاديةٍ سَومَ الجراد وزعتُها * برُمحى وقد أنْحَوا إلىَّ العَواليا

كأنىَ لم أركَب جَواداً ولم أقل * لخَيْلىَ كُرّى قاتلى عن رِجاليا

ولم أَسْبأ الزِّقَّ الرَّوىَّ ولم أقل * لأَيْسارِ صِدْقٍ أعظِموا ضوْءَ ناريا

٢٠ قال أبو عبيدة : فلمـا ضُربت عنقه قالت ابنة مصاد : بُؤْبمصاد ! فقال بنو النعمان : يا لكاع ! نحن نشتريه بأموالنا ويبوء بمصاد ؟ فوقع بينهم فى ذلك الشر ، ثم اصطلحوا ؛ وكان الغَناء كله يوم الكلاب من الرباب لتيم ، ومن بنى سعد لمقاعس .

وقال وعلة الجَرْمى وكان أول منهزم انهزم يوم الكُلاب ، وكان بيده لواء القوم :

وَمَنّ علىّ الله مَنّا شكرتُه * غداةَ الكلاب إذ تُجزّ الدّوابرُ
ولمّا رأيتُ الخيْلَ تَتْرى أثائجا * علِمتُ بأنّ اليومَ أحمس فاجرُ
نجوتُ نجاءً ليس فيه وتيرةٌ * كأنى عُقابٌ عند تَيْمن كاسِرُ
خُداريّةٌ سَفعاء لَبّدَ ريشَها * بطخفةَ يومٌ ذو أهاضيبَ ماطِرُ
لها ناهضٌ فى الوَكْر قد مَهدَتْ له * كما مَهدَتْ للبعْل حسناء عاقر
كأنّا وقد حالت حذُنّة دوننا * نَعَامٌ تلاهُ فارسٌ مُتواتر
فَمَنْ يك يَرجو فى تميمٍ هَوادةً * فليس لجَرْم فى تميمٍ أواصر
ولمّا سمعْتُ الخيل تَدْعو مُقاعِساً * تَنازَعَنى من ثُغرةِ النحر ناحر
فإنْ أستطع لا تَلْتبس بى مقاعسٌ * ولا ترنى بيْداؤهُمْ والحاضر
ولا أكُ فى جَزّارة مُضَرِيّة * إذا ماغدتْ قوت العيال تُبادرُ
وقد قلت للنّهْدِىِّ هل أنت مُرْدِفى * وكيف رِداف الفَلّ أمّك عاثر
يُذكّرُنى بالإلّ بينى وبينه * وقد كان فى جرْمٍ ونَهدٍ تَدابُر

وقال مُحرز بن المكعبر الضبى — ولم يشهدها وكان مجاورا فى بكر بن وائل — لما بلغه الخبر :

فِدًى لقومِىَ ماجمّعْتُ من نَشَبٍ * إذ ساقتِ الحربُ أقواماً لأقوامِ
إذ حُدّثتْ مذحِجٌ عناوقد كَذَبتْ * أنْ لا يُذبّب عن أحسابنا حامِ
دارت رَحانا قليلا ثم واجههُم * ضَرْبٌ تصدّعُ منه جلدةُ الهَام
ظلّت ضباعٌ مُجيرات تُجرّرُهم * وأُلحِقْنَ منهم أىّ إلحام
حتى حذُنّة لم تَترك بها ضَبُعا * إلّا لها جَزَرٌ من شِلْوِ مِقْدام
ظلّت تدوس بنى كعب بكَلْكلها * وهَمّ يومُ بنى نَهْدٍ بإظلام

قال أبو عبيدة : حدثنى المنتجع بن نبهان قال : وقف رؤبة بن العجاج على

التيم بمسجد الحرورية ، فقال : يا معشر تيم ، إنى سمرت عند الأمير تلك الليلة ، فتذاكرنا يوم الكلاب ، فقال : يا معشر تيم ، إن الكلاب ليس كما ذكرتم فأعفونا من قصيدتَى صاحبينا — يعنى عبد يغوث ووعلة الجرمى — ومن قصيد ابن المعكبر صاحبكم ، وهاتوا غير ذلك ؛ فأنتم أكثر الناس كلاما وهجاء .

٥ قال رؤبة : فأنشدناه فى ذلك اليوم شعرا كثيرا ، فجعل يقول : هذه إسلاميةٌ كلها .

يوم طِخْفَة

كانت الرِّدافة ، ردافة الملك ، لعتّاب بن هرمىّ بن رياح ؛ ثم كانت لقيس ابن عتاب ، فسأل حاجب بن زرارة النعمان أن يجعلها للحارث بن مرط بن سفيان

١٠ ابن مجاشع ؛ فسألها النعمان بنى يربوع ، وقال : أعقِبوا إخوتكم فى الرِّدافة . قالوا : إنهم لا حاجة لهم فيها ، وإنما سألها حاجبٌ حسداً لنا . وأتوا عليه . فقال الحارث بن شهاب وهو عند النعمان : إن بنى يربوع لا يسلمون ردافتهم إلى غيرهم . وقال حاجب : إن بعث إليهم الملك جيشاً لم يمنعوه ، ولم يمتنعوا . فبعث إليهم النعمان قابوساً ابنه ، وحسان بن المنذر ؛ فكان قابوس على الناس ، وكان

١٥ حسان على المقدمة . وبعث معهم الصنائع والوضائع — فالصنائع من كان يأتيه من العرب ، والوضائع المقيمون بالحيرة — فالتقوا بطُخفة ، فانهزم قابوس ومن معه ، وضَرب طارق بن عميرة فرس قابوس فعقره ، وأخذه ليجز ناصيته ، فقال قابوس : إن الملوك لا تُجَزُّ نواصيها ! فجهزه وأرسله إلى أبيه ، وأما حسان بن المنذر ، فأسره بشر بن عمرو الرياحى ، ثم منّ عليه وأرسله ، فقال مالك

٢٠ ابن نويرة :

ونحن عقَرْنا مُهْر قابوس بعدما * رأى القومُ منه الموت والخيل تُلْحبُ

عليه دِلاصٌ ذات نسجٍ وسيفَه * جُرازٌ من الهِنْدِىِّ أبيضُ مُقضَبُ

طلبنا بها إنا مُـداريكُ قبْلَها * إذا طَلَب الشَّأوِ البعيدَ المُغَرِّبُ

يوم فيف الريح

قال أبو عبيدة : تجمعت قبائل مذحج ، وأكثرها بنو الحارث بن كعب ، وقبائل من مراد وجعفي وزبيد وخثعم ؛ وعليهم أنس بن مدركة ؛ وعلى بني الحارث الحصين ؛ فأغاروا على بني عامر بن صعصعة بفَيْف الريح ، وعلى بني عامرٍ ، عامرُ بن مالك ملاعب الأسنة .

قال : فاقتتل القوم فكثَّروهم . وارفضت قبائل من بني عامر ، وصبرت بنو نمير ، فما شبهوا إلا الكلاب المتعاظلة حول اللواء ؛ وأقبل عامر بن الطفيل وخلفه دَعِيّ بن جعفر ، فقال : يامعشر الفتيان ، من ضرب ضربة أو طعن طعنة فليُشْهدني فكان الفارس إذا ضرب ضربة أو طعن طعنة قال عند ذلك : أبا علي ! فبينما هو كذلك إذ أتاه مسهر بن يزيد الحارثي ، فقال له من ورائه : عندك ياعامر ! والرمح عند أذنه ، فوهصه — أي طعنه فأصاب عينه — فوثب عامر عن فرسه ، ونجا على رجليه ؛ وأخذ مسهر رمح عامر . ففي ذلك يقول عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر :

لعَمْرِي وما عَمْرِي علىَّ بهَيِّنٍ * لقد شانَ حُر الوجهِ طعنةُ مُسْهِرِ
أعاذِلُ لو كانَ البِداد لقوتِلوا * ولكنْ نزونا بالعديدِ المُجَمْهِرِ
ولو كان جَمْعٌ مِثلنا لم يبَزّنا * ولكن أتتْنا أسرةٌ ذاتُ مَفْخَرِ
أتوْنا بِبَهْراءَ ومذْحجَ كلّها * وأكْلُبَ طُرًّا في جِنان السَّنوَّرِ

وقال مُسهر ، وزعم أنهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل :

وَهَصْتُ بخُر الرُّمح مُقْلَةَ عامر * فأضحى نحيفاً في الفوارس أعْوَرَا
وغادرَ فينا رُمحَــهُ وسلاحه * وأدْبَر يدعو في الهوالِكِ جعفرَا
وكنّا إذا قيْسيّةٌ دُهيتْ بنا * جرَى دمعُها من عينِها فتحَدّرا
مخافةَ مالاقتْ حليلَةُ عامر * مِنَ الشَّرِّ إذ سرْبالُها قد تعفّرا

قال : وامتلَتْ بنو نمير على بنى كلاب بصـــبرهم يوم فيف الريح ، فقال عامر :

تمنُّون بالنُّعما ولولا مكَرُّنا * بمنعرَج الفَيْفا لكنـتُم مَواليا
ونحنُ تدارَكنا فوارسَ وحْوحٍ * عشيَّة لاقيْنا الُحصيْنَ آليَمانِيا

٥ وحوح : من بنى نمير ، وكان عامر استنقذهم ؛ وأسر حنظلة بن الطفيل يومئذ .

قال أبو عبيدة : كانت وقعةُ فيف الريح وقد بُعث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأدرك مُسْهرُ بن يزيد الإسلام فأسلم .

يوم تياس

١٠ كانت أفناء قبائل من بنى سعد بن زيد مناة وأفناء قبائل من بنى عمرو بن تميم التقت بِتِياس ، فقطع غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم رِجل الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، فطلبوا القِصاص ، فأقسم غيلان أن لايعقلها ولا يقص بها حتى تحشَى عيناه تراباً ! وقال :

لانعقِلُ الرِّجلَ ولا ندِيها ٭ حتى تَروْا داهيةً تُنسيها

١٥ فالتقوا فاقتتلوا فجرحوا غيلان حتى ظنوا أنهم قد قتلوه ، ورئيسُ عمرو ، كعب بن عمرو ، ولواؤه مع ابنه ذؤيب وهو القائل لأبيه :

ياكعبُ إن أخاك مُنْحمِقٌ ٭ إن لم يكن بِك مرَّة كعب
جانيك مَن يَجنى عليك وقد ٭ تُعدِى الصِّحاحَ مَبارِكُ الُجربِ
والحربُ قد تضطرُ جانبَها ٭ نحو المضيقِ ودونهُ الرَّحْبُ[1]

يوم زرود الأول

٢٠ غزا الحوفزانُ حتى انتهى إلى زَرود خلف جبل من جبالها ، فأغاروا على نعم

(١) كذا ، وفيه إقواء.

كثير صادر عن الماء لبنى عبس ، فاحتازوه ، وأتى الصريخ بنى عبس ، فركبوا ، ولحق عمارة بن زياد العبسى الحوفزانَ فعرفه — وكانت أم عمارة قد أرضعت مضر بن شريك ، وهو أخو الحوفزان — فقال عمارة : يابنى شريك ، قد علمتم ما بيننا وبينكم ! قال الحوفزان ، وهو الحارث بن شريك : صدقت يا عمارة ، فانظر كل شيء هُو لك فخُذه ! فقال عمارة : لقد علمت نساء بنى بكر بن وائل ٥ أنى لم أملأ أيدى أزواجهن وأبنائهن شفقة عليهن من الموت ! فحمل عمارة ليعارض النعم ليردّه ، وحال الحوفزان بينه وبين النعم ، فعثرت بعمارة فرسُه فطعنه الحوفزان ، ولحق به نعامة بن عبد الله بن شريك فطعنه أيضاً ؛ وقال نعامة: ما كرهتُ الرمح فى كفل رجل قط أشد من كفل عمارة ! وأُسِر ابنا عمارة : سنان وشداد ، وكان بنى عبس رجلان من طيئ ابنان لأوس بن حارثة ، مجاورين ١٠ لهم ، وكان لهما أخ أسير فى بنى يشكر ، فأصابا رجلا من بنى مرة يقال له : معدان بن محرب ، فذهبا به فدفناه تحت شجرة ، فلما فقدته بنو شيبان نادوا : يا ثارات معدان ! فعند ذلك قتلوا ابنَىْ عمارة ، وهرب الطائيان بأسيرهما . فلما برئ عمارة من جراحه أتى طيئا فقال : ادفعوا إلىّ هذا الكلب الذى قُتلنا به ! فقال الطائى لأوس : ادفع إلى بنى عبس صاحبَهم . فقال لهم أوس : أتأمروننى ١٥ أن أعطى بنى عبس قطرةً من دمى ، وإن ابنى أسير فى بنى يشكر ؟ فوالله ما أرجو فكاكه إلا بهذا ! فلما قفل الحوفزان من غزوه بعث إلى بنى يشكر فى ابن أوس ، فبعثوا به إليه ؛ فافتكّ به معدان .

وقال نعامة بن شريك :

استنزلتْ رِماحُنا سِنانا ٭ وشيخَه بطخفَةٍ عِيانا ٢٠
ثم أخوهُ قد رأى هَوانا ٭ لمّا فقدنا بيننا مَعدانا

يوم غول الثانى : وهو يوم كنهل

قال أبو عبيدة : أقبل ابنا هُجيمة — وهما من بنى غسان — فى جيش ، فنزلا فى

بنى يربوع ، لجاوَرا طارقَ بن عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع ، فنزلا معه على ماء يقال له كنهل ، فأغار عليهما أناس من ثعلبة بن يربوع ، فاستاقوا نَعمهما وأسروا من كان فى النعم ؛ فركب قيس بن هجيمة بخيله حتى أدرك بنى ثعلبة ، فكرّ عليه عتيبة بن الحارث ، فقال له قيس : هل لك يا عتيبة إلى البراز ؟

٥ فقال : ما كنتُ لأسأله وأدعه ! فبارزه ، قال عُتيبة : فما رأيت فارساً أملأ لعينى منه يومَ رأيتُه ، فرمانى بقوسه ، فما رأيت شيئاً كان أكره إلىّ منه ، فطعننى فأصاب قربوس سرجى ، حتى وجدتُ مَسّ السنان فى باطن فخذى ، فتجنبت ؛ قال : ثم أرسل الرمح وقبض بيدى وهو يرى أن قد أثبتنى وانصرف ، فأتبعته الفرس ، فلما سمع زجلها رجع جانحا على قربوس سرجه ، وبدا لى فرج الدرع

١٠ ومعى رمح مُعلَّب بالقِدّ والعصب كنا نصطاد به الوحش ، فرميته بالقوس ، وطعنته بالرمح ، فقتلته وانصرفت ؛ فلحقت النعم ، وأقبل الهرماس بن هجيمة فوقف على أخيه قتيلا ، ثم اتبعنى ، وقال : هل لك فى البراز ؟ فقلت : لعل الرجعة لك خير ! قال : أبعدَ قيس ؟ ثم شدّ علىّ فضربنى على البيضة ، فخلص السيف إلى رأسى ، وضربته فقتلته ؛ فقال سحيم بن وَثيل يُعيِّر طارقا فقتل جارَيه :

١٥ لقد كنت جارَ بنى هجيْمةَ قبلَها ٭ فلم تُغنِ شيئاً غيرَ قتْل المجاورِ

وقال جرير :

وساقَ ابْنَىْ هجيْمةَ يومَ غولٍ ٭ إلى أسيافِنا قدرُ الحِمامُ

يوم الجبات

قال أبو عبيده : خرج بنو ثعلبة بن يربوع فمرّوا بناس من طوائف بنى بكر

٢٠ ابن وائل بالجُبّات ، خرجوا سُفّارا ، فنزلوا وسرحوا إبلهم ترعى ، وفيها نفر منهم يرعونها : منهم سوادة بن يزيد بن بُجير العجلى ، ورجل من بنى شيبان ، وكان محموما ؛ فمرّت بنو ثعلبة بن يربوع بالإبل ، فاطّردوها ،

وأخذوا الرجلين فسألوهما : من معكما ؟ فقالا : معنا شيخ من يزيد بن بجيل العجلى فى عصابة من بنى بكر بن وائل ، خرجوا سُفاراً يريدون البحرين . فقال الربيع ودعموص ابنا عتيبة بن الحارث بن شهاب : لن نذهب بهذين الرجلين وبهذه الإبل ولم يعلموا من أخذها ؟ ارجعوا بنا حتى يعلموا من أخذ إبلهم وصاحبيهم ليغنيهم ذلك . فقال لهما عميرة : ماوراءكما إلا شيخ بن يزيد قد أخذتما أخاه وأطردتما ماله ، دعاه ، فأبيا ورجعا ، فوقفا عليهم وأخبراهم وتسميا لهم ، فركب شيخ بن يزيد فاتبعهما وقد ولّيا ، فلحق دعموصا فأسره ومضى ربيع حتى أتى عميرةَ فأخبره أنّ أخاه قد قتل ، فرجع عميرة على فرس يقال له الخنساء ، حتى لحق القوم ، ففكّ منهم دعموصاً على أن يرد عليهم أخاهم وإبلهم ؛ فردّها عليهم ؛ فكفَر ابنا عتيبة ولم يشكرا عميرة ، فقال :

ألم تَرَ دُعْموصًا يَصُدّ بوجهه * إذا ما رآنى مُقبلا لم يُسَلِّمِ
ألم تَعْلما يابْنَىْ عتيْبةَ مُقدَمِى * على ساقطٍ بين الأسِنَّةِ مُسْلِمِ
فعارَضتُ فيه القومَ حتى انتزعْته * جِهاراً ولم أنظُرْ له بالتَّلوُّم

يوم إراب

غزا الهذيل بن هبيرة بن حسان التغلبى ، فأغار على بنى يربوع بإراب فقتل فيهم قتلا ذريعا ، فأصاب نعما كثيرة وسبى سبيا كثيرا ، فيهم زينب بنت حمير ابن الحارث بن همام بن رياح بن يربوع ؛ وهى يومئذ عقيلة نساء بنى تميم وكان الهذيل يسمى مُجدعا ، وكان بنو تميم يُفزِعون به أولادهم ، وسبى أيضاً طابية بنت جزء بن سعد الرياحى ، ففداها أبوها ؛ وركب عتيبة بن الحارث فى أسراهم ففكهم أجمعين .

يوم الشعب

غزا قيس بن شرقاء التغلبي ، فأغار على بني يربوع بالشعب ، فاقتتلوا ، فانهزمت بنو يربوع ، فزعم أبو هدبة أنها كانت اختطافا ، فأسر سحيم بن وَثيل الرياحى ، فنى ذلك يقول سحيم :

٥ أقول لهم بالشِّعْب إذ يأسِرونني * ألم تعلَموا أنى ٱبنُ فارسَ زَهْدَمِ

ففدى نفسه . وأُسر يومئذ متمِّم بن نويرة ، فوفد مالك بن نويرة على قيس ابن شرقاء فى فدائه فقال :

هل أنتَ يا قيسَ بنَ شَرْقاء مُنْعِمٌ * أو الجهْد إن أعطيتُه أنت قابلُه

فلما رأى وسامتَه وحسنَ شارته ، قال : بل مُنْعم . فأطلقه له .

١٠

يوم غول الأول

فيه قتل طريف بن شراحيل وعمرو بن مرثد المُحلِّمى .

غزا طريف بن تميم فى بنى العنبر وطوائفَ من بنى عمرو بن تميم ، فأغار على بنى بكر بن وائل بغَول ، فاقتتلوا ، ثم إنّ بكراً انهزمت ، فقُتل طريف بن شراحيل أحد بنى ربيعة ، وقُتل أيضاً عمرو بن مرثد المحلِّمى ، وقتل المحسِّر ،

١٥ فقال فى ذلك ربيعة بن طريف :

يا راكبًا بَلِّغَنْ عنى مُغلْغَلة * بنى الخَصيب وشرُّ المنطِق الفَنَدُ

هلّا شراحيلُ إذ مال الحِزام به * وسْطَ العَجاج فلم يغضَبْ له أحد

أو المحسِّرُ أو عمرٌو تَحَيَّفَهم * منّا فوارسُ هيْجا نصْرُهم حَشَد

إذ يُلحَظونَ بزُرْقٍ من أسنّتنا * يُشْفَى بهنّ الشَّنا والعُجْبُ والكمد

٢٠ وقد قتلناكم صبراً ونأسِرُكم * وقد طَردناكم لو ينفع الطرَد

حتى استغاثَ بنا أدنَى شَريدِكم * مِن بعد ما مسه الضراء والنكد

وقال نضلة السلمى فى يوم غَول ، وكان حقيراً دميما ، وكان ذا نجدة :

ألم تَسَلِ الفوارسُ يومَ غَول * بنَضْلةَ وهو موْتورٌ مُشيحُ ؟
رأوْه فازدَرَوْه وهو حُـــرٌّ * ويَنفع أهله الرجلُ القبيح
فشدَّ عليهمُ بالسيفِ صَلْتًا * كما عَضَّ الشبَا الفرَسُ الجَموح
فأطلَق غلَّ صاحبه وأرْدَى * قتيـــلا منهمُ ونَجا جـريح ٥
ولم يَخشوْا مَصالَته عليهـــم * وتحت الرِّغوَةِ اللبَنُ الصريح

يوم الخندمة

كان رجل من مشركى قريش يُحِدّ حربة يوم فتح مكة ، فقالت له امرأته : ما تصنع بهذه ؟ قال : أعددتها لمحمد وأصحابه ! قالت : والله ما أرى [أنه] يقوم لمحمد وأصحابه شىء ! فقال : والله إنى لأرجو أن أخْدِمَك بعض نسائهم ! ١٠ وأنشأ يقول :

إن يُقبِلوا اليومَ فما بى عِلَّه * هذا سـلاح كاملٌ وألَّهْ
وذو غِرارَيْنِ سريعُ السَّلَّهْ

فلما لقيهم خالد بن الوليد يوم الخندمة انهزم الرجل لا يلوى على شىء ، فلامته امرأته ؛ فقال : ١٥

إنكِ لو شهِدْتِ يومَ الخَنْدَمَهْ * إذ فرّ صَفوان وفرّ عِكرِمَهْ
ولقِيَتْنـــا بالسيوفِ المُسْلِمَهْ * يَفلِقْنَ كلّ ساعد وجُمجُمَهْ
ضرْبًا فلا تُسمَعُ إلا غَمْغَمَهْ * لم تَنطِقى فى اللوْمِ أدنَى كَلِمَهْ !

يوم اللهيماء

قال أبو عبيدة : كان سبب الحرب التى كانت بين عمرو بن الحارث بن تميم بن ٢٠ سعد بن هذيل ، وبين بنى عبد بن عدى بن الدُّئل بن بكر بن عبد مناة ، أن قيس

ابن عامر بن غريب أخا بنى عمرو بن عدى ، وأخاه سالما ، خرجا يريدان بنى عمرو بن الحارث ، على فرسين ، يقال لأحدهما اللّعاب ، والأخرى عفزر ؛ فباتا عند رجل من بنى نفاثة ، فقال النفاثى لقيس وأخيه : أطيعانى وارجعا ، لأعرفنّ رماحكما تُكسَر فى قتاد نُعمان . قالا : إن رماحنا لا تُكسر إلا فى صدور الرجال !
٥ قال : لا يضركما ، وستحمدان أمرى . فأصبحا غاديين ، فلما شارفا متن اللهيما من نعمان ، وبنو عمرو بن الحارث فُويق ذلك ، بموضع يقال له أديمة ، أغارا على غنم جندب بن أبى عُميس ، وفيها جندب ؛ فتقدم إليه قيس ، فرماه جندب فى حلمة ثديه ، وبعجه قيس بالسيف فأصابت ظُبَةُ السيف وجه جندب ، وخرّ قيس ؛ ونفرت الغنم نحو الدار ، فتبعها ، وحمل سالم على جندب بفرسه عفزر ،
١٠ فضرب جندب خطم عفزر بالسيف فقطعه ، وضربه سالم فاتقاه بيده فقطع أحد زنديه ، فخر جندب وذفّف عليه سالم ، وأدرك العيثى سالما ، فخرج وترك سيفه فى المعركة ، وثوبه بحقويه ، لم ينج إلا بجفن سيفه ومئزره ؛ فقال فى ذلك حماد بن عامر :

لعمرُكَ ما وفى ابن أبى عميس * وما خان القتالَ وما أضاعا
١٥ سمـــا بقرابه حتى إذا ما * أتاهُ قرنُه بذَل المِصاعا
فإن أكُ نائياً عنه فإنى * سُرِرْتُ بأنه غُبِن البياعا
وأفلتَ سالمٌ منها جَريضاً * وقد كلَمَ الذُبابَةَ والذِّراعا
ولو سَلِمت له يُمنَى يديه * لعمرُ أبيكَ أطعمَك السِّباعا

وقال حذيفة بن أنس :

٢٠ ألا بلّغا جُلَّ السوارى وجابراً * وبلغ بنى ذِى السَّهمِ عنا ويَعمرا
كشفتُ غطاء الحربِ لما رأيتُها * تميل على صفوٍ من الليـلِ أكدرا
أخو الحرب إن عضّت به الحربُ عضها * وإن شمرت عن ساقِها الحرب شمرا
ويمشى إذا ما الموتُ كان أمامَه * كذا الشِّبلُ يحمى الأنفُ أن يتأخرا

نجـا سالمٌ والنفسُ منه بشدْقه * ولم ينجُ إلا جفْنَ سيفٍ ومئزَرا
وطاب عنِ اللّعاب نفسا وربّه * وغادر قيسا فى المكرّ وعفزَرا

يوم خزاز

قال أبو عبيدة تنازع عامر ومسمع ابنا عبد الملك ، وخالد بن جبلة ، وإبراهيم ابن محمد بن نوح العطاردى ، وغسان بن عبد الحميد ، وعبد الله بن سلْم الباهلى ، ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاخرون ويتنازعون فى الرياسة يوم خزاز ؛ فقال خالد بن جبلة : كان الأحوص بن جعفر الرئيس . وقال عامر ومسمع : كان الرئيس كليب بن وائل . وقال بن نوح : كان الرئيس زرارة بن عدس . وهذا فى مجلس أبى عمرو بن العلاء ، فتحاكموا إلى أبى عمرو ، فقال : ما شهدها عامر بن صعصعة ، ولا دارم بن مالك ، ولا جشم بن بكر ؛ اليومُ أقدم من ذلك ، ولقد سألت عنه منذ ستين سنة فما وجدت أحداً من القوم يعلم من رئيسهم ومَن الملك ؛ غير أن أهل اليمن كان الرجل منهم يأتى ومعه كاتب وطنْفسة يقعد عليها ، فيأخذ من أموال نزار ماشاء ، كعمال صدقاتهم اليوم . وكان أول يوم امتنعت معدٌّ عن الملوك ملوك حِمْير ، وكانت نزار لم تكثر بعد ، فأوقدوا ناراً على خزاز ثلاث ليال ، ودخنوا ثلاثة أيام . . . فقيل له : وما خزاز ؟ قال : هو جبل قريب من أمرة على يسار الطريق ، خلفه صحراء مَنْعِج ، يناوحه كور وكُوير ، إذا قطعت بطن عاقل ؛ ففى ذلك اليوم امتنعت نزار من أهل اليمن أن يأكلوهم ، ولولا قول عمرو بن كلثوم ما عرف ذلك اليوم ، حيث يقول :

ونحنُ غداةَ أوقد فى خزاز * رفدْنا فوق رِفد الرافدينا
فكنّا الأيمنِين إذا التقينا * وكان الأيسرينَ بنو أبينا
فصالوا صَولةً فيما يليهم * وصُلنا صولةً فيمن يلينا
فآبوا بالنهـابِ وبالسّبايا * وأبنا بالملوكِ مصفَّدينا

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جدُّه كليب بن وائل قائدهم ورئيسهم ما ادعى الرِّفادة وترك الرياسة ، وما رأيت أحداً عرف هذا اليوم ولا ذكره في شعره قبله ولا بعده !

يوم المعـــا

٥ قال أبو عبيدة : أغار المنبطح الأسدى على بنى عبّاد بن ضبيعة ، فأخذ نعما لبنى الحرب بن عباد ، وهى ألف بعير ؛ فمر ببنى سعد بن مالك بن ضبيعة ، وبنى عجل بن لجيم ؛ فتبعوه حتى انتزعوها منه ، ورئيس بنى سعد حمران ابن عبد عمرو ، فأسر أفتل بن حسان العجلىُّ المنبطحَ الأسدى ، ففداه قومه ، ولا أدرى كم كان فداؤه ، واستنقذوا السبى ، فقال حُجر بن خالد بن محمود فى ١٠ يوم المعا :

ومُنبطِح الغواضر قد أذَقنا * بناعِجَةِ المِعا حَرّ الجلادِ
تنفَّذنا أخاذيذاً فرُدّت * على سكنٍ وجمع بنى عُباد

سكن : ابن باعث بن الحرث بن عباد ؛ والأخائذ : من أُخذ من النساء .

وقال حُمران بن عبد عمرو :

١٥ إنّ الفوارسَ يوم ناعِجة المعا * نعمَ الفوارسُ من بنى سيارِ
لم يُلهِهم عقدُ الأصِرّة خلفهم * وحنينُ مُنهلةِ الضروعِ عشار
لحِقوا على قبّ الأياطلِ كالقنا * شُعثٌ تعدُّ لكلّ يومٍ عوار
حتى حبوْن أخا الغواضر طعنةً * وفككن منه القِدّ بعد إسار
سالت عليه من الشِّعاب خوانفٌ * وردّ الغُطاط تبلُّج الأسحار

٢٠ يوم الفِّسار

قال أبو عبيدة : حالفت أسد وطيء وغطفان ، ولحقت بهم ضبة وعدى ؛ فغزوا بنى عامر فقتلوهم قتلا شديدا ؛ فغضبت بنو تميم لقتل عامر ؛ فتجمعوا

حتى لحقوا طيئاً وغطفان وحلفاءهم من بنى ضبة وعدى يوم الجفار ،
فقتلت تميم طيئا أشد مما قتلت عامر يوم النسار . فقال فى ذلك بشر بن
أبى خازم :

غضبت تميمٌ أن تُقتل عامرٌ * يوم النِّسار فأعتبوا بالصَّيلم

يوم ذات الشقوق

لخلف ضمرة بن النهشلى . فقال : الخمر علىّ حرام حتى يكون له يوم يكافئه!
فأغار عليهم ضمرة يوم ذات الشقوق فقتلهم ، وقال فى ذلك :

الآن ساغ لىَ الشرابُ ولم أكن * آتى التِّجار ولا أشدّ تكلّمى
حتى صبحتُ على الشُّقوق بغارةٍ * كالتمر يُنثر فى حرير الحُرّم
وأبأت يوما بالجفار بمثـــلهِ * وأجرتُ نصفاً من حديث الموسمِ
ومشت نساءٌ كالظباء عواطلا * من بين عارفةِ السِّباء وأيّمِ
ذهب الرِّماح بزوجها فتركنَه * فى صدرِ مُعتدلِ القَناةِ مُقوّم

يوم خوّ

قال أبو عبيدة : أغارت بنو أسد على بنى يربوع فاكتسحوا إبلهم ؛ فأتى
الصريخ الحىّ ، فلم يتلاحقوا إلا مساء بموضع يقال له خوّ ، وكان ذؤاب
ابن ربيعة الأسدى على فرس أنثى ، وكان عُتيبة بن الحارث بن شهاب على حصان ؛
فجعل الحصان يستنشق ريح الأنثى فى سواد الليل ويتبعها ، فلم يعلم عتيبة إلا وقد
أقحم فرسه على ذؤاب بن ربيعة الأسدى ، وعتيبة غافل لا يبصر ما بين يديه فى
ظلمة الليل ، وكان عتيبة قد لبس درعه وغفل عن جُربّانها حتى أتى الصَّريخ
فلم يشدّه ، ورآه ذؤاب فأقبل بالرمح إلى ثغرة نحره فخر صريعا قتيلا ؛ ولحق
الربيع بن عتيبة فشد على ذؤابٍ فأسره وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ، فكان عنده أسيرا
حتى فاداه أبوه ربيعة بإبل معلومة قاطعه عليها ، وتواعدا سوق عكاظ فى الأشهر الحرم

أن يأتى هذا بالإبل ويأتى هذا بالأسير ؛ وأقبل أبو ذؤاب بالإبل ، وشُغل الربيع ابن عتيبة فلم يحضر سوق عكاظ ، فلما رأى ذلك ربيعة أبو ذؤاب لم يشك أن ذؤابا قد قتلوه بأبيهم عتيبة ، فرثاه وقال :

أبلغْ قبائلَ جعفرٍ مخصُوصةً * ما إنْ أُحاوِلُ جعفرَ بن كِلابِ

٥ إنّ المودّةَ والهوادةَ بيْننا * خَلَقٌ كسَحْقِ الرَّيْطَةِ المُنجابِ

ولقدعَلِمتُ على التّجلُّدِ والأسى * أنّ الرّزِيّةَ كان يومَ ذُؤابِ

إنْ يَقتُلوك فقدْ هَتكتَ بُيُوتَهمْ * بعُتَيْبَةَ بنِ الحرثِ بن شِهابِ

بأَحَبِّهم فقْــداً إلى أعدائِهِ * وأشدِّهم فقْـداً على الأصحاب

فلما بلغهم الشعرُ قتلوا ذؤاب بن ربيعة .

١٠ وقالت آمنة بنت عُتيبة ترثى أباها :

على مِثلِ ٱبنِ مَيّـةَ فانعَياهُ * بِشقِّ نواعِمِ البَشرِ الجُيُوبا

وكانَ أبى عُتَيْبةُ شَمَّريًّا * فلا تَلقـاهُ يَدّخِرُ النَّصيبا

ضَرُوبا للكَمِيّ إذا ٱشمَعلّتْ * عوانُ الحرْبِ لاوَرِعاً هَيُوبا

أيام الفجار الأول

١٥ قال أبو عبيدة : أيام الفجار عدة ، وهذا أولها ؛ وهو بين كنانة وهوازن ، وكان الذى هاجه أن بدر بن معشر أحد بنى غِفار بن مُليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، جُعل له مجلس بسوق عكاظ ، وكان حدثا منيعا فى نفسه ، فقام فى المجلس وقام على رأسه قائم ، وأنشأ يقول :

نحنُ بنُو مُدرِكَةَ بن خِندِفِ * مَن يطعنُوا فى عينِه لم يَطرفِ

٢٠ ومن يكونُوا قومَه يُغَطرِفِ * كأنهمْ لُجّةُ بحــرٍ مُسْدِف

قال : ومدّ رِجْله وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز منى فليضربها !

فضربها الأحيمر بن مازن أحد بنى دهمان بن نصر بن معاوية ، فأندرها من الركبة ، وقال :

* خذها إليك أيها المخندف *

قال أبو عبيدة : إنما خَرصها خُريصة يسيرة وقال فى ذلك :

نحن بنُو دهمانَ ذُو التّغَطرُفِ * بحرٌ لبحْرٍ زاخرٍ لم ينزف ٥

تَبنى على الأحياء بالمُعرّفِ

قال أبو عبيدة : فتحاور الحيان عند ذلك حتى كاد أن يكون بينهما الدماء ؛ ثم تراجعوا ورأوا أن الخطب يسير .

الفجار الثانى

كان الفجار الثانى بين قريش وهوازن ، وكان الذى هاجه أن فتية من قريش ١٠ قعدوا إلى امرأة من بنى عامر بن صعصعة وضيئة وحسانة بسوق عكاظ . وقالوا : بل طاف بها شباب من بنى كنانة وعليها برقع وهى فى درع فضل ، فأعجبهم مارأوا من هيئتها ، فسألوها أن تسفر عن وجهها فأبت عليهم ، فأتى أحدُهم من خلفها فشد دُبُرَ دِرْعِها بشوكة إلى ظهرها وهى لاتدرى ، فلما قامت تقلص الدرع عن دبرها ، فضحكوا وقالوا : منعتْنا النظرَ إلى وجهها فقد رأينا دبرها ! فنادت المرأة ١٥ ياآل عامر ! فتحاور الناس ، وكان بينهم قتال ودماء يسيرة ، فحملها حرب بن أمية وأصلح بينهم .

الفجار الثالث

وهو بين كنانة وهوازن : وكان الذى هاجه أن رجلا من بنى كنانة كان عليه دين لرجل من بنى نصر بن معاوية ؛ فأعدم الكنانى ، فوافى النصرى بسوق ٢٠ عكاظ بقرد فأوقفه فى سوق عكاظ ، وقال : من يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان ! حتى أكثر فى ذلك ؛ وإنما فعل ذلك النصرى تعييرا للكنانى ولقومه ؛ فمر به رجل من بنى كنانة فضرب القرد بسيفه فقتله ، فهتف النصرى : ياآل هوازن !

وهتف الكنانى : ياآل كنانة ! فتهايج الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال ، ثم رأوا الخطب يسيرا فتراجعوا ولم يفقم الشر بينهم .

قال أبو عبيدة : فهذه الأيام تسمى فجارا ، لأنها كانت فى الأشهر الحرم ، وهى الشهور التى يحرّمونها ففجروا فيها ، فلذلك سميت فجارا وهذه يقال لها الفجار الأول .

الفجار الآخر

وهو بين قريش وكنانة كلها وهوازن ؛ وإنما هاجها البرّاض بقتله عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ؛ فأبت أن تقتل بعروة البراض ؛ لأن عروة سيد هوازن ، والبراض خليع من بنى كنانة ؛ أرادوا أن يقتلوا به سيدا من قريش .

وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة وقد شهدها النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه . وقال النبى عليه الصلاة والسلام : كنت أنبّلُ على أعمامى يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة يعنى أناولهم النبل .

وكان سبب هذه الحرب أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث [إلى] سوق عكاظ فى كل عام لطيمة فى جوار رجل شريف من أشراف العرب ، يجيرها له حتى تباع هناك ويُشترى له بثمنها من أَدَم الطائف ما يحتاج إليه ، وكانت سوق عكاظ تقوم فى أول يوم من ذى القعدة ، فيتسوقون إلى حضور الحج ، ثم يحجون ؛ وكانت الأشهر الحرم أربعة أشهر : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ؛ وعكاظ بين نخلة والطائف ، وبينها وبين الطائف نحو من عشرة أميال ؛ وكانت العرب تجتمع فيها للتجارة والتّهيُّؤ للحج ، من أول ذى القعدة إلى وقت الحج ، ويأمن بعضها بعضاً ؛ فجهز النعمان : عِيرَ اللطيمة ، ثم قال : من يجيرها ؟ فقال البراض بن قيس الضّمرى : أنا أجيرها على بنى كنانة . فقال النعمان

ما أريد إلا رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرحّال ، وهو يومئذ رجل هوازن : أكلبٌ خليع يجيرها لك ؟ أبيتَ اللعن أنا أجيرها لك على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد وتهامة ! فقال البراض : أعلَى بنى كنانة تجيرها يا عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم ! فدفعها النعمان إلى عروة ، فخرج بها وتبعه البراض ، وعروة لا يخشى منه شيئا ، لأنه كان بين ظهرانَى قومه من غطفان إلى جانب فَدَك ، وإلى أرض يقال لها أوارة ؛ فنزل بها عروة فشرب من الخمر وغنته قينة ، ثم قام فنام ، فجاء البراض فدخل عليه ، فناشده عروة وقال : كانت منى زلّة ، وكانت الفعلة منى ضلة ! فقتله وخرج يرتجز ويقول :

قد كانتِ الفعْلة منى ضلّهْ * هلّا على غيرى جعلتَ الزّلّهْ

فسوف أعلو بالحُسامِ القُلّهْ

وقال :

وداهيَة يُهال النـــاسُ منها * شدَدْت لها بنى بكرٍ ضُلوعى

هتكْتُ بها بيوتَ بنى كِلاب * وأرضعْتُ الموالىَ بالضُّروع

جَمَعْت له يدىَّ بنصْلِ سيْف * أفَلّ فخرَّ كالجذعِ الصَّريع

واستاق اللطيمة إلى خيبر ، واتّبعه المساور بن مالك الغطفانى ، وأسد بن خيثم الغنَوى ، حتى دخل خيبر ! فكان البراض أول من لقيهما ، فقال لهما : من الرجلان ؟ قالا : من غطفان وغنىّ . قال البراض : ما شأن غطفان وغنىّ بهذه البلدة ؟ قالا : ومن أنت ؟ قال : من أهل خيبر . قالا : ألك علم بالبراض ؟ قال : دخل علينا طريدا خليعا فلم يُؤوِه أحدٌ بخيبر ولا أدخله بيتا . قالا : فأين يكون ؟ قال : وهل لكما به طاقة إن دللتكما عليه ؟ قالا : نعم . قال : فانزلا ! فنزلا وعقلا راحلتيهما . قال : فأيكما أجرأ عليه وأمضى مقدَما وأحدّ سيفا ؟ قال الغطفانى : أنا ! قال البراض : فانطلق أدُلّك عليه ، ويحفظ صاحبك راحلتيكما ففعل ، فانطلق البراض يمشى بين يدى الغطفانى حتى انتهى إلى خربة فى جانب

خيبر خارجة عن البيوت . فقال البراض : هو فى هذه الخربة وإليها يأوى ، فأنظرنى حتى أنظر أثمّ هو أم لا . فوقف له ودخل البراض ، ثم خرج إليه وقال : هو نائم فى البيت الأقصى خلف هذا الجدار ، عن يمينك إذا دخلت ، فهل عندك سيف فيه صرامة ؟ قال : نعم . قال : هات سيفك أنظر إليه أصارمٌ هو ؟ فأعطاه إياه ، فهزه البراض ثم ضربه به حتى قتله ، ووضع السيف خلف الباب ؛ وأقبل على الغنوى ، فقال : ما وراءك ؟ قال : لم أر أجبنَ من صاحبك ، تركته قائما فى الباب الذى فيه الرجل ، والرجل نائم ، لا يتقدم إليه ولا يتأخر عنه ! قال الغنوى : يا لهفاه ! لو كان أحد ينظر راحلتينا ! قال البراض : هما علىّ إن ذهبتا ، فانطلق الغنوى . والبراض خلفه ، حتى إذا جاوز الغنوى باب الخربة أخذ البراض السيف من خلف الباب ثم ضربه به حتى قتله ؛ وأخذ سلاحيهما وراحلتيهما ثم انطلق .

وبلغ قريشا خبر البراض بسوق عكاظ ، فخلصوا نجيا ، واتبعتهم قيس لمّا بلغهم أن البراض قتل عروة الرّحال ، وعَلَمُ قيس أبو براء عامر بن مالك ، فأدركوهم وقد دخلوا الحرم ؛ ونادوهم : يا معشر قريش ، إنا نعاهد الله أن لا نبطل دم عروة الرحال أبداً ونقتل به عظيما منكم ، وميعادنا وإياكم هذه الليالى من العام المقبل ؛ فقال حرب بن أمية لأبى سفيان ابنه : قل لهم إن موعدكم قابل فى هذا اليوم . فقال خداش بن زهير فى هذا اليوم ، وهو يوم نخلة :

يا شِدّةً ما شدَدْنا غير كاذبةٍ * على سَخِينةَ لولا البيت والحُرَمُ
لما رأوْا خيلَنا تُزجِى أوائلَها * آسادُ غِيلٍ حمى أشبالَها الأَجَمُ
واستُقْبِلوا بضرابٍ لا كِفاء له * يُبدِى من العُزْلِ الأكفالَ ما كتَموا
ولّوْا سلالاً وعظمُ الخيلِ لاحقةٌ * كما تخُبُّ إلى أوطانها النعم
ولّت بهم كل مِحْضارٍ مُلمْلمة * كأنها لِقْوَةٌ يجنبها ضَرَم

وكانت العرب تسمى قريشا سخينة لأكلها السخن .

يوم شمطة

وهى من يوم الفجار الآخر ، ويوم نخلة منه أيضا ؛ قال : فجمعت كنانة قريشها وعبد مناتها والأحابيش ومن لحق بهم من بنى أسد بن خزيمة ، وسلّح يومئذ عبد الله بن جدعان مائة كمِيٍّ بأداة كاملة ، سوى من سلح من قومه والأحابيش بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة . قال : وجمعت سليم وهوازن جموعها وأحلافها — غير كلاب وبنى كعب ، فإنهما لم يشهدا يوما من أيام الفجار غير يوم نخلة — فاجتمعوا بشَمْطة من عكاظ فى الأيام التى تواعدوا فيها على قرن الحول ، وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيدُها . وكذلك على قبائل قيس ، غير أن أمر كنانة كلها إلى حرب بن أمية ، وعلى إحدى مجنبتيها عبد الله بن جدعان ، وعلى الأخرى كريز بن ربيعة . وحرب بن أمية فى القلب ، وأمر هوازن كلها إلى مسعود بن معتب الثقفى . فتناهض الناس وزحف بعضهم إلى بعض . فكانت الدائرة فى أول النهار لكنانة على هوازن ، حتى إذا كان آخر النهار تداعت هوازن وصابرت ، وانقشعت كنانة فاستحر القتل فيهم ؛ فقتل منهم تحت رايتهم مائة رجل ، وقيل ثمانون ، ولم يُقتل من قريش يومئذ أحدٌ يُذكر ؛ فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة .

يوم العَبْلاء

ثم جمع هؤلاء وأولئك ، فالتقوا على قرن الحول فى اليوم الثالث من أيام عكاظ ، والرؤساء على هؤلاء وأولئك الذين ذكرنا فى يوم شمطة ، وكذلك على المجنبتين ؛ فكان هذا اليوم أيضا لهوازن على كنانة ؛ وفى ذلك يقول خداش ابن زهير :

ألم يبلغك مالقيَتْ قريشٌ ۝ وحيٌّ بنى كنانة إذ أُبيروا
دَهَمْناهم بأرْعَن مُكْفَهِرٍّ ۝ فظلَّ لنا بعَقْوتهم زئير

وفى هذا اليوم قُتل العوّام بن خويلد ، والد الزبير بن العوّام ، قتله مرة بن

معتب الثقفى ؛ فقال رجل من ثقيف :

مِنَّا الذى تركَ العوّام مُنْجدِلاً * تنتابُه الطيرُ لحما بينَ أحجارِ

يوم شرب

ثم جمع هؤلاء وأولئك ؛ فالتقوا على قرن الحول فى اليوم الثالث من أيام عكاظ ؛ فالتقوا بشرب ، ولم يكن بينهم يوم أعظمُ منه ، والرؤساء على هؤلاء وأولئك الذين ذكرنا ، وكذلك على المجنبتين ؛ وحمل ابن جدعان يومئذ مائة رجل على مائة بعير ، ممن لم تكن له حمولة ؛ فالتقوا وقد كان لهوازن على كنانة يومان متواليان : يوم شمطة ، ويوم العبلاء : فحميت قريش وكنانة ؛ وصابرت بنو مخزوم وبنو بكر فانهزمت هوازن وقُتلت قتلا ذريعا ؛ وقال عبد الله بن الزبعرى يمدح بنى المغيرة :

ألا لله قومٌ وَ * لدتْ أختُ بنى سهم

هِشامٌ وأبو عبدِ * منافٍ مِدْرهُ الخصْم

وذو الرُّمحَيْنِ أشباكَ * مِن القوةِ والحزْمِ

فهٰذانِ يذودانِ * وذا من كثَبٍ يَرْمِي

وأبو عبد مناف : قصى ، وهشامٌ . ابنُ المغيرة ، وذو الرمحين : أبو ربيعة بن المغيرة ، قاتل يوم شرب برمحين ، وأمهم رَيطة بنت سعد بن سهم .

فقال فى ذلك جذل الطعان :

جاءت هوازنِ أرسالاً وإخوتُها * بنو سُلَيمٍ فهابوا الموتَ وانصرَفوا

فاستُقبِلوا بِضرابٍ فَضّ جمعَهُمْ * مثلِ الحريقِ فما عاجوا ولا عطَفوا

يوم الحُريرة

قال : ثم جمع هؤلاء وأولئك ثم التقوا على رأس الحول بالحُرَيرة ، وهى حرّة إلى جنب عكاظ ، والرؤساء على هؤلاء وأولئك هم الذين كانوا فى سائر

الأيام ، وكذلك على المجنبتين ، إلا أن أبا مساحق بلعاء بن قيس اليعمرى قد كان مات ، فكان من بعده على بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وأخوه جثامة بن قيس ؛ فكان يوم الحريرة لهوازن على كنانة ، وكان آخرَ الأيام الخمسة التى تزاحفوا فيها ، قال : فقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية أخو حرب بن أمية ، وقُتل من كنانة ثمانية نفر ، قتلهم عثمان بن أسيد بن مالك ، من بنى عامر بن صعصعة ، وقُتل أبو كنف وابنا إياس ، وعمر بن أيوب ؛ فقال خِداش بن زهير : ٥

إنى مِنَ النَّفَرِ المُحْمَرِّ أعيُنُهُمْ * أهلِ السوامِ وأهلِ الصخْرِ واللُّوبِ

الطاعنينَ نحورَ الخيْـلِ مُقْبِلةً * بكلِّ سَمراءَ لم تُعلب ومعلوبِ

وقد بلَوْتم فأبلَوْكم بلاءهم * يومَ الحريرةِ ضرباً غيرَ مكذوبِ

لاقتْكمُ مِنهُمُ آسـادُ مَلْحمةٍ * ليْسوا بزارِعةٍ عُوجِ العراقيبِ ١٠

فالآن إن تُقْبِلوا تأخذْ نحُورَكم * وإن تُباهوا فإنى غيرُ مغلوبِ

وقال الحارث بن كلَدة الثقفى :

تركتُ الفارسَ البذّاخ منهم * تمُجُّ عروقُه علقاً عبيطَا

دعَسْتُ لَبانَهُ بالرُّمحِ حتى * سمِعْتُ لِمَتْنِهِ فيـه أطِيطا

لقد أرديْتَ قومَك يا ابن صَخْرٍ * وقد جشّمْتَهم أمْرًا سليطا ١٥

وكم أسلمتُ منكم من كَمِىّ * جريحاً قد سمِعْتُ له غطِيطا

مضت أيام الفجار الآخِر ، وهى خمسة أيام فى أربع سنين : أولها يوم نخلة ، ولم يكن لواحد منهما على صاحبه ؛ ثم يوم شمطة لهوازن على كنانة ، وهو أعظم أيامهم ؛ ثم يوم العبلاء ، ثم يوم شرب ، وكان لكنانة على هوازن ؛ ثم يوم الحريرة لهوازن على كنانة . ٢٠

قال أبو عبيدة : ثم تداعى الناس إلى السلم على أن يذروا الفضل ويتعاهدوا ويتواثقوا .

يوم عين أباغ

ويعـــده أيام ذي قار

قال أبو عبيدة : كان ملك العرب المنذر الأكبر ابن ماء السماء ، ثم مات فملك ابنه عمرو بن المنذر ، وأمه هند وإليها ينسب ؛ ثم هلك فملك أخوه قابوس، وأمه هند أيضا ، فكان ملكُه أربع سنين ، وذلك فى مملكة كسرى بن هرمز ؛ ثم مات فملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، وذلك فى مملكة كسرى ابن هرمز ؛ فغزاه الحارث الغسانى ، وكان بالشام من تحت يد قيصر ، فالتقوا بعين أباغ ، فقُتل المنذر ، فطلب كسرى رجلا يجعله مكانه ، فأشار إليه عدى بن زيد — وكان من تراجمة كسرى — بالنعمان بن المنذر ، وكان صديقاً له فأحب أن ينفعه ، وهو أصغر بنى المنذر بن المنذر بن ماء السماء ؛ فولاه كسرى على ما كان عليه أبوه ، وأتاه عدى بن زيد فمكّنه النعمان ، ثم سُعى بينهما فحبسه حتى أتى على نفسه ، وهو القائل :

أبلِـغِ النُّعمانَ عنى مألُـكا * أنهُ قد طال حَبْسى وانتظارى
لو بغيْرِ المـاءِ حَلْقِى شرِقٌ * كنت كالغصّان بالماءِ اعتِصارى
وعُــداتى شَمِتتْ أعجبَهُمْ * أننى غُيِّبت عنهم فى إسارى
لامرئ لم يبْلُ منى سقطَةً * إن أصابتْهُ مُلِمّاتُ العِثار
فلئن دهـرٌ تولّى خــيْرُه * وجرَتْ بالنَّحْسِ لى منه الجوارى
لَبِمَا منه قضيْنا حاجــةً * وحياةُ المرْءِ كالشَّىءِ المُعـارِ

فلمـا قَتل النعمان عدىَّ بن زيد العبادى — وهو من بنى امرئ القيس بن سعد بن زيد مناة بن تميم — سار ابنه زيد بن عدى إلى كسرى فكان من تراجمته وكان النعمان عند كسرى ، فحمله عليه ، فهرب النعمان حتى لحق ببنى رواحة من عبس ، واستعمل كسرى على العرب إياسَ بن قبيصة الطائى ؛ ثم إن النعمان تحول حيناً فى أحياء العرب ، ثم أشارت عليه امرأته المتجردةُ أن يأتى كسرى

ويعتذر إليه ، ففعل ، فحبسه بساباط حتى هلك ، ويقال أوطأه الفِيَلة .

وكان النعمان إذا شخص إلى كسرى أودع حلقته وهى ثمانمائة درع وسلاحا كثيراً ، هانئَ بن مسعود الشيبانى ؛ وجعل عنده ابنته هند التى تسمى حرقة ؛ فلما قُتل النعمان قالت فيه الشعراء ؛ فقال فيه زهير بن أبى سلمى المزنى :

ألم تَر للنُّعمانِ كان بنجوَةٍ * مِنَ الشرِّ لو أنّ آمرءًا كان باقيا ٥

فلم أرَ مخذولاً له مثلُ مُلْكِهِ * أقلَّ صديقا أو خليلا مُوافيا

خلَا أنّ حيًّا من رواحةَ عافظُوا * وكانوا أُناسا يتّقونَ المخازيا

فقالَ لهم خيْراً وأثنَى عليهمُ * ووَدّعهُم تودِيعَ أن لا تلاقِيا

يوم ذى قار

قال أبو عبيدة : يوم ذى قار هو يوم ذى الحِنْو ، ويوم قراقر ، ويوم ١٠ الجبابات ، ويوم ذات العُجرُم ، ويوم بطحاء ذى قار ؛ وكلهن حول ذى قار ؛ وقد ذكرتهن الشعراء .

قال أبو عبيدة : لم يكن هانئ بن مسعود المستودَع حلقة النعمان ، وإنما هو ابن ابنه ، واسمه هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود ؛ لأن وقعة ذى قار كانت ١٥ وقد بُعث النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، وخبَّر أصحابه بها فقال : اليوم أولُ يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبى نُصروا .

فكتب كسرى إلى إياس بن قبيصة يأمره أن يضم ما كان للنعمان ؛ فأبى هانئ ابن قبيصة أن يسلم ذلك إليه ، فغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل .

وقدم عليه النعمان بن زرعة التغلبى وقد طمع فى هلاك بكر بن وائل ، فقال : ٢٠ يا خير الملوك ، ألا أدلك على غِرة بكر ؟ قال : بلى . قال : أقِرها وأظهر الإضراب عنها حتى يُجليها القيظ ويدنيها منك : فإنهم لو قاظوا تساقطوا عليك بماءٍ لهم واديا يقال له ذو قار تَساقُطَ الفَراش فى النار فأقرهم ، حتى إذا قاظوا جاءت بكر بن وائل حتى نزلوا الحنو حِنو ذى قار ، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زرعة

يخيّرهم بين ثلاث خصال : إمّا أن يُسلموا الحلقة ، وإمّا أن يُعروا الديار ، وإما أن يأذنوا بحرب ! فتنازعت بكر بينهـا ، فهمّ هانئ بن قبيصة بركوب الفلاة ، وأشار به على بكر ، وقال : لا طاقة لكم بجموع الملك ! فلم تُرَ من هانئ سقطة قبلها .

٥ وقال حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى : لا أرى غيرَ القتال ، فإنّا إن ركبنا الفلاة متنا عطشا ، وإن أعطينا بأيدينا تُقتل مقاتلتُنا وتُسبى ذرارينا . فراسلت بكر بينها وتوافت بذى قار ، ولم يشهدها أحد من بنى حنيفة ؛ ورؤساء بنى بكر يومئذ ثلاثة نفر : هانئ بن قبيصة ، ويزيد بن مسهر الشيبانى ، وحنظلة ابن ثعلبة العجلى .

١٠ وقال مسمع بن عبد الملك العجلى بن لُجيم بن صَعب بن على بن بكر ابن وائل : لا والله ما كان لهم رئيس ، وإنمـا غزوا فى ديارهم فثار الناس إليهم من بيوتهم .

وقال حنظلة بن ثعلبة لهـانئ بن قبيصة : يا أبا أمامة ، إنّ ذمّتكم ذمّتنا عامّة ، وإنه لن يُوصَل إليك حتى تفنى أرواحُنا ؛ فأخرِج هذه الحلقة ففرّقها ١٥ فى قومك ، فإن تظفر فستُردّ عليك ، وإن تهلك فأهوَن مفقود . فأمر بهـا فأُخرجت وفرّقت بينهم . وقال للنعمان : لولا أنك رسول ما أُبْتَ إلى قومك سالمـا !

قال أبو المنذر : فعقد كسرى للنعمان بن زرعة على تغلب والنمر ، وعقد لخالد بن يزيد البهرانى على قضاعة وإياد ، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع ٢٠ العرب ، ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسر ؛ وعقد للهامرز التسترى ـ وكان على مسلحة كسرى بالسواد ـ على ألف من الأساورة ، وكتب إلى قيس بن مسعود ابن قيس بن خالد ذى الجدّين ـ وكان عامله على الطَّفّ طفّ سفوان وأمره أن يوافى إياس بن قبيصة ، ففعل .

وسار إياس بن معه من جنده من طيئ ، ومعه الهامرز ، والنعمان بن زرعة وخالد بن يزيد ، وقيس بن مسعود ، كل واحد منهم على قومه ؛ فلما دنا من بكر انسلّ قيس إلى قومه ليلا ، فأتى هانئا فأشار عليهم كيف يصنعون ، وأمرهم بالصبر ثم رجع .

فلما التقى الزحفان وتقارب القوم ، قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى ، ٥ فقال : يامعشر بكر ، إنّ النُّشّاب الذى مع هؤلاء الأعاجم تفرّقكم ؛ فعاجلوهم اللقاء وابدءوهم بالشدّة .

وقال هانئ بن مسعود : يا قوم مهلك مقدور ، خير من منجى مغرور ؛ إنّ الجزع لا يردّ القَدَر ، وإنّ الصبر من أسباب الظفر . المنيّة خير من الدّنية ، واستقبال الموت خير من استدباره ، فالجِدّ الجِدّ ، فما من الموت بدّ . ١٠

ثم قام حنظلة بن ثعلبة فقطع وُضُنَ النساء فسقطن إلى الأرض ، وقال : ليقاتلْ كل رجل منكم عن حليلته . فسُمى مقطع الوضن .

قال : وقطع يومئذ سبعُمائة رجل من بنى شيبان أيدىَ أقبيتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف ، وعلى ميمنتهم بكر يزيد بن مسهر الشيبانى ، وعلى ميسرتهم حنظلة بن ثعلبة العجلى وهانئ بن قبيصة ، ويقال ابن مسعود ١٥ فى القلب ؛ فتجالد القوم ، وقَتل يزيد بن حارثة اليشكرى الهامرزَ مبارزةً ، ثم قُتل يزيد بعد ذلك ؛ ويقال إنّ الحوفزان بن شريك شدّ على الهامرز فقتله ؛ وقال بعضهم : لم يدرك الحوفزان يوم ذى قار ، وإنما قتله يزيد بن حارثة .

وضرب الله وجوهَ الفرْس فانهزموا ، فاتّبعهم بكر حتى دخلوا السواد فى طلبهم يقتلونهم ؛ وأُسر النعمان بن زرعة التغلبي . ٢٠

ونجا إياس بن قبيصة على فرسه الحمامة ؛ فكان أولّ من انصرف إلى كسرى بالهزيمة إياسُ بن قبيصة وكان كسرى لا يأتيه أحدٌ بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه ، فلما أتاه ابنُ قبيصة ، سأله عن الجيش ، فقال : هَزمنا

بكرَ بن وائل وأتيناك ببناتهم ! فعجب بذلك كسرى وأمر له بكسوة ؛ ثم استأذنه إياس فقال : أخى قيس بن قبيصة مريض بعين التمر ، فأردت أن آتيه . فأذن له .

ثم أتى كسرى رجلٌ من أهل الحيرة وهو بالخورنق ، فسأل : هل دخل على الملك أحد ؟ فقالوا : إياس . فظنّ أنه حدّثه الخبر ، فدخل عليه وأخبره بهزيمة القوم وقتلهم ، فأمر به فنُزعت كتفاه .

قال أبو عبيدة : لمـا كان يوم ذى قار ، كان فى بكر أسرى من تميم قريباً من مائتى أسير ، أكثرهم من بنى رياح بن يربوع ، فقالوا : خلّوا عنا نقاتل معكم ، فإنمـا نذب عن أنفسنا ! فقالوا : إنا نخاف أن لا تُناصحونا ! قالوا : فدعونا نعلم حتى ترَوْا مكاننا وغَناءنا .

وفى ذلك قول جرير :

منّا فوارسُ ذى بَهْدَى وذى نَجَبٍ * والمُعْلَمونَ صباحا يومَ ذى قارِ

قال أبو عبيدة : سئل عمرو بن العلاء ـ وتنافر إليه عجلى ويشكرى ، فزعم العجلى أنه لم يشهد يومَ ذى قار غيرُ شيبانى وعجلى ، وقال اليشكرى : بل شهدتْها قبائلُ بكر وحلفاؤهم .

فقال عمرو : قد فصل بينكما التغلبى حيث يقول :

ولقد رأيتُ أخاكَ عَمراً أمرةً * يقضِى وضِيعَتَيه بذات العُجْرُمِ
فى غَمْرةِ الموتِ التى لا تشتكِى * غَمراتِها الأبطالُ غير تَغمْغُمِ
وكأنما أقدامُهم وأكفهم * سِربٌ تَساقطَ فى خليجٍ مُفْعَمِ
لمّا سمعتُ دُعاء مُرّةَ قد علا * وأبى ربيعة فى العَجاجِ الأقتَمِ
ومُحلّمٌ يمشون تحت لوائهم * والموتُ تحت لواء آل مُحلّمِ
لا يَصدِفونَ عن الوغى بوجوههم * فى كلّ سابغةٍ كلونِ العِظْلَمِ
ودعَتْ بنو أمّ الرِّقاع فأقبَلوا * عنــد اللقاء بكلّ شاكٍ مُعْلَمِ

وسمعتُ يَشكرَ تدّعى بِحُبَيِّبٍ * تحت العَجاجة وهى تَقطر بالدم

يَمشون فى حِلَقِ الحديد كما مشتْ * أُسْدُ العَرين بيوم نَحسٍ مُظلم

والجمعُ من ذهل كأن زُهاءهم * جربُ الجمال يقودُها آبنا قَشْعَم

والخيلُ من تحت العجاج عَوابساً * وعلى سنابكها مناسجُ من دَم

وقال العديل بن الفرخ العجلى : ٥

ما أوْقَد الناسُ من نار لمَكرُمة * إلا آصطلينا وكنا مُوقِدى النارِ

وما يَعُدّون من يوم سمعْت به * للناس أفضلَ من يوم بذى قار

جئنا بأسلابِهم والخيلُ عابسةٌ * لمّا آستَلبْنا لكِسْرَى كلَّ إسْوار

قال : وقالت عجل : لنا يوم ذى قار . فقيل لهم : من المستودع ، ومن المطلوب ، ومن نائب الملك ، ومن الرئيس ؟ فهو إذاً لهم ، كانت الرياسة لهانئ ١٠ وكان حنظلة يشير بالرأى .

وقال شاعرهم :

إن كنتِ ساقيةً يوما ذوِى كرَم * فاسقى الفوارسَ من ذهْلِ بن شيْبانا

وآسقِ فوارسَ حامَوْا عن ذِمارِهمُ * وآعْلِي مَفارِقَهم مِسْكا ورَيحانا

وقال أعشى بكر : ١٥

أمّا تَميمُ فقد ذاقتْ عداوتَنــا * وقيسُ عيْلانَ مَسَّ الخِزْىُ والأسَفُ

وجُنْدُ كِسْرَى غداةَ الحِنْوِ صبَّحهم * منا غَطاريفُ تُزْجِى الموتَ وآنصرَفوا

لقوا مُلَمْلَمَةً شهباء يَقْــدُمُها * للموتِ لا عاجزٌ فيها ولا خَرِف

فرْعٌ نَمتْه فروعٌ غيرُ ناقصــةٍ * مُوَفَّقٌ حازمٌ فى أمره أنف

فيهــا فوارسُ محمودٌ لقــاؤهمُ * مثلُ الأسنَّة لا مِيلٌ ولا كُشُف ٢٠

بِيضُ الوجوه غَداةَ الروْع تَحسَبُهم * جِنانَ عَبْس عليها البِيضُ والزَّغَفُ

لمّا التقينا كشَفْنا عن جَماجِمنا * لِيَعلَموا أننا بَكْرٌ فينصَرفوا

قالوا البقيّة والهنديُّ يحصدُهُم * ولا بقيةَ إلا السيفُ فانكشفوا
لو أنَّ كلَّ معدٍّ كان شاركَنا * في يومِ ذي قارٍ ما أخطاهم الشرف
لما أمالوا إلى النشّابِ أيديَهُمْ * ملنا ببيضٍ فظلَّ الهامُ يُختَطف
إذا عطفنا عليهم عطفةً صبَرَتْ * حتى تولت وكادَ اليومُ ينتصِف
٥ بطارقٌ وبنو ملْكٍ مرازبة * من الأعاجمِ في آذانها النُّطف
من كلِّ مَرْجانةٍ في البحرِ أحرزَها * تيّارُها ووقاها طِينها الصدَف
كأنما الآلُ في حافاتِ جمعِهمُ * والبِيضُ برقٌ بدا في عارضٍ يكِف
ما في الخدودِ صُدودٌ عن سُيوفِهِمُ * ولا عنِ الطّعنِ في اللبّاتِ منحرَف

وقال الأعشى يلوم قيس بن مسعود :

١٠ أقيسَ بنَ مسعودِ بنِ قيسِ بنِ خالدٍ * وأنت امرُؤٌ ترجو شبابَكَ وائلُ
أطورين في عامٍ غزاةً ورحلةً * ألا ليت قيساً غرّقته القوابل
لقد كان في شيْبانَ لو كنت عالما * قبابٌ وحيٌّ حِلّة وقنابل
ورَجْراجة تعشى النواظرَ فخمةٌ * وجُردٌ على أكتافهنّ الرّواحل
رحلتَ ولم تنظر وأنت عميدُهُم * فلا يبلُغَنِّي عنك ما أنت فاعل
١٥ فعرّيت من أهلٍ ومالٍ جمعْتَهُ * كما عرِيتْ مما تُمِرُّ المغازل
شفى النفسَ قتلى لم توسّد خُدودُها * وساداً ولم تُعضَضْ عليها الأنامل
بعينيك يومَ الحِنْوِ إذ صبّحَتهم * كتائبُ موتٍ، لم تعُقْها العواذل

ولما بلغ كسرى خبر قيس بن مسعود إذ انسل إلى قومه ، حبَسه حتى مات في حبسه : وفيه يقول الأعشى :

٢٠ وعرّيت من أهلٍ ومالٍ جمعته * كما عرِيَتْ مما تُمِرُّ المغازلُ

وكتب لقيط الإيادى إلى بنى شيبان فى يوم قار شعراً يقول فى بعضه :

قوموا قياماً على أمشاطِ أرجُلكم * ثم افزعوا قد ينالُ الأمنَ من فزِعا

وقلّدوا أمركم للهِ درُّكم * رحْبَ الذّراع بأمرِ الحربِ مضطلعا

لا مُترفاً إن رخاءُ العيشِ ساعدهُ * ولا إذا عضّ مكروهٌ به خشعا

ما زال يحلِبُ هذا الدهرَ أشطرهُ * يكون مُتّبِعاً طوْراً ومتبَعا

حتى استمرّ على شزْرٍ مريرتُه * مُستحكِمُ الرأي لا قحْماً ولا ضرِعا

وهذه الأبيات نظير قول عبد العزيز بن زرارة :

قد عشتُ في الدهرِ أطواراً على طُرق * شتّى فصادفتُ منه اللينَ والفظَعا

كلاً بلوتُ فلا النعماءُ تبْطرني * ولا تخشّعْتُ من لأوائِه جزعا

لا يملأُ الأمرُ صدْري قبل موْقعه * ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا

كتاب الزمردة

في المواعظ والزهد

فرش كتاب الزمردة الثانية في فضائل الشعر

لابن عبد ربه

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله :

٥ قد مضى قولنا فى أيام العرب ووقائعها وأخبارها ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ؛ إذ كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها ، والمقيِّد لأيامها ، والشاهد على حُكامها ؛ حتى لقد بلغ من كَلَف العرب به ، وتفضيلها له ، أن عمدت إلى سبع قصائد تَخيَّرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطِيّ المدرجة ، وعلقتها بين أستار الكعبة ؛

١٠ فمنه يقال : مذهبة امرئ القيس ، ومذهبة زهير . والمذهبات سبع ، وقد يقال لها المعلقات .

قال بعض المحدثين قصيدةً له ، ويشبهها ببعض هذه القصائد التى ذكرت .

برْزَةٌ تذكَرُ فى الحُسْـ * ـنِ من الشِّعرِ المعلَّقْ
كلُّ حرفٍ نادرٍ مـ * ـنها له وجهٌ مُعشَّق

١٥ ## المعلقات

لامرئ القيس :	* قفا نبْكِ من ذكرَى حبيبٍ ومنزلِ *
ولزهير :	* أمن أمِّ أوفى دِمنــةٌ لم تكلَّم *
ولطرفة :	* لخوْلةَ أطلالٌ ببُرقةِ ثَهْمَدِ *
ولعنترة :	* يا دارَ عبْلةَ بالجواء تكلَّمى *

ولعمرو بن كلثوم : * ألا هُبى بصحْنِكِ فاصبحِينا *

وللبيد : * عفَتِ الديارُ محلُّها فمُقامُها *

وللحارث بن حلزة : * آذنتنا ببيْنِها أسمــاء *

اختلاف الناس فى أشعر الشعراء

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم وذكر عنده امرؤ القيس بن حُجر : هو قائدُ الشعراء وصاحب لوائهم . ٥

لابن الخطاب

وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان : مَن الذى يقول :

حلفتُ فلم أترُكْ لنفسِكَ ريبةً * وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

قالوا : نابغة بنى ذبيان . قال لهم : فمن الذى يقول هذا الشعر : ١٠

أتيتُــك عارياً خلقاً ثِيابى * على وجلٍ تُظن بىَ الظنونُ

فألفيت الأمانةَ لم تخنْها * كذلك كان نوحٌ لا يخون

قالوا : هو النابغة . قال هو أشعر شعرائكم . وما أحسب عمر ذهب إلا إلى أنه أشعر شعراء غطفان ، ويدل على ذلك قوله : هو أشعر شعرائكم .

عمر وابن عباس فى زهير

وقد قال عمر لابن عباس : أنشدنى لأشعر الناس ، الذى لا يعاظِل بين القوافى ولا يتبع حوشىَّ الكلام . قال : من ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير بن أبى سلمى فلم يزل ينشده من شعره حتى أصبح . ١٥

وكان زهير لا يمدح إلا مستحِقا ، كمدحه لسنان بن أبى حارثة ، وهرم بن سنان وهو القائل :

وإنّ أشعر بيت أنتَ قائلهُ * بيتٌ يُقال إذا أنشدتَه : صدَقا ٢٠

وكذلك أحسنُ القولِ ما صدّقه الفعل .

تميم وابن جندل

قالت بنو تميم لسلامة بن جندل : مجِّدْنا بشعرك . قال : افعلوا حتى أقول .

لبيد وقيل للبيد : من أشعر الشعراء ؟ قال : صاحب القروح — يريد امرأ القيس — قيل له : فبعدَه مَن ؟ قال : ابن العشرين — يعنى طَرَفة — قيل له : فبعده مَن ؟ قال : أنا .

الحطيئة وقيل للحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :

٥ من يسألِ الناسَ يَحْرِموهُ ٭ وسائلُ الله لا يَخيبُ

يريد عبيد بن الأبرص . قيل له : فبعده من ؟ فأخرج لسانه وقال : هذا إذا رغب .

وقيل لبعض الشعراء : من أشعر الناس ؟ قال : النابغة إذا رهب ، وزهيرٌ إذا رغب ، وجرير إذا غضب .

١٠ وقال أبو عمرو بن العلاء : طرفةُ أشعرُهم واحدة . يعنى قصيدته :

٭ لخَوْلةَ أطلالٌ بِبُرقةِ ثَهْمَدِ ٭

وفيها يقول :

ستبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلا ٭ ويأتيكَ بالأخبارِ من لم تُزوِّدِ

وأُنشد هذا البيت للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقال : هذا من

١٥ كلام النبوّة !

لابن عمر وسمع عبد الله بن عمر رجلا يُنشد بيت الحطيئة :

متى تأتِه تعشو إلى ضوءِ نارِه ٭ تجد خير نار عندها خيرُ موقدِ

فقال : ذاك رسول الله ! إعجاباً بالبيت ، يعنى أن مثل هذا المدح لا يستحقه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٠ للأصمعى سئل الأصمعى عن شعر النابغة ، فقال : إن قلتُ ألين من الحرير صدقت وإن قلت أشدّ من الحديد صدقت .

وسئل عن شعر الجعدى ، فقال : مطرَف بألف وخمار بوافٍ .

لحماد — وسئل حماد الراوية عن شعر ابن أبي ربيعة ، فقال : ذلك الفستق المقشر الذى لا يُشبَع منه .

لبعضهم — وقالوا فى عمرو بن الأهتم : كأنّ شعره حُللٌ منشّرة .

لابن العلاء — وسئل عمرو بن العلاء عن جرير والفرزدق ، فقال : هما بازيان ، يصيدان ما بين الفيل والعندليب . ٥

لجرير — وقال جرير : أنا مدينة الشعر والفرزدق نبْعته .

لابن جرير — وقال بلال بن جرير : قلت لأبى : يا أبت ، إنك لم تهجُ قوما قط إلا وضعتهم إلا بنى لجأ . قال : إنى لم أجد شرفا فأضعه ولا بناء فأهدمه !

أشعر نصف بيت — واختلف الناس فى أشعر نصف بيت قالته العرب ، فقال بعضهم : قول أبى ذؤيب الهذلى : ١٠

والدّهرُ ليس بمعتِبٍ مَن يَجزَعُ

وقال بعضهم : قول حميد بن ثور الهلالى :

نُوكّلُ بالأدنى وإن جلّ ما يَمضى

وقال بعضهم : قول زُميل :

ومن يكُ رهنا للحوادثِ يَغلَقِ ١٥

وهذا ما لا يُدرَك غايته ولا يوقَف على حدّ منه ، والشعر لا يفوت به أحد ولا يأتى به بديع إلا أتى ما هو أبدع منه ؛ ولله درُّ القائل : أشعرُ الناس من أبدع فى شعره ؛ ألا ترى مروانَ بن أبى حفصة على موضعه من الشعر وبُعد صيته فيه ومعرفته وسمته ـ أنشدوه لامرئ القيس فقال : هذا أشعر الناس .

فى شعر حسان — وقد قالوا : لحسان بن ثابت أفخرُ بيت قالته العرب وأحكم بيت قالته العرب ؛ ٢٠ فأما أفخر بيت قالته العرب فقوله :

وبيوم بدر إذ يردُّ وجوهَهم * جبريلُ تحت لوائنا ومحمدُ

وأما أحكم بيت قالته العرب فقوله :

فإنّ آمرأً أمسى وأصبح سالمـا * من الناسِ إلّا ما جَنَى لَسعيدُ

في شعر جرير

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

والتَّغْلبِيُّ إذا تنحْنَح للقِرَى * حكَّ آسْتَه وتَمثَّل الأمثالا

٥ ولمـا قال جرير هذا البيت قال : والله لقد هجوت بنى تغلب ببيت لو طعنوا في أستاهِهِم بالرماح ما حكُّوها !

في شعر أبي ذؤيب

ويقال : إن أبدع بيت قالته العرب : قول أبي ذؤيب الهذلي :

والنَّفْس راغبةٌ إذا رغَّبْتَها * وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

ويقال إنّ أصدق بيت قالته العرب قول لبيد :

١٠ ألاَ كلُّ شيءٍ ما خلا آللّه باطلُ * وكلُّ نعيم لا محـالةَ زائل

لعبد الملك

وذُكر الشعر عند عبد الملك بن مروان فقال : إذا أردتم الشعر الجيِّد فعليكم بالزرق من بنى قيس بن ثعلبة — وهم رهط أعشى بكر — ، وبأصحـاب النخل من يثرب — يريد الأوس والخزرج — ، وأصحـاب الشعف من هذيل . والشعف : رءوس الجبال .

١٥ فضائل الشعر

لابن عبد ربه

ومن الدليل على عِظَم قدر الشعر عند العرب وجليل خطبه في قلوبهم : أنه لمـا بُعث النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز نظمُه ، المحكم تأليفه ، وأعجب قريشاً ما سمعوا منه ، قالوا : ما هذا إلا سحرٌ ! وقالوا في النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ شاعر نتربّص به ريب المنون ﴾ . وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في ٢٠ عمرو بن الأهتم لمـا أعجبه كلامه : إنّ من البيان لَسِحْرا .

وقال الراجز :

لقد خشيتُ أن تكونَ ساحرَا * راويةً مَرًّا ومَرا شـاعرَا

للنبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنّ من الشّعر لحكمة .

وقال كعب الأحبار : إنا نجد قوماً فى التوراة أناجيلهم فى صدورهم ، تنطق ألسنتهم بالحكمة ؛ وأظنهم الشعراء .

لابن الخطاب

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أفضل صناعات الرجل الأبياتُ من الشعر يقدمها فى حاجاته ، يستعطف بها قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم . ٥

الحجاج والمساور

وقال الحجاج للمساور بن هند : مالك تقول الشعر وقد بلغت من العمر ما بلغت ؟ قال : أرعى به الكلأ ، وأشرب به الماء ، وتُقْضى لى به الحاجة ؛ فإن كفيتنى ذلك تركته !

وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده : رَوِّهم الشعر ، روِّهم الشعر : يمجدوا وينجدوا ! ١٠

لعائشة

وقالت عائشة : رَوُّوا أولادكم الشعر تعذُبْ ألسنتهم .

معاوية وولد لزياد

وبعث زياد بولده إلى معاوية ، فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالمًا بكل ما سأله عنه ، ثم استنشده الشعر ، فقال : لم أروِ منه شيئا ! فكتب معاوية إلى زياد ؟ ما منعك أن تُرَوِّيَه الشعر ؟ فوالله إن كان العاق ليَرْويه فيَبَرّ ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو ، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل . ١٥

لعلى فى الحرب

وكان على رضى الله عنه إذا أراد المبارزة فى الحرب أنشأ يقول :

أىَّ يومىَّ من الموت أفر * يومَ لا يُقْدر أم يومَ قُدِرْ
يوم لا يُقْدَر لا أرْهَبُه * ومن المقْدور لا ينْجو الحذِرْ

للمقداد

وقال المقداد بن الأسود : ماكنت أعلم أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة رضى الله عنها ! ٢٠

وفى رواية الخشنى عن أبى عاصم عن عبد الله بن لاحق عن ابن أبى مليكة قال : قالت عائشة : رحم الله لبيداً كان يقول :

قَضِّ اللُّبانة لا أبَا لك واذهبِ * والحقْ بأُسرتك الكرام الغُيَّبِ

ذهب الذين يُعاشُ فى أكنافِهم ۞ وبقِيتُ فى خلَفٍ كجِلد الأجربِ

فكيف لو أدرك زماننا هذا ! ثم قالت : إنى لأروى ألف بيت له ، وإنه أقل ما أروى لغيره .

الشعبي

وقال الشعبي : ما أنا لشيء من العلم أقلّ منى روايةً للشعر ، ولو شئت أن أنشد شِعْراً شهراً لا أعيد بيتاً لفعلت .

٥

النبي صلى الله عليه وسلم

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وهى تنشد شعر زهير بن جناب .

ٱرفعْ ضعيفَك لايحلْ بك ضَعفُه ۞ يوماً فتـــدركه عواقب ماجَنَى

يَجزيك أو يُثْنِي عليك فإنّ مَن ۞ أثنى عليك بمـا فعلْت كمن جزى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق ياعائشة ؛ لاشَكَر الله من لا يشكر الناس .

١٠

يزيد بن عمر بن مسلم الخزاعى ، عن أبيه عن جده قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ومنشدٌ يُنشده قول سُويد بن عامر المصطلق :

لاتأمَنَنَّ وإنْ أمسيْتَ فى حرمٍ ۞ إنّ المنايا بِجَنْبَىْ كلِّ إنسانِ

فٱسلكْطريقَك تمشىغيرَمُختشعٍ ۞ حتى تُلاقى الذى مَنَّى لك المَانى

فكلُّ ذى صاحبٍ يوماً مُفارقه ۞ وكلُّ زادٍ وإنْ أبقيْتَه فانِ

والخيْر والشرُّ مقرونان فى قَرَنٍ ۞ بكلِّ ذلك يأتيك الجديدانِ

١٥

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أدرك هذا الإسلام لأسلم .

أبو حاتم عن الأصمعى قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أُنشدك يارسول الله ، قال : نعم ، فأنشده :

تركْت القِيان وعزْف القِيانِ ۞ وأدمنْتُ تصليةً وابتِهـالا

وكَرِّى المُشقّر فى حُومةٍ ۞ وشَنى على المشركين القتالا

٢٠

أيارَبِّ لا أُغبَنَنْ صَـفْقتى ۞ فقد بعْت مالى وأهلى بدالا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ربح البيع . ربح البيع .

وقدم أبو ليلى النابغة الجعدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده

شعره الذي يقول فيه :

بلَغْنا السماءَ مَجدُنا وجدودُنا ٭ وإنا لنرجو فوق ذلك مَظْهرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إلى أين يا أبا ليلى ؟ فقال : إلى الجنة يا رسول الله بك ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إلى الجنة إن شاء الله ! فلما بلغ قوله وانتهى وهو يقول : ٥

ولا خيْر فى حلْمٍ إذا لم تكن له ٭ بوادرُ تَحمى صَفْوهُ أن يكدرا

ولا خيْر فى جهلٍ إذا لم يكن له ٭ حليمٌ إذا ما أورد الأمْرَ أصدرا

قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يَفضُض الله فاك . فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنْفَض له ثنية .

لابن عباس — سفيان الثورى عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال : إنها لكلمة نبيّ . ١٠ يعنى قول الشاعر :

ستبْدِى لك الأيام ما كنت جاهلا ٭ ويأتيك بالأخبار من لم تُزوِّدِ

لكعب — وسمع كعبٌ قول الحطيئة :

من يفعل الخيْر لا يَعدمْ جوازيَه ٭ لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناس

قال : إنه فى التوراة حرف بحرف ؛ يقول الله تعالى : من يفعل الخير يجده ١٥ عندى ، لا يذهب الخير بينى وبين عبدى .

للنبى صلى الله عليه وسلم — ابن عباس قال : أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم أبياتاً لأمية بن أبي الصلت يذكر فيها حملة العرش ، وهى :

رجلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يمينه ٭ والنَّسْر للأُخرى وليْثٌ مُرْصد

والشمس تَطلُع كل آخر ليلةٍ ٭ حمراءَ ويصبح لونها يتوقّدُ ٢٠

تبدو فما تبدو لهم فى وقتها ٭ إلا مُعَــذَّبةً وإلا تُجلــد

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم كالمصدّق له .

ومن حديث ابن أبي شيبة : أن النبي صلى الله عليه وسلم أردف الشريد ،

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : تروى من شعر أمية بن أبى الصلت شيئاً ؟ قلت : نعم . قال : فأنشدنى . فأنشدته ، فجعل يقول بين كل قافيتين : هيه ! حتى أنشدته مائة قافية ، فقال : هذا رجل آمن لسانُه وكفر قلبُه !

ولو لم يكن من فضائل الشعر إلا أنه أعظم جند يجنّده رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين ... يدلّ على ذلك قوله لحسان : شن الغطاريف على بنى عبد مناف ؛ فوالله لَشِعْرُك أشدُّ عليهم من وقع السهام فى غَلَس الظلام ؛ وتَحَفَّظْ ببَنى فيهم . قال : والذى بعثك بالحق نبيا ، لأَسُلَّنَّك منهم سَلَّ الشعرةِ من العجين! ثم أخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه ، وقال : والله يارسول الله إنه ليُخيّل لى أنى لو وضعتُه على حجر لفلقه ، أو على شَعر لحلقه ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أيّد الله حساناً فى هجوه بروح القُدس .

إسلام دوس

وقال ابن سيرين : بلغنى أن دوْساً إنمـا أسلمتْ فرَقاً من كعب بن مالك صاحب النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

قضيْنا من تِهامةَ كل نَحبٍ * وخيْبَرَ ثمّ أغمَدْنا السُيوفا

نُخبّرُها ولو نطقَت لقالت * قواضِبُهُنّ : دوْساً أو ثقيفا

النبي صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : لقد شكر اللهُ لك قولك حيث تقول :

زَعَمَتْ سخينَةُ أن ستغلبُ ربَّها * وليُغلَبَنّ مُغالبُ الغـلّاب

ولو لم يكن من فضائل الشعر إلا أنه أعظم الوسائل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

فمن ذلك أنه قال لعبد الله بن رواحة : أخبرنى ما الشعر يا عبد الله ؟ قال : شيء يختلج فى صدرى فينطق به لسانى . قال : فأنشـدنى . فأنشده شعرَه الذى يقول فيه :

فثبّتَ الله ماآتاك من حسنٍ * تثبيتَ عيسى بإذنِ الله والقدرِ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وإياك ثبّتَ الله ، وإياك ثبّت الله .

شعر قتيلة بنت الحارث

ومن ذلك ما رواه ابن إسحاق صاحب المغازى وابن هشام : قال ابن إسحاق : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء — قال ابن هشام : الأثيل — أمر عليا فضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبرا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت أخته قتيلةُ بنت الحارث ترثيه : ٥

يا راكباً إنّ الأثَيلَ مَظِنّةٌ * من صُبحِ خامسةٍ وأنت مُوَفّقُ
أبلِغْ بها مَيْتاً بأنّ تحيّةً * ما إن تزالُ بها النجائبُ تخفِق
منى عليكَ وعبْرةً مسفوحَةً * جادت بواكِفِها وأُخرى تخنُق
هل يسمَعنّ النَّضْرُ إن ناديْته * أم كيفَ يسمعُ ميّتٌ لا ينطِق
أمُحمّدٌ يا خيرَ ضِنْءٍ كريمة * فى قومِها والفحلُ فحْلٌ مُعْرِق ١٠
ما كان ضَرّك لو منَنْتَ وربّما * مَنّ الفتى وهو المغيظُ المحنِق
والنضْرُ أقربُ مَن أسَرت قرابة * وأحقُّهم إن كان عِتقاً يُعتَق
ظلّتْ سيوفُ بنى أبيه تنوشُه * لله أرحامٌ هُناك تمزّق
صبْراً يُقادُ إلى المنيّةِ مُتعَباً * رسْفَ المقيّدِ وهو عانٍ مُوثَق

قال ابن هشام : قال النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر : لو بلغنى قبل قتله ما قتلتُه . ١٥

بين النبى وأبى جرول يوم حنين

من حديث زياد بن طارق الجُشمى قال : حدثنى أبو جرول الجشمى — وكان رئيس قومه — قال : أسرنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فبينما هو يميز الرجال من النساء ، إذ وثبتُ فوقفت بين يديه وأنشدته :

آمْنُن علينا رسول الله فى كَرمٍ * فإنك المرْءُ نرجــوهُ وننتَظِرُ ٢٠
آمنن على نِسْوة قد كنت ترضعُها * يا أرجح الناس حِلماً حين يُختبَرُ
إنا لنشكر للنُّعْما إذا كُفِرَتْ * وعندنا بعدَ هذا اليومِ مُدّخَرُ

فذكّرته حين نشأ فى هوازن وأرضعوه ؛ فقال عليه الصلاة والسلام :

أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم . فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله . فردّت الأنصار ما كان فى أيديها من الذرارى والأموال !

فإذا كان هذا مقام الشعر عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فأىُّ وسيلة تبلغُه أو تعسره ؟

فتح مكة

٥ وكان الذى هاج فتح مكة أن عمرو بن مالك الخُزاعى ، ثم أحد بنى كعب خرج من مكة حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ وكانت خُزاعة فى حِلف النبي صلى الله عليه وسلم فى عهده وعقده ؛ فلما انتقضت عليهم قريش بمكة وأصابوا منهم ما أصابوا ، أقبل عمرو بن سالم الخزاعى بأبيات قالها ، فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد بين
١٠ أظهر الناس ؛ فقال :

يا ربِّ إنى ناشِدٌ مُحمّدَا * حِلفَ أبينا وأبيه الأتلَدا
قد كنتمُ وُلْداً وكنّا ولِداً * وزعموا أنْ لستُ أدعو أحدَا
إنّ قريشاً أخلفوك الموعِدا * ونقضوا ميثاقك المؤكّدا
وجعلوا لى فى كَداء رصدَا * وزعموا أنْ لستُ أدعو أحدا
١٥ وهم أذلُّ وأقل عددَا * هُمْ بيّتُونا بالوتير هُجّدا
وقتلونا رُكّعًا وسجّدا * فانصر هداكَ الله نصرًا أيّدا
وادعُ عباد الله يأتوا مددَا * فيهم رسولُ الله قد تجرّدا
إن سِيمَ خسْفًا وجهه تَربّدا * فى فيْلَقٍ كالبحرِ يجرى مُزْبِدا

قال ابن هشام : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نُصرتَ يا عمرو بن
٢٠ مالك ، ثم عرض عارض من السماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ! إنّ هذه السحابة تستهلُّ بنصر بنى كعب .

لابن الخطاب

وقال عمر بن الخطاب : الشعر جذل من كلام العرب ، يسكُن به الغيظ ، وتطفأ به النائرة ، ويتبلّغ به القوم فى ناديهم ، ويعطى به السائل .

لابن عباس

فقال ابن عباس . الشعر علم العرب وديوانها؛ فتعلموه، وعليكم بشعر الحجاز فأحسبه ذهب إلى شعر الحجاز وحض عليه؛ إذ لغتهم أوسط اللغات .

لمعاوية

وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم : يا أخى ، إنك شُهِرْتَ بالشعر ؛ فإياك والتشبيب بالنساء ، فإنك تعرّ الشريفة فى قومها ، والعفيفة فى نفسها — ؛ والهجاء فإنك لا تعدو أن تعادى به كريما أو تستثير به لئيما ؛ ولكن افخر بمآثر قومك ، ٥ وقل من الأمثال ماتوقّر به نفسك ، وتؤدب به غيرك .

عمر يشاطر عماله أموالهم

وسئل مالك بن أنس : من أين شاطر عمر بن الخطاب عماله؟ فقال : أموال كثيرة ظهرت عليهم ، وإن شاعرا كتب إليه يقول :

نحُجُّ إذا حجّوا ونغزو إذا غزوْا ٭ فأنى لهم وفْرٌ ولسنا بذى وفرِ ؟

١٠ إذا التاجرُ الهنــدِىُّ جاء بفارة ٭ من المسكِ راحت فى مفارِقهم تجرى

فدونكَ مال اللهِ حيثُ وجدتَه ٭ سيرْضون إن شاطرْتهم منك بالشطْر

قال : فشاطرهم عمر أموالهم .

عمر وشعر زهير

وأنشد عمر بن الخطاب قول زهير :

فإنّ الحقّ مقطعُه ثلاثٌ ٭ يَمينٌ أو نِفارٌ أو جلاء

١٥ لجعل يعجب بمعرفته بمقاطع الحقوق وتفصيلها ، وإنما أراد : مقطع الحقوق يمين أو حكومة أو بينة .

وأنشد عمر قول عبدة بن الطبيب :

٭ والعيْش شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميل ٭

فقال : على هذا بُنيَتِ الدنيا .

النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى وباء المدينة

٢٠ ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهاجر أصحابه ، مسهم وباء المدينة ، فمرض أبو بكر وبلال . قالت عائشة : فدخلت عليهما . فقلت : يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال ، كيف تجدك ؟ قالت فكان أبو بكر إذا أخذته

الحمى يقول :

كلُّ امرئٍ مُصَبَّحٌ فى أهلهِ ۞ والموتُ أدنَى من شِراكِ نعْله

قالت : وكان بلال إذا أقلعتْ عنه يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليتَ شعرى هل أبيتَنَّ ليلة ۞ بوادٍ وحوْلِي إذخِرٌ وجَليلُ

٥ وهل أرِدَنْ يوما مياهَ مَجَنَّةٍ ۞ وهل يبدوَنْ لى شامةٌ وطَفِيل

قالت عائشة : وكان عامر بن فهيرة يقول :

وقد رأيتُ الموتَ قبل ذوْقه ۞ إنّ الجبانَ حتْفه من فوْقه

كالثوْر يَحْمى جلدَه بروْقِهِ

قالت عائشة : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ؛ فقال : اللهم

١٠ حبِّب إلينا المدينة كحُبِّنا مكة وأشد ، وصححها ، وبارك لنا فى صاعها ومُدّها ، وانقل حُمّاها فاجعلها بالجحفة .

النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين

ومن حديث البراء بن عازب : قال : لما كان يومُ حنين رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم ، والعباس وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهما آخذان بلجام بغلته . وهو يقول :

١٥ أنا النبيُّ لا كذِبْ ۞ أنا ابنُ عبدِ المطّلبْ

المنثور الذى يوافق المنظوم

ومن حديث أبى بكر بن أبى شيبة عن سفيان بن عيينة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أنه لما دخل الغار نُكب ، فقال :

« هل أنتِ إلا أُصْبُع دَميتِ ، وفى سبيلِ اللهِ ما لقِيتِ » .

فهذا من المنثور الذى يوافق المنظوم وإن لم يتعمّد به قائله المنظوم . ومثل

٢٠ هذا من كلام الناس كثير يأخذه الوزن ، مثل قول عبد مملوك لمواليه :

« اذهبوا بى إلى الطبيـ ـب وقولوا قد اكتوى » .

ومثله كثير مما يأخذه الوزن ولا يراد به الشعر ، ولا يسمّى قولُ النبي صلى الله عليه وسلم ـ وإن كان موزونا ـ شعرا ، لأنه لا يراد به الشعر .

ومثله فى آى الكتاب : ﴿ ومن الليل فسبِّحْه وإدبارَ النجومِ ﴾ .

ومنه : ﴿ وجِفانٍ كالجوَابِ ، وقُدورٌ راسِياتٍ ﴾ .

ومثله : ﴿ ويُخزِهم وينصرْكم عليهم ، ويَشْفِ صدورَ قومٍ مؤمنينَ ﴾ .

ومنه : ﴿ فذلك الذى يَدُعُّ اليتيمَ ﴾ .

٥ ولو تطلبْت فى رسائل الناس وكلامهم لوجدتَ فيه مايحتمل الوزن كثيراً ، ولا يسمّى شعرا . من ذلك قول القائل : مَن يشتَّرى باذِنجان . تقطيعه : مستفعلن مفعولات ، وهذا كثير .

من قال الشعر

من الصحابة والتابعين والعلماء المشهورين

الصحابة ١٠ كان شعراء النبي صلى الله عليه وسلم : حسان ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة .

وقال سعيد بن المسيب : كان أبو بكر شاعرا ، وعمرُ شاعرا ، وعلىٌّ أشعرَ الثلاثة .

ومن قول على كرم الله وجهه بصِفين :

١٥ لمن رايةٌ سوداء يَخْفِقُ ظلُّها * إذا قيل قدِّمْها حُضَيْنُ تقدّما

يقدمها فى الصف حتى يُذيدها * حِياضَ المنايا تقْطُر السمِ والدما

جَزَى اللهُ عنى والجزاء بكفه * ربيعةَ خيراً ، ماأعَف وأكرَما

وقال أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم : قدم عينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وما فى الأنصار بيتٌ إلا وهو يقول الشعر . قيل له : وأنت أبا حمزة ؟ قال : وأنا . ٢٠

عمرو بن العاص وقال عمرو بن العاص يوم صفّين :

شبّت الحربُ فأعددْتُ لها * مُفرَعَ الحارك مَحبوكَ الشَّبَج

يَصِلُ الشّدّ بشدٍّ فإذا ٭ ونَتِ الخيلُ عن الشدّ مَعَجْ
جُرْشُعٌ أعظَمُه جُفْرَتُه ٭ فإذا ٱبتلّ من الماءِ خرجْ

عبدالله بن عمرو

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص :

فلو شَهِدتْ جُمْلٌ مَقامى ومَشهَدِى ٭ بصِفِّينَ يوماً شابَ منها الذّوائبُ
٥ عشيّةَ جا أهلُ العراقِ كأنهم ٭ سحابُ ربيعٍ زعزعتْها الجنائبُ
وجئناهمُ نُرْدِى كأنّ صفوفَنا ٭ من البحرِ مَدٌّ موْجُه متراكبُ
إذا قلتُ قد ولّوْا سراعاً بَدتْ لنا ٭ كتائبُ منهم فارجَحَنّت كتائبُ
فدارتْ رَحانا وٱستدارتْ رَحاهمُ ٭ سراةَ النهارِ ما تولّى المناكبُ
وقالوا لنا إنا نَرَى أن تُبايِعوا ٭ عليًّا فقلنا بل نَرَى أن نُضاربَ

١٠ ومن شعراء التابعين

عبيد الله بن مسعود

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وهو ابن أخى عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد السبعة من فقهاء المدينة ، وله يقول سعيد بن المسيب : أنت الفقيه الشاعر ؟ [قال] : لا بدّ للمصدور أن ينفث . يعنى أنه من كان فى صدره زكام فلا بدّ أن ينفث به زكمة
١٥ صدره : يريد أن كل من اختلج فى صدره شىء من شعر أو غيره ظهر على لسانه .

وقال عمر بن عبد العزيز : وددت لو أن لى مجلساً من عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود بدينار .

قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : ما أحسنَ الحسنات فى أثر السيئات ، وأقبحَ السيئات فى أثر الحسنات ! وأحسنُ من هذا وأقبحُ من ذلك :
٢٠ الحسناتُ فى أثر الحسنات ، والسيئات فى أثر السيئات !

عروة بن أذينة

عروةُ بن أذينة ، وكان من ثقات أصحاب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يَروى عنه مالك .

وقال ابن شبرمة : كان عروة بن أذينة يخرج فى الثلث الأخير من الليل إلى سكك البصرة فينادى : يا أهل البصرة ، ﴿ أفأمنَ أهلُ القُرى أن يأتيهم بأسُنا ضُحًى وهم يلعبون ؟ ﴾ الصلاةَ الصلاة !

ومن شعراء الفقهاء المبرزين

ابن المبارك

عبد الله بن المبارك صاحب الرقائق وقال حِبّان : خرجنا مع ابن المبارك مرابطين إلى الشام ، فلما نظر إلى ما فيه القوم من التعبد والغزو والسرايا كل يوم ، التفت إلىّ وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون على أعمارٍ أفنيناها ، وليالٍ وأيام قطعناها فى علم الخلية والبَرِيّة وتركنا هاهنا أبواب الجنة مفتوحة ! قال : فبينما هو يمشى وأنا معه فى أزقة المصِّيصة ، إذ لقى سكرانا قد رفع عقيرته يتغنى ويقول .

أذلّنىَ الهوى فأنا الذليلُ ۞ وليس إلى الذى أهوَى سبيلُ

قال : فأخرج برنامجاً من كمه فكتب البيت ؛ فقلنا له : أتكتب بيت شعر سمعته من سكران ؟ قال : أما سمعتم المثل : رُبَّ جوهرة فى مزبلة ؟ قالوا : نعم . قال : فهذه جوهرة فى مزبلة !

وبلغ عبيدَ الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عمر بن عبد العزيز بعضُ ما يكره ؛ فكتب إليه :

أتانى عنكَ هذا اليوم قولٌ ۞ فضِقتُ به وضاق به جَوابى
أبا حفصٍ فلا أدرى أرَغْمِى ۞ تريدُ بما تحاولُ أم عتابى
فإن تك عاتباً تُعتَب وإلا ۞ فما عُودى إذاً بيراع غاب
وقد فارقتُ أعظمَ منك رزْءًا ۞ ووارَيتُ الأحبةَ فى التراب
وقد عزَّو علىّ إذا أسلَمونى ۞ معاً فلبستُ بعدهمُ ثيابى

وقد ذكرنا شعر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة بن أذينة فى الباب

الباب الذى يتلو هذا ، وهو « قولهم فى الغزل » .

راشد بن عبد ربه

حدث فرج بن سلام قال : حدثنا عبد الله بن الحكم الواسطى عن بعض أشياخ الشام قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب على نجران ، فولاه الصلاة والحرب ، ووجه راشد بن عبد ربه السُّلمى أميرا على القضاء والمظالم ؛ فقال راشد بن عبد ربه :

صحا القلبُ عن سلمى وأقصرَ شأوُهُ * وردّت عليه ما نعتْه تماضرُ

وحكّمهُ شيبُ القذالِ عن الصّبا * وللشيبُ عن بعضِ الغوايةِ زاجر

فأقصرَ جهلى اليوم وآرتدّ باطلى * عن اللهوِ لما آبيضّ منى الغدائرِ

على أنه قد هاجهُ بعـــد صحوِه * بمعرِضِ ذى الآجام عيسٌ بواكر

ولما دنت من جانبِ الفرضِ أخصَبتْ * وحَلت ولاقاها سُـــليمٌ وعامر

وخبّرها الركبانُ أن ليس بينَها * وبين قُرى بصرى ونَجرانَ كافر

فألقت عصاها وآستقرّ بها النّوى * كما قرّ عيناً بالإيابِ المســـافر

لابن عمر فى ولده سالم

وكان عبد الله بن عمر يحب ولده سالما حُبًّا مُفرطا ، فلامه الناس فى ذلك ؛ فقال :

يلومُونَنِى فى سالمٍ وألومُهم * وجلدةُ بين العينِ والأنفِ سالمُ

وقال : إن ابنى سالما يحب الله حبًّا لو لم يخفه ماعصاه .

لعلى

وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه إذا برز للقتال أنشد :

أى يومىَّ من الموتِ أفرّ * يومَ لا يقدَرُ أم يومَ قُدِرْ

يوم لا يُقدر لا أرهبُهُ * ومن المقدورِ لا ينجو الحذِر

وكان إذا سار بأرض الكوفة يرتجز ويقول :

يا حبّذا السيْرُ بأرض الكوفهْ * أرضٌ ســواءٌ سهلة معروفه

تعرِفُها جِمالنا المعلوفهْ

لابن عباس

وكان ابن عباس فى طريقه من البصرة إلى الكوفة يحدو الإبل ، ويقول :

أُوبِى إلى أهلِكِ يا ربابُ ٭ أُوبِى فقد حان لكِ الإيابُ

وقال ابن عباس لما كُفَّ بصره :

إن يأخُذِ الله من عينىّ نُورهُما ٭ ففى لسانى وقلبى مِنهما نورُ

قلبى ذكىٌّ وعقلى غير ذى دَخلٍ ٭ وفى فى صارمٌ كالسيفِ مشهور ٥

قولهم فى الغزل

ابن سيرين

قال رجل لمحمد بن سيرين : ما تقول فى الغزل الرقيق يُنشده الإنسان فى المسجد ؟ فسكت عنه حتى أقيمت الصلاة وتقدم إلى المحراب ، فالتفت إليه فقال :

وتُبردُ بردَ رداء العرو ٭ سِ فى الصيف رقرقتَ فيه العبيرا ١٠

وتُسْخنُ ليلةَ لا يستطيعُ ٭ نُباحاً بها الكلبُ إلا هريرا

ثم قال : الله أكبر .

الحجاج وأبو هريرة

وقال الحجاج : دخلت المدينة فقصدت إلى مسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم : فإذا بأبى هريرة قد أكبَّ الناس عليه يسألونه ، فقلت : هكذا ! افرجوا لى عن وجهه . فأُفرج لى عنه ، فقلت له : إنى إنما أقول هذا : ١٥

طاف الخيالان فهاجا سقما ٭ خيالُ أروى وخيال تُكتَما

تريكَ وجهاً ضاحكاً ومِعصما ٭ وساعداً عبلا وكفًّا أدرما

فما تقول فيه ؟ قال : قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُنشَدُ مثل هذا فى المسجد فلا يُنكره .

النبى صلى الله عليه وسلم وكعب

ودخل كعب بن زهير على النبىّ صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الصبح ، فمثل بين يديه وأنشده : ٢٠

بانت سُعادُ فقلبى اليوم متبولُ ٭ متيمٌ إثرَها لم يفدَ مكبولُ

وما سُعاد غداةَ البين إذ رحلوا * إلا أغنُّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ
هيفاء مقبــلةً عجزاء مُدبرةً * لا يُشتكى قصرٌ منها ولا طول
ما إن تدُومُ على حالٍ تكونُ بها * كما تلوّنُ فى أثوابهـــا الغول
ولا تمسَّكُ بالوعدِ الذى وعدَتْ * إلا كما يُمسِك المـاء الغرابيل
٥ كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلا * وما مواعيـدها إلا الأباطيل
فلا يغرّنْكَ ما منتْ وما وعدت * إنّ الأمانيَّ والأحلامَ تضليل

ثم خرج من هذا إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، فكساه برداً اشتراه منه معاوية بعشرين ألفا .

عبيد الله بن مسعود

ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فى الغزل :

١٠ كتمتَ الهوى حتى أضرَّ بك الكتْمُ * ولامكَ أقوامٌ ولومُهُمُ ظـــلمُ
ونمَّ عليـك الكاشحون وقبلَ ذا * عليكَ الهوى قد نمَّ لو نفَعَ النَّمُّ
فيامن لنفسٍ لا تموتُ فينقَضى * عَناها ، ولا تحيا حياةً لهـا طعمُ
تجنّبت إتيانَ الحبيبِ تأثُّماً * ألا إنّ هِجران الحبيبِ هو الإثم

عروة بن أذينة

ومن شعر عروة ابن أذينة ، وهو من فقهاء المدينة وعُبادها ، وكان من
١٥ أرق الناس تشبيبا :

قالت وأبثثْتُها وجدى وبحتُ به * قدكنتَ عِندى تحت السِّترِ فاستترِ
أأنتَ تُبصِرُ من حولِي؟ فقلت لها * غطَّى هواكِ وما ألقى على بصرى

وقد وقفت عليه آمرأةٌ ، فقالت له : أنت الذى يقال فيـك الرجل الصالح وأنت القائل :

٢٠ إذا وجدتُ أُوارَ الحبِّ فى كبدِى * غدوْتُ نحو سِقاءِ المـاءِ أبترِدُ
هَبْنِى بَردتُ ببردِ المـاءِ ظاهرهُ * فمن لنارٍ على الأحشاءِ تتَّقِدُ !

والله ما قال هذا رجل صالح . وكذبت عدوة الله عليها لعنة الله ؛ بل لم يكن

مرائياً ولكنه كان مصدوراً فنفث !

هو وهشام بن عبد الملك

وقدم عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فى رجال من أهل المدينة ، فلما دخلوا عليه ذكروا حوائجهم فقضاها ثم التفت إلى عروة ، فقال له : ألست القائل :

لقد علمتُ وخيرُ القول أصدقُه * بأنّ رزقى وإن لم آت يأتينى ٥
أسعى له فيُعنّينى تطلُّبــــه * ولو قعدتُ أتانى لا يُعنّينى

قال : فما أراك إلا قد سعيت له ! قال : سأنظر فى أمرى يا أمير المؤمنين . وخرج عنه فجعل وجهته إلى المدينة ، فبعث إليه بألف دينار ، وكشف عنه فقيل له : قد توجه إلى المدينة ! فبعث إليه بالألف دينار ، فلما قدم عليه بها الرسول ، قال له : أبلغ أمير المؤمنين السلام ، وقل له أنا كما قلت : قد سعيت وعييت فى ١٠ طلبه ، وقعدت عنه فأتانى لا يعنّينى .

ومن قول عبد الله بن المبارك ، وكان فقيهاً ناسكا شاعراً رقيق النسيب معجب التشبيب حيث يقول :

زعموها سألتْ جاراتِها * وتعرّت ذات يوم تبترِدْ
أكما ينعتُنى تُبصرْننى * عَمْرَكُنّ اللهَ أمْ لا يقتصِدْ ١٥
فتضاحكنَ وقد قلْن لها * حسنٌ فى كلّ عينٍ من تَودّ
حسَداً حُمّلْنه من شأنها * وقديماً كان فى الحبّ الحسدْ

شريح القاضى

وقال شريح القاضى ، وكان من جلّة التابعين ، والعلماء المتقدمين ، استقضاه على رحمه الله ومعاوية ، وكان يزوج امرأة من بنى تميم تسمى زينب ، فنقم عليها فضربها ، ثم ندم ، فقال : ٢٠

رأيت رجالاً يضربونَ نساءهم * فشُلّت يمينى يوم أضربُ زينبا
أأضربُها فى غير ذنبٍ أتت به * فما العدل منى ضربُ من ليس أذنبا
فزينبُ شمسٌ والنساءُ كواكبٌ * إذا برَزتْ لم تُبْدِ منهن كوكبا

قولهم فى المــــدح

الرشيد وشاعر مدحه

قال : حج الرشيد وزميله أبو يوسف القاضى ؛ قال شراحيل بن زائدة : وكان كثيراً ما أسايره ، فبينما أنا أسايره إذ عرض له أعرابى من بنى أسد فأنشده شعراً مدحه فيه وعرضه ، فقال له الرشيد : ألم أنهك عن مثل هذا فى شعرك يا أخا بنى أسد ؟ إذا أنت قلت فقل كما قال مروان بن أبى حفصة فى أبى هذا ، وأشار إلىّ يقول :

٥

بنو مطــرٍ يوم اللقاء كأنهم * أسودٌ لها فى غِيلِ خَفانَ أشبُلُ
هُمُ يَمنعون الجارَ حتى كأنما * لجارِهم بين السِّماكَيْن منزلُ
بهاليلُ فى الإسلام سادوا ولم يكن * كأوّلهم فى الجاهليّـــة أوّلُ
هُمُ القومُ إن قالوا أصابوا، وإن دُعُوا * أجابوا، وإن أعطَوْا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيعُ الفاعلونَ فَعالهم * وإنْ أحسَنوا فى النائبات وأجمَلوا

١٠

ابن شماس يمدح عمر بن عبد العزيز

وقال عتبة بن شماس يمدح عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

إنّ أولَى بالحقّ فى كلّ حقٍّ * ثم أحرَى بأن يكون حقيقا
مَنْ أبوه عبد العزيز بن مَرْوا * نَ ومَن كان جدُّه الفاروقا
ثم داموا لنا علينا وكانوا * فى ذُرا شاهقٍ تفوتُ الانوقا

١٥

الرسول صلى الله عليه وسلم وابن مرداس

مدح عباس بن مرداس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكساه حلة ؛ ومدحه كعب بن زهير ، فكساه بُرْداً اشتراه منه معاوية بعشرين ألف درهم ، وإن ذلك البرد لعند الخلفاء إلى اليوم .

عمر بن الخطاب وابن عباس فى شعر زهير

وقال ابن عباس : قال لى عمر بن الخطاب : أنشِدْنى قول زهير . فأنشدته قوله فى هرم بن سنان بن حارثة حيث يقول :

٢٠

قومٌ أبوهم سِنانٌ حين تَنسُبهم * طابوا وطابَ من الأولاد ماولَدوا
لو كان يقعُد فوق الشمس من كرم * قومٌ بأوّلِهم أو مجــدِهم قعَدوا
جنٌّ إذا فزعوا ، إنسٌ إذا أمنوا * مُرَزَّءون بهاليلٌ إذا آحتشدوا

مُحَسَّدون على ماكان من نِعم * لا يَنزعُ الله منهم ماله حُسِدوا

فقال له عمر : ماكان أحبَّ إلىّ لو كان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ! انظر إلى ضنانة عمر بالشعر ، كيف لم يرِ أحداً يستحق هذا المدح إلا أهل بيت محمد عليه الصلاة والسلام ؟

ابن عمرو يرضهم فى بيت للحطيئة

٥ وأسمع رجلٌ عبد الله بن عمر بيت الحطيئة :

متى تأتِه تعشُو إلى ضَوْءِ نارِه * تجدْ خيْرَ نارٍ عندها خيْرُ مُوقِد

فقال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يرِ أحداً يستحق هذا المدح غير رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عمر بن عبد العزيز ونصيب

واستأذن نصيب بن رباح على عمر بن عبد العزيز فلم يأذن له ، فقال : أعلموا ١٠ أمير المؤمنين أنى قلت شعرا أوله الحمد لله . فأعلموه ، فأذن له ؛ فأدخل عليه وهو يقول :

الحمـــد لله ، أما بعـــد يا عمرُ * فقد أتتْنا بك الحاجاتُ والقَدَرُ

فأنت رأْسُ قريشٍ وابن سيِّدِها * والرأْسُ فيه يكون السمع والبصَرُ

فأمر له بحليّة سيفه .

هو وجرير

١٥ ومدحه جرير بشعره الذى يقول فيه :

هٰذى الأراملُ قد قَضَيْت حاجتَها * فَنْ لحاجةِ هذا الأرملِ الذكَرِ ؟

فأمر له بثلثمائة درهم .

هو ودكين

ومدحه دكين الراجز ، فأمر له بخمس عشرة ناقة .

ابن جعفر ونصيب

ومدح نصيب بن رباح عبد الله بن جعفر ، وأمر له بمال كثير وكسوة ٢٠ ورواحل . فقيل له : تفعل هذا بمثل هذا العبد الأسود ؟ فقال : أما والله لئن كان عبداً إن شِعرَه لحُر ، وإن كان أسود إن ثناءه لأبيض . وإنما أخذ مالاً يَفنى ، وثيابا تَبلى ، ورواحل تُنضى ، وأعطى مديحا يُروى ، وثناء يَبْقى .

ودخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب ؛ فقال له : من أنت ؟ قال :

أنا ابن هرم بن سنان ، قال : صاحب زهير ؟ قال : نعم . قال : أما إنه كان يقول فيكم فيُحسن ! قال : كذلك كنا نعطيه فنُجزل ! قال : ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم .

أبو جعفر وطريح

وكان طريح الثقفى ناسكا شاعراً ، فلما قال فى أبى جعفر المنصور قوله :

٥ أنت ابن مُسْلَنْطِحِ البِطاح ولم * تَعْطِف عليـــك الحُنِيُّ والوُلُجِ

لو قلت للسَّيْلِ دعْ طريقَك والموْ * جُ عليـــه كالليل يعْتلجُ

لَهَمَّ أو كاد أو لكان له * فى سائر الأرض عنك مُنعرجُ

طوبَى لفرعيْك من هُنا وهُنا * طوبَى لأعـــراقك التى تَشج

قال أبو جعفر : بلغنى عن هذا الرجل أنه يتأله ، فكيف يقول : دع طريقك ؟

١٠ فبلغ ذلك ، فقال : الله يعلم أنى إنما أردت يارب ، لو قلت للسيل : دع طريقك .

الحطيئة فى سجن عمر

وقال الحطيئة لما حبسه عمر بن الخطاب فى هجائه للزبرقان بن بدر — أبياتاً يمدح فيها عمر ويستعطفه ؛ فلما قرأها عمر عطف له وأمر بإطلاقه وعفا عما سلف منه ؛ والأبيات :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مرخ * زُغْبِ الحواصلِ لاماءٌ ولا شجرُ

١٥ ألقيْتَ كاسِبَهم فى قعر مُظْلِمةٍ * فاغفرْ عليك سلام الله يا عمرُ

أنت الإمام الذى من بَعد صاحبِه * ألقَى إليك مقاليد النُّهى البشر

ما آثرُوك بها إذ قدّموك لها * لكن لأنفسِهم كانت بها الإثر

ابن دارة وابن حاتم

ودخل ابن دارة على عدى بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنى مدحتك ! قال : أمسِك حتى آتيك بمالى ثم امدحنى على حسبه ؛

٢٠ فإنى أكره أن لا أُعطيَك ثمن ما تقول . لى ألف شاة ، وألف درهم ، وثلاثة أعبد ، وثلاث إماء ، وفرسى هذا حبيس فى سبيل الله ؛ فامدحنى على حسب ما أخبرتك ، فقال :

تَحِن قَلُوصى فى مَعَدٍ وإنما * تَلاقى الربيعَ فى ديار بنى ثُعَلْ

وأبقى الليالى من عدىّ بن حاتم * حساماً كنصل السيف سُلّ من الخِلَلْ
أبوك جـــوادٌ لا يُشَقُّ غُبارُه * وأنت جوادٌ ليس يُعذر بالعِلَل
فإن تفعلوا شرًّا فمثلُكم اتّقى * وإن تفعلوا خيرًا فمثلُكم فعَل

قال عدى : أمسك ؛ لا يبلغ مالى إلى أكثر من هذا .

قولهم فى الهجاء

٥

قال الله تبارك وتعالى فى هجو المشركين : ﴿ والشُّعراء يتبعُهم الغاوُون ، ألم تَرَ أنهمْ فى كل وادٍ يهيمونَ ، وأنهُمْ يقولونَ ما لا يفعلونَ ، إلا الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ وذكروا اللهَ كثيراً وانتَصروا من بعدِ ماظُلِموا ، وسيعْلمُ الذين ظَلَموا أىّ مُنْقلَبٍ ينقلِبونَ ﴾ .

فأرخص الله للشعراء بهذه الآية فى هجائهم لمن تعرض لهم .

١٠

الرسول صلى الله عليه وسلم ورجل فى أبى سفيان

يزيد بن عمرو بن تميم الخزاعى عن أبيه عن جده ، أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، إن أبا سفيان يهجوك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه هجانى وإنى لا أقول الشعر ؛ فاهجُه عنى ، فقام إليه عبد الله ابن رواحة فقال : يارسول الله إيذن لى فيه .

قال أنت القائل :

١٥

* فثبّت اللهُ ما آتاك من حسنٍ *

قال : نعم . قال : وإياك فثبّت الله . ثم قام إليه كعب بن مالك فقال : إيذن لى فيه . قال : أنت القائل : « همّتْ » ؟ قال : نعم . قال : لست له . ثم قام حسان ابن ثابت ، فقال يارسول الله ائذن لى فيه . وأخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه وقال : والله يارسول الله إنه ليُخَيَّل لى أنى لو وضعتُه على حجر لفلقه ، أو شَعر لحلَقهُ ! فقال : أنت له ؛ اذهب إلى أبى بكر يخبرك بمثالب القوم ، ثم اهجهم

٢٠

وجبريلُ معك . فقال يردُّ على أبي سفيان :

ألا أبْلغ أبا سُفيان عنى ٭ مُغلغلةً فقد بَرِح الخفاء
هجوْتَ محمدًا فأجبْتُ عنه ٭ وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهْجُوه ولستَ له بنِدٍّ ٭ فشرُّكما لخيْرِكما الفِداء
فمَن يهجو رسول الله مِنكم ٭ ويُطْرِيه ويمدحُه سواء
لنا فى كلِّ يومٍ من مَعَدّ ٭ سِبابٌ أو قِتالٌ أو هِجاء
لِسانى صارِمٌ لا عيْبَ فيه ٭ وبَحْرى لا تُكدِّرُهُ الدِّلاء
فإن أبى ووَالِده وعرْضِى ٭ لِعرْضِ محمدٍ مِنكم وِقاء

ابن ياسر وعلى

وقال رجل من أهل اليمن : دخلت الكوفة فأتيت المسجد ، فإذا بعمار بن ياسر ورجل ينشده هجاء معاوية وعمرو بن العاص ، وهو يقول : ألصق بالعجوزين ! قلت له : سبحان الله ! أتقول هذا وأنتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إن شئت فاجلس وإن شئت فاذهب ! فجلست ، فقال : أتدرى ما كان يقول لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هجانا أهل مكة ؟ قلت : لا أدرى . قال : كان يقول لنا : قولوا لهم مثل ما يقولون لكم .

النبى صلى الله عليه وسلم وحسان فى شعر له

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : لقد شكر الله لك بيتاً قلته وهو :

زَعَمتْ سخينةُ أن تُغالبَ ربَّها ٭ وليُغْلبنَّ مُغالبُ الغَـلَّاب

هذيل وسؤالها حل الزنا

وسألت هذيل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحلَّ لها الزنا ، فقال حسان فى ذلك :

سألتْ هُذيلٌ رسولَ الله فاحشةً ٭ ضلَّت هُذَيْلٌ بما سألتْ ولم تُصِبِ

وقال عبد الملك بن مروان : ما هُجِىَ أحد بأوجع من بيت هُجى به ابن الزبير ، وهو :

فإن تُصِبْك من الأيامِ جائحة ٭ لم نَبْكِ منكَ على دنيا ولا دينِ !

ابن علفة وإطالة الهجاء

وقيل لعقيل بن عُلَّفَة : مالك لا تُطيلُ الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

لابن مناذر فى كثرة الهجاء

وقال رجل من ثقيف لمحمد بن مُناذر : ما بال هجائك أكثرُ من مدحك ؟ قال : ذلك بما أغرانى به قومُك ، واضطرنى إليه لؤمُك .

لجرير فى الهجاء

وقال أبو عمرو بن العلاء : قلت لجرير : إنك لعفيف الفَرج كثيرُ الصدقة ، فلِمَ تسبُّ الناس ؟ قال : يبدءونى ثم لا أغفر لهم . وكان جرير يقول : لست بمبتدئ ولكننى مُعْتد . يريد أنه يُسرف فى القصاص . ٥

لبعض الشعراء

ومثله قول الشاعر :

بنى عَمِّنا لا تَنطِقوا الشِّعرَ بعدَما * دفنْتُم بأفناءِ العُذيبِ القوافِيا
فلسْنا كَمَنْ قد كنتُم تظْلِمونه * فيقبَلُ ضيماً أو يُحكِّمُ قاضيَا ١٠
ولكنّ حُكمَ السيْفِ فيكم مُسَلَّطٌ * فَنرضى إذا ما اصبحَ السيْفُ راضيا
فإن قلتُم إنا ظُلِمْنا فلم نكن * ظَلَمْنا ولكنّا أسأنا التّقاضيا

وكان عمر بن الخطاب يقول : واحدة بأخرى والبادى أظلم .

عبدالملك وجرير والأخطل

وقيل : وفد جرير على عبد الملك بن مروان ، فقال عبد الملك للأخطل : أتعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا جرير . قال الأخطل : والذى أعمى رأيك يا جرير ما عرفتُك ! قال له جرير : والذى أعمى بصيرتك وأدام خَزْيتك لقد عرفتك : لسيماك سيما أهلِ النار . ١٥

كثير والأخطل عند عبد الملك

ابن الأعرابى قال : دخل كُثَيِّرُ عزّة على عبد الملك فأنشده وعنده رجل لا يعرفه ؛ فقال لعبد الملك : هذا شعر حجازى ، دعنى أضغَمه لك ضغْمة . قال كُثيِّرُ : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الأخطل . قال : فالتفت إليه فقال له : هل ضغَمت الذى يقول : ٢٠

والتَّغْلبىُّ إذا تنحنحَ للقِرَى * حكَّ اسْتَهُ وتَمثَّل الأمثالا
تلقاهُم حُلَماءَ عن أعدائِهم * وعلى الصَّديقِ تراهُم جُهَّالا

حصين وصديق له

حدثنا يحيى بن عبد العزيز قال : حدثنا محمد بن عبد الحكم بمصر : كان رجل له صديق يقال له حُصين ، فولى موضعا يقال له السابَين ، فطلب إليه حاجة فاعتل فيها ، فكتب إليه :

اَذهبْ إليكَ فإنّ وُدّك طالقٌ * منى وليسَ طلاقَ ذاتِ البيْنِ

٥ فإذا ارعوَيْتَ فإنها تطليقةٌ * ويُقيم ودُّك لى على ثِنْتيْنِ

وإذا أبيتَ شفعْتها بمثالها * فيكونُ تطليقَيْنِ فى حيْضَيْنِ

وإنِ الثلاثُ أتتْك منى بتّةً * لم تُغْنِ عنكَ وِلايةُ السّابيْنِ

ولَم أرضَ أن أهجو حُصيْناً وحده * حتى أسوِّد وجهَ كلِّ حُصَيْنِ

بعض الملوك ودعبل

طلب دعبل بن على حاجة إلى بعض الملوك فصرح بمنعه ؛ فكتب إليه :

١٠ أحَسِبتَ أرض اللهِ ضيِّقةً * عنى؟ فأرضُ اللهِ لم تضِقِ

وحسِبتنى فقعًا بقرقرةٍ * فوطِئتنى وطئاً على حَنَق

فإذا سألتُك حاجةً أبداً * فاضْرِب بها قفلاً على غَلَق

وأعِدَّ لى غُلاً وجامعةً * فاجمعْ يدىَّ بها الى عُنق

ثم ارمِ بى فى قعْرِ مُظْلِمةٍ * إن عُدتُ بعدَ اليومِ فى الحمق

١٥ ماأطولَ الدنيا وأوسعَها * وأدلّنى بمسالكِ الطُّرق

لأبى زبيد

ومثل هذا قول أبى زبيد :

إن كان رزقى إليك فارمِ به * فى ناظرَى حيةٍ على رَصَدِ

ليتَك أدبتَنى بواحدةٍ * تجعلُها منك آخِرَ الأبد

تحلفُ أن لا تبرّنى أبداً * فإنّ فيها برداً على كَبدى

٢٠ وقال زياد : ماهجيت ببيتٍ قط أشد علىّ من قول الشاعر :

فكِّرْ ففى ذاك إن فكرتَ مُعتبَرٌ * هل نِلت مكْرمةً إلا بتأميرِ

عاشتْ سُمَيّة ماعاشت وما علِمت * أنّ ابنَها من قريشٍ فى الجماهيرِ

سُبحانَ من مُلّكَ عبّاد بقدرتِه * لايَدفعُ الخلق محتومَ المقادير

لجرير في هجاء البعيث له

وقال بلال بن جرير : سألت أبي : أيُّ شيء هُجيتَ به أشدُّ عليك ؟ قال : قولُ البَعيث :

ألستَ كليبيًا إذا سِيمَ خُطَّةً * أقرّ كإقرار الحليلةِ للبعْـــلِ
وكلُّ كليبيٍّ صحيفةُ وجهه * أذلُّ لأقدام الرجال من النّعل

وكان بلال بن جرير شاعراً ابن شاعر ابن شاعر ؛ لأنّ الخطَفى كان شاعرا ، وهو يقول : ٥

ما زال عِصيانُنا لله يُسلمنا * حتى دُفعنا إلى يَحيَى ودينارِ
إلى عُليجيْن لم تُقطعْ ثمارُهما * قد طالما سجدا للشمس والنار

لجميل

ومن أخبث الهجاء قول جميل :

أبوكَ حبابٌ سارق الضيف بُردَه * وجـــدّيَ يا شمّاخ فارس شمَّرا ١٠
بنو الصالحين الصالحونَ ومَن يكن * لآباء سوء يلقَهم حيث سيِّرا
فإن تغضَبوا من قِسمة الله فيكمُ * فللهُ إذ لم يرْضكم كان أبصَرا

لكثير

وقال كثيِّر في نُصيب ، وكان أسود ، ويكنى أبا الحجناء :

رأيتُ أبا الحَجْناءِ في الناس حائرًا * ولون أبي الحجناء لون البَهائم
تَراه على ما لاحَه من سواده * وإن كان مظلوما ، له وجه ظالم ! ١٥

ابن أبي وقاص ودعوته

وكان يقال لسعد بن أبي وقاص : المستجاب ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : اتقوا دعوة سعد . فقال رجل بالقادسية فيه :

ألم تَرَ أنّ اللهَ أنزل نصرَه * وسعدٌ بباب القادسيّة مُعصِمُ
فأُبنا وقد آمَتْ نساءٌ كثيرةٌ * ونِسوة سعدٍ ليس فيهن أيِّم

فقال سعد : اللهم اكفني يدَه ولسانه . فخرس لسانه ، وضربتْ يدُه فقطِعتْ . ٢٠

المبرد وشاعر هجاه

وذُكر عند المبرّد محمد بن يزيد النحوي رجلٌ من الشعراء ، فقال : لقد هجاني ببيتين أنضج بهما كبدي ! فاستنشدوه ، فأنشدهم هذين البيتين :

سألنا كلَّ حيّ عن ثُمالَهْ * فكلٌّ قد أجاب ومَن ثُمالَهْ

دعتهُ كي يُجيبَ لها وشيكا * وقدمُلئت حناجرُها صفادا

فقال زياد : لبّيكِ يا بدور ! ثم أرسل فيه فأغرمه مائة ألف .

باب فى رواة الشعر

الأصمعى

قال الأصمعى : ما بلغت الحلمَ حتى رويت اثنى عشر ألف أرجوزة للأعراب .

خلف الأحمر

كان خلف الأحمر أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيّده . ٥

المهدى وابن أبى حفصة

قال مروان بن أبى حفصة : لما مدحتُ المهدى بشعرى الذى أوله :

طَرقتْكَ زائِرةً فحىِّ خيالَها * بيضاءُ تخلِطُ بالحياء دلالها

أردت أن أعرضه على قراء البصرة ، فدخلت المسجد الجامع ، فتصفحت الحلَق فلم أر حلْقة أعظمَ من حلْقة يونس النحوى ، فجلست إليه ، فقلت له : إنى مدحت المهدى بشعر ، وأردت ألا أرفعه حتى أعرضَه على بصرائكم ، وإنى ١٠ تصفحت الحلَق فلم أر حلقة أحفل من حلْقتك ؛ فإن رأيت أن تسمعه منى فافعل . فقال : يا ابن أخى ، إن هٰهنا خلفا ، ولا يمكن أحدنا أن يسمع شعراً حتى يحضر ، فإذا حضر فأسمِعْه . فجلست حتى أقبل خلف الأحمر ، فلما جلس جلست إليه ، ثم قلت له ما قلت ليونس ؛ فقال : أنشِدْ يابن أخى ؛ فأنشدته حتى أتيت على آخره فقال لى : أنت والله كأعشى بكر ، بل أنت أشعر منه ١٥ حيث يقول :

رحلت سُميّةُ غدوةً أجمالها * غضْبَى عليكَ فما تقولُ بَدالها

خلف الأحمر

وكان خلف مع روايته وحفظه يقول الشعر فيُحسن وينحله الشعراء . ويقال إن الشعر المنسوب إلى ابن أخت تأبط شرّاً ، وهو :

إنّ بالشعبِ الذى دون سلعٍ * لقتيلاً دمُــــه ما يُطلّ ٢٠

لخلف الأحمر ، وإنما ينحله إياه .

حماد الراوية

وكذلك كان يفعل حمادٌ الراوية : يخلط الشعر القديم بأبيات له .

قال حماد : ما من شاعر إلا قد زدت فى شعره أبياتا فجازت عليه ، إلا الأعشى ،

ما أحوجَ المُلْكَ إلى دِيمَة * تَغسل عنه وضَرَ الزيتِ

زياد الأعجم — ومن أخبث الهجاء قول زياد الأعجم :

قالوا الأشاقِر تهجونى فقلت لهم * ما كنت أحسبهم كانوا و لا خُلقوا

وهم من الحسَب الذاكى بمنزلةٍ * كطحلب الماء لا أصلٌ ولا ورَق

لا يَكثرون وإن طالت حياتُهمُ * ولو يَبول عليهم ثعلب غَرِقوا ٥

وقوله أيضا :

قضَى الله خلْق الناس ثم خُلقتمُ * بقيّة خلْق الله آخِرَ آخِـــرِ

فلم تَسمَعوا إلا الذى كان قبلَكم * ولم تُدرِكوا إلا مَدَقّ الحوافِر

وقال فيهم :

قُبيِّـــلةٌ خيرها شرُّها * وأصْدقها الكاذب الآثِمُ ١٠

وضيْفهم وسْط أبياتِهم * وإن لم يكن صائماً صائم

الطرماح — ونظير هذا قول الطرمّاح :

وما خُلقتْ تَيم وزيْد مَناتِهـا * وضَبّة إلا بعد خلْق القبائل

ومن أخبث الهجاء قول الطرمّاح فى بنى تميم :

لو حان وِرْد تميمٍ ثم قيل لهم * حوْضُ الرسول عليه الأزْد لم تَرِدِ ١٥

أو أنزل الله وحْياً أن يعذّبها * إن لم تَعدْ لقتالِ الأزْد لم تَعد

وكلُّ لؤْمٍ أباد الله سُـــبّته * ولؤْم ضَبّة لم يَنقص ولم يَزد

لو كان يَخفَى على الرحمٰن خافية * من خلْقه خفِيتْ عنه بنو أَسَد

قوْم أقامَ بدار الذلّ أوّلهم * كما أقامت عليه جِذْمة الوَتِد

المساور — ومن قول المساور بن هند : ٢٠

ما سرّنى أن قومى من بنى أسَدٍ * وأن ربى يُنجّينى من النار

وأنهم زوّجونى من بناتِهمُ * وأن لى كل يومٍ ألفَ دينار

ومن أخبث الهجاء من غير إقذاع :

بلاد نأى عنى الصديق وسبّنى ٭ بها عنزىّ ثم لم أتكلم

لعبيد

وقال عَبيد :

يا أبا جعفر كتبتكَ سَمْحًا ٭ فاستَطالَ المِداد فالجِم لامُ

٥ لا تلمْنى على الهِجاء فلم يَهْ ٭ جُكَ إلا المِداد والأقلام

الرائى وكوف

وقال سليمان بن أبى شيخ : كان أبو سعيد الرائى يمارى أهل الكوفة ويفضل أهل المدينة ، فجاءه رجل من أهل الكوفة وسماه شرشيرا ، وقال : كلب فى جهنم يسمى شرشيرا ، فقال :

عندى مَسائل لا شرشير يعْرفها ٭ إنْ سِيلَ عنها ولا أصحاب شرشير

١٠ وليس يَعرف هذا الدِّين معرفةً ٭ إلا حَنيفيّةٌ كوفيّة الدُّور

لا تَسألَنّ مَدينيًّا فتكْفرَه ٭ إلا عن البَمّ والمَثْنى أو الزِّير

فكتب أبو سعيد إلى أهل المدينة : إنكم قد هُجيتم فردّوا . فردّ عليه رجل من أهل المدينة يقول :

لقد عَجِبْتُ لغاوٍ ساقه قَدَر ٭ وكل أمْر إذا ماحُمّ مقْدورُ

١٥ قالوا المدينة أرضٌ لا يكون بها ٭ إلا الغِناء وإلا البَمُّ والزِّير

لقد كذَبتَ لَعَمْر الله إنّ بها ٭ قبرَ النبىِّ وخير الناس مقبور

قال : فما انتصر ولا انتصِر به ، فليته لم يقل شيئا .

للوراق

وقال مساور الوراق فى أهل القياس :

كنّا من الدِّين قبلَ اليوم فى سَعةٍ ٭ حتى بُلينا بأصحاب المقاييس

٢٠ قاموا من السُّوق إذ قلّت مكاسبهم ٭ فاستَعمَلوا الرأىَ بعد الجُهد والبُوس

أمّا الغريب فأمسَوْا لا عطاء لهم ٭ وفى المَوالى علامات المفاليس

فلقيه أبو حنيفة ، فقال له : هجوتنا ! نحن نرضيك . فبعث إليه بدراهم ،

فكف عنه وقال :

إذا ما الناسُ يوماً قايَسونا * بمسألة مِن الفُتيا ظريفَهْ
أتيناهُم بِقياسٍ صحيحٍ * بديعٍ من طرازِ أبي حنيفَه
إذا سمعَ الفقيهُ بها وعاها * وأثبتَها بحبرٍ في صحيفهْ

لبعض الشعراء

ومن خبيث الهجاء قول الشاعر :

عجبْتُ لعبْدانٍ هجونى سفاهةً * أنِ اصطبحُوا من شاءِهم وتقيَّلوا
بجادٌ وريسانٌ وفِهرٌ وغالبٌ * وعونٌ وهدمٌ وابن صفوةَ أخيلُ
فأمّا الذى يُحصيهمُ فمُكثِّرٌ * وأمّا الذى يُطريهمُ فمقلِّل

لأبى العتاهية فى ابن معن

وقال أبو العتاهية فى عبد الله بن معن بن زائدة :

قال ابن معنٍ وجلى نفسَهُ * على القرباتِ من الأهل
هل فى جوارى الحىِّ من وائلٍ * جاريةٌ واحدةٌ مثلى
أكنَى أبا الفضل فيامن رأى * جاريةً تُكنَى أبا الفضل
قد نقطَت فى خدِّها نقطةً * مخافةَ العينِ من الكحْلِ !

مداراة الشعراء وتقيّهم

سليمان والخليل وبعض المادحين

أبو جعفر البغدادى قال : مدح قومٌ من الشعراء جعفر بن سليمان بن على ابن عبد الله بن عباس ، فماطلهم بالجائزة ؛ وكان الخليلُ بن أحمد صديقَه ، وكان وقتَ مدحهم إياه غائباً ، فلما قدم الخليل أتَوه فأخبروه ، فاستعانوا به عليه ؛ فكتب إليه :

لا تقبلنَّ الشعر ثمّ تعُقّه * وتنامُ والشعراءُ غير نيامِ
واعلم بأنّهم إذا لم يُنصَفوا * حكموا لأنفُسهم على الحكّام
وجنايةُ الجانى عليهم تنقضى * وعقابُهم باقٍ على الأيامِ

فأجازهم وأحسن إليهم .

النبي صلى الله عليه وسلم وابن مرداس

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما مدحه عباس بن مرداس : اقطعوا عنى لسانه . قالوا : بماذا يارسول الله ؟ فأمر له بحلة قطع بها لسانه .

ومدح ربيعة الرقّيُّ يزيد بن حاتم وهو والى مصر ، فتشاغل عنه ببعض الأمور واستبطأه ربيعة فشخص من مصر ، وقال :

٥ أرانِى ولا كُفرانَ لله راجعاً * بِخُفَّىْ حُنيْن من نوالِ ابن حاتمِ

فبلغ قوله يزيد بن حاتم ، فأرسل فى طلبه ورده ، فلما دخل عليه قال له : أنت القائل :

أرانى ولا كفران للهِ راجعاً * بخفى حُنين من نوال ابن حاتم

قال : نعم . قال : هل قلت غير هذا ؟ قال : لا . قال : والله لترجعن بخفّى

١٠ حنين مملوءة مالا ؛ فأمر بخلع خُفَّيه ، وأن تملأ له مالا ؛ ثم قال : أصلح ما أفسدت من قولك ؛ فقال فيه لما عزل عن مصر وولى مكانه يزيد بن السلمى :

بكى أهلُ مصرٍ بالدموعِ السواجِمِ * غداةَ غدا منها الأغرُّ ابن حاتم

لشتانَ ما بين اليزيدَيْنِ فى الندى * يزيدِ سُليمٍ والأغرِّ ابنِ حاتمِ

فهمُّ الفتى الأزدِىِّ إنفاقُ مالهِ * وهمُّ الفتى القيسِىِّ جمعُ الدراهِمِ

١٥ فلا يحسَب التَّمْتامُ أنى هجــوتُه * ولكنَّنى فضلْتُ أهــلَ المكارم

واعلم أن تقية الشعراء من حفظ الأعراض التى أمر الله تعالى بحفظها ؛ وقد وضعنا فى هذا الكتاب باباً فيمن وضعه الهجاء ، ومن رفعه المدح .

تيم عامل زياد ومادح له

وكان لزياد عامل على الأهواز يقال له تيم ، فمدحه رجل من الشعراء ، فلم يُعطه شيئا ، فقال الشاعر : أما إنى لا أهجوك ، ولكنى أقول فيك ما هو

٢٠ شر عليك من الهجاء . فدخل على زياد فأسمعه شعراً مدحه فيه ، وقال فى بعضه :

وكائِن عند تيمٍ من بُدورٍ * إذا ما صُفِّدتْ تدعو زيادا

دعته كي يُجيبَ لها وشيكا * وقدمُلئت حناجرُها صفادا

فقال زياد : لبّيكِ يا بدور ! ثم أرسل فيه فأغرمه مائة ألف .

باب فى رواة الشعر

الأصمعى

قال الأصمعى : ما بلغت الحلمَ حتى رويت اثنى عشر ألف أرجوزة للأعراب .

خلف الأحمر

كان خلف الأحمر أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيّده . ٥

المهدى وابن أبى حفصة

قال مروان بن أبى حفصة : لما مدحتُ المهدى بشعرى الذى أوله :

طَرقتْكَ زائرةً فحىِّ خيالَها * بيضاء تخلِطُ بالحياء دلالها

أردت أن أعرضه على قرّاء البصرة ، فدخلت المسجد الجامع ، فتصفحت الحلَق فلم أر حلْقة أعظمَ من حلْقة يونس النحوى ، فجلست إليه ، فقلت له : إنى مدحت المهدى بشعر ، وأردت ألا أرفعه حتى أعرضَه على بصرائكم ، وإنى ١٠ تصفحت الحلَق فلم أر حلقة أحفل من حلْقتك ؛ فإن رأيت أن تسمعه منى فافعل . فقال : يا ابن أخى ، إن هٰهنا خلفا ، ولا يمكن أحدنا أن يسمع شعراً حتى يحضر ، فإذا حضر فأسمِعْه . فجلست حتى أقبل خلف الأحمر ، فلما جلس جلست إليه ، ثم قلت له ما قلت ليونس ؛ فقال : أنشِدْ يا ابن أخى ؛ فأنشدته حتى أتيت على آخره فقال لى : أنت والله كأعشى بكر ، بل أنت أشعر منه ١٥ حيث يقول :

رحلت سُميّةُ غدوةً أجمالها * غضْبَى عليكَ فما تقولُ بَدالها

خلف الأحمر

وكان خلف مع روايته وحفظه يقول الشعر فيُحسن وينحله الشعراء . ويقال إن الشعر المنسوب إلى ابن أخت تأبط شرّاً ، وهو :

إنّ بالشعبِ الذى دون سلعٍ * لقتيلاً دمُــه ما يُطلّ ٢٠

لخلف الأحمر ، وإنما ينحله إياه .

حماد الراوية

وكذلك كان يفعل حمادٌ الراوية : يخلط الشعر القديم بأبيات له .

قال حماد : ما من شاعر إلا قد زدت فى شعره أبياتا فجازت عليه ، إلا الأعشى ،

أعشى بكر ؛ فإنى لم أزد فى شعره قط غير بيت فأفسدت عليه الشعر . قيل له : وما البيت الذى أدخلته فى شعر الأعشى ؟ فقال :

وأنكرتْنى وماكان الذى نَكِرت * من الحوادِثِ إلا الشّيبَ والصَّلعا

قال حماد الراوية : أرسل إلىّ أبو مسلم ليلا ، فراعنى ذلك ، فلبست أكفانى

٥ ومضيت ؛ فلما دخلت عليه تركنى حتى سكن جأشى ، ثم قال لى : ما شعرٌ فيه أوتاد؟ قلت : من قائله أصلح الله الأمير ؟ قال : لا أدرى . قلت : فمِن شعراء الجاهلية أم شعراء الإسلام ؟ قال : لا أدرى . قال : فأطرقت حينا أفكّر فيه ، حتى بدر إلى وهمى شعر الأفوه الأزدى حيث يقول :

لا يصلُح الناسُ فوضى لاسَراةَ لهم * ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادوا

١٠ والبيتُ لا يبتَنَى إلا له عمدٌ * ولا عِمادَ إذا لم تُرسَ أوتاد

فإن تجمّعَ أوتادٌ وأعمدةٌ * يوماً فقد بلغوا الأمرَ الذى كادوا

فقلت : هو قول الأفوه الأزدى أصلح الله الأمير ، وأنشدته الأبيات ، فقال : صدقت ، انصرف إذا شئت ! فقمت ، فلما خطوت الباب لحقنى أعوان له ومعهم بدرة ، فصحبونى إلى الباب ؛ فلما أردت أن أقبضها منهم ، قالوا : لابد

١٥ من إدخالها إلى موضع منامك ! فدخلوا معى ، فعرضت أن أعطيهم منها شيئا ، فقالوا : لا تقدم على الأمير .

أبو ضمضم

الأصمعى قال : أقبل فتيانٌ إلى أبى ضمضم بعد العشاء ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نتحدث إليك . قال : كذبتم يا خبثاء ! ولكن قلتم : كبر الشيخ فهلُم بنا عسى أن نأخذ عليه سقطة ! قال : فأنشدهم لمائة شاعر كلهم اسمه عمرو . قال

٢٠ الأصمعى : تحدثت أنا وخلف الأحمر فلم نزد على أكثر من ثلاثين .

الشعبي

وقال الشعبي : لست لشىء من العلوم أقل رواية من الشعر ، ولو شئت لأنشدتُ شهراً ولا أعيد بيتا !

الخليل والأصمعى

وكان الخليل بن أحمد أروى الناس للشعر ولا يقول بيتا .

وكذلك كان الأصمعى . وقيل للأصمعى : ما يمنعك من قول الشعر ؟ قال : نظرى لجيّده .

وقيل للخليل : مالك لا تقول الشعر ؟ قال : الذى أريده لا أجده ، والذى أجدُه لا أريدُه . ٥

لخصوم

وقيل لآخر : مالك تروى الشعر ولا تقوله ؟ قال : لأنى كالِمسَنّ : أشحذ ولا أقطع .

لابن هانئ

وقال الحسن بن هانئ : رويت أربعة آلاف شعر ، وقلت أربعة آلاف شعر ، فما رزأت لشاعر شيئا .

الرشيد والأصمعى

القاسم بن محمد السّلامىّ قال : حدثنا أحمد بن بشر الأُطروش قال : حدثنى ١٠ يحيى بن سعيد قال : أخبرنى الأصمعى قال : تصرفتْ بِىَ الأسباب إلى باب الرشيد مؤملا للظفر ، بما كان فى الهمة دفينا ، أترقب به طالع سعد ، فاتصل بى ذلك إلى أن صرت للحرس مؤانساً بمـا استملت به مودّتهم ، فكنت كالضيف عند أهل المبرّة ، فطرفهم متوجهة بإتحافى ، وطاولتنى الغايات بمـا كدت به أن أصير إلى ملالة ، غير أنى لم أزل مُحْيِياً للأمل بمذاكرته عند اعتراض الفترة ، وقلت فى ذلك : ١٥

وأىُّ فتًى أُعِيرَ ثباتَ قلب * وساع ماتضيق به المعـــانى

تَجاذَبُه المواهبُ عن إباء * ألا بل لا تُواتيه الأمانى

فرُبّ مُعَرِّسٍ لليأس أجلى * عن التَّركِ الحميد لدى الرِّهان

وأىُّ فتى أناف على سُمُوٍّ * من الهِمّات ملتهب الجَنان

بغير توسُّع فى الصدر ماض * على العزَمات والعَضْب اليمـانى ٢٠

فلم تَبْعد أن خرج علينا خادم فى ليلة نثرت السعادة والتوفيق فيهـا الأرقَ بين أجفان الرشيد ، فقال : هل بالحضرة أحد يحسن الشعر ؟ فقلت : الله أكبر ! رب قيد مضيقة قد فكه التيسير للإنعام ! أنا صاحبك إن كان صاحبك من طلب

فأدمن ، وحفظ فأتقن . فأخذ بيدى . ثم قال : ادخل أن يختم الله لك بالإحسان لديه والتصويب ، فلعلها أن تكون ليلة تعوّض صاحبتها الغنى . قلت : بشّرك الله بالخير ! قال : ودخلت ، فواجهت الرشيد فى البهو جالساً كأنما ركب البدر فوق أزراره جمالا ، والفضل بن يحيى إلى جانبه ، والشمع يحدق به على قضب المنابر ، والخدم فوق فرشه وقوف ؛ فوقف بى الخادم حيث يسمع تسليمى ، ثم قال : سلِّم ! فسلمت ، فردّ ؛ ثم قال : يُنَحّى قليلا روعُه ، إن وجد لروعه حسًّا . فقعدت حتى سكن جأشى قليلا ، ثم أُقْدِمت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إضاءة كرمك ، وبهاء مجدك ، مجيران لمن نظر إليك من اعتراض أذية له ؛ أيسألنى أمير المؤمنين فأجيب ، أم أبتدئ فأصيب ، بيمن أمير المؤمنين وفضله ؟ قال : فتبسم الفضل ، ثم قال : ماأحسن مااستدعى الاختبار استسهل به المفاتحة ؛ وأجدر به أن يكون محسِنا . ثم قال الفضل : والله يا أمير المؤمنين لقد تقدم مبرِّزاً محسنا فى استشهاده على براءته من الحيرة ، وأرجو أن يكون ممتعا . قال : أرجو . ثم قال : آدن . فدنوت ، فقال : أشاعر أم راوية ؟ قلت : راوية يا أمير المؤمنين . قال : لمن ؟ قلت : لذى جدّ وهزل بعد أن يكون محسنا . قال : والله ما رأيت أدعى لعلم ، ولا أخبَرَ بمحاسن بيان فتقتْه الأذهان منك ؛ ولئن صرت حامداً أثرك لتعرفن الإفضال متوجّها إليك سريعا . قلت : أنا على الميدان يا أمير المؤمنين ، فيطلق أمير المؤمنين من عقالى مُجيبا فيما أحبه قال :

* قد أنصف القارةَ من راماها *

ثم قال : مامعنى المثل فى هذه الكلمة بديًّا ؟ قلت : ذكرت العرب يا أمير المؤمنين أن التبابعة كانت لهم رُماة لاتقع سهامهم فى غير الحدق ، فكانت تكون فى الموكب الذى يكون فيه الملك ، على الجياد البُلْق ، بأيديهم الأسورة وفى أعناقهم الأطواق ؛ فخرج من موكب الصُّغد فارس مُعْلَم بعذبات سود فى قلنسوته ، قد وضع نشابته فى الوتر ، ثم صاح : أين رماة الحرب ؟ قالوا : قد أنصف القارة من راماها . والملك أبو حسان إذ ذاك المضاف إليه .

قال الرشيد : أحسنت؛ أرويت للعجاج ورؤبة شيئا؟ قلت : هما يا أمير المؤمنين يتناشدان لك بالقوافى وإن غابا عنك بالأشخاص . فمد يده فأخرج من تحت فراشه رقعة ، ثم قال : أسمعنى . فقلت :

* أرَّقَنى طارقُ همٍّ طَرَقا *

فمضيت فيها مُضىَّ الجواد فى سَنَن ميدانه ، تَهدر بها أشداقى ، حتى إذا صرت إلى مدح بنى أمية ثنيت عنان اللسان إلى امتداحه المنصور فى قوله :

* قلت لزيرٍ لم تصله مريَمُهْ *

قال : أعن حيرة أم عن عمد ؟ قلت : عن عمْد ؛ تركت كذِبَه إلى صدقه فيما وصف به المنصور من مجده . قال الفضل : أحسنت بارك الله فيك ، مثلك يؤمل لهذا الموقف . قال الرشيد : ارجع إلى أول هذا الشعر . فأخذت من أوله حتى صرت إلى صفة الجمل فأطلت ، فقال الفضل : مالك تضيِّق علينا كلَّ ما اتسع لنا من مساعدة السَّهر فى ليلتنا هـذه بذكر جمل أجرب ؟ صِره إلى امتداح المنصور حتى تأتى على آخره . فقال الرشيد : اسكت ، هى التى أخرجتك من دارك ، وأزعجتك من قرارك ، وسلبتك تاجَ مُلكك ؛ ثم ماتت ، فعُمل جلودُها سياطا تضرب بها قومُك ضرب العبيد ! ثم قهقه ، ثم قال : لا تدع نفسك والتعرض لما تكره ! فقال الفضل : لقد عوقبت على غير ذنب ، والحمد لله ! قال الرشيد : أخطأت فى كلامك يرحمك الله ؛ لو قلت : وأستغفر الله ! قلت صوابا ، إنما يحمد الله على النِّعم . ثم صرف وجهه إلىّ وقال : ما أحسن ما أديت فى قدر ما سئلت ! أسمعنى كلمة عدى بن الرقاع فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، قوله :

* عرف الديارَ توهُّما فاعتادها *

فقال الفضل : يا أمير المؤمنين ، ألبستنا ثوب السهر ليلتَنا هـذه لاستماع الكذب ! لم لا تأمره يُسمعك ما قالت الشعراء فيك وفى آبائك ؟ قال : ويحك ! إنه أدب وقلما يُعتاض عن مثله ؛ ولأن أسمع من ثقيف بعبارة تشغله العناية بها عمره ، أحبُّ إلىّ من أن تشافهنى به الرسوم ؛ وللممتدَح بهـذا الشعر حركاتٌ

سترد عليك ، ولا تقدر أن تَصْدُر من غير انتفاع بها ؛ ولا أكون أول مستنّ طريقة ذكر لم تؤدها الرواية . قال الفضل : قد والله يا أمير المؤمنين شاركتك فى الشوْق ، وأعنتك على التَّوْق ، ثم التفت إلىّ الفضل فقال : آحدُبنا ليلتك منشدا ، هذا سيدى أمير المؤمنين قد أصغى إليك مستمعا ، فمز ويحك فى عنان

٥ الإنشاد ، فهى ليلة دهرك لم تنصرف إلا غانما . قال الرشيد : أما إذ قطعت على فاحلف لتشركى فى الجزاء ؛ فما كان لى فى هذا شيء لم تقاسمنيه . قال الفضل : قد والله يا أمير المؤمنين وطنت نفسى على ذلك متقدما فلا تجعلنّه وعيدا ، قال الرشيد : لا أجعله وعيدا . قال الأصمعى : الآن ألبس رداء التِّيه على العرب كلّها ، وإنى أرى الخليفة والوزير وهما يتناظران فى المواهب لى ، فمررت فى سنن الإنشاد

١٠ حتى بلغت إلى قوله :

تُزْجِى أَغَنّ كأنّ إبرةَ رَوْقِه * قلمٌ أصاب من الدَّواةِ مدادَها

فاستوى جالسا ، ثم قال : أتحفظ فى هذا شيئا ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين : كان الفرزدق لما قال عدى :

* تزْجى أغَنّ كأنّ إبرةَ روْقِه *

١٥ قلت لجرير : أىُّ شيء تراه يناسب هذا تشبيها ؟ فقال جرير :

* قلمٌ أصاب من آلدَّواةِ مدادَها *

فما رجع الجواب حتى قال عدى :

* قلمٌ أصابَ من آلدَّواة مدادَها *

فقلت لجرير : ويحك لكأن سمعَك مخبوءٌ فى فؤاده ! فقال جرير : اسكت ،

٢٠ شغلنى سَبُّك عن جيِّد الكلام !

ثم قال الرشيد : مُرَّ فى إنشادك . فمضيت حتى بلغت إلى قوله :

ولقد أراد آلله إذ ولاّكها * من أُمّةٍ إصلاحَها ورشادَها

قال الفضل : كذب وما بر . قال الرشيد : ماذا صنع إذ سمع هـذا البيت ؟ قلت : ذكرَت الرواة يا أمير المؤمنين أنه قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ! قال :

مُرَّ فى إنشادك ، فمضيت حتى بلغت إلى قوله :

تأتيه أسلابُ الأعزةِ عَنْوةً * عُصَباً ويَجمع للحروب عَتادَها

قال الرشيد : لقد وصفه بحزم وعزم لا يعرض بينهما وَكل ولا استذلال ؛ قال : فماذا صنع ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، ذكرت الرواة أنه قال : ما شاء الله ! قال : أحسبك واهما . قلت : يا أمير المؤمنين ، أنت أولى بالهداية ، فليردّنى ٥ أميرُ المؤمنين إلى الصواب . قال : إنما هذا عند قوله :

ولقد أراد اللهُ إذ ولّاكَها * من أمّةٍ إصلاحَها ورشادَها

ثم قال : والله ما قلت هذا عن سمع ، ولكننى أعلم أنّ الرجل لم يكن يخطئ فى مثل هذا . قال الأصمعى : وهو والله الصواب . ثم قال : مرّ فى إنشادك . فمضيتُ حتى بلغت إلى قوله : ١٠

وعَلِمتُ حتى لا أُسائل واحداً * عن حرْفِ واحدةٍ لكى أزدادَها

قال : وكان من خبرهم ماذا ؟ قلت : ذكرت الرواة أنّ جريراً لما أنشد عدى هذا البيت ، قال : بلى والله وعشر مئين . قال عدى : وقر فى سمعك أثقل من الرصاص ؛ هذا والله يا أمير المؤمنين المديح المنتقى . قال الرشيد : والله إنه لنقىُّ الكلام فى مدحه وتشبيبه . قال الفضل : يا أمير المؤمنين ، لا يحسن ١٥ عدى أن يقول :

شُمْسُ العداوة حتى يُستقادَ لهم * وأعظمُ الناس أحلاما إذا قدَروا

قال الرشيد : بلى قد أحسن . ثم التفت إلىّ فقال : ما حفظت له فى هذا الشعر شيئاً حين قال :

أطفأتَ نيرانَ الحروب وأوقدتْ * نارٌ قدحتَ براحتيْكَ زنادَها ٢٠

قلت : ذكرت الرواة أنه يا أمير المؤمنين حك يميناً بشمال مقتدحا بذلك ، ثم قال : الحمد لله على هبة الإنعام . ثم قال الرشيد : رويت لذى الرُّمّة شيئا ؟ قلت : الأكثر يا أمير المؤمنين . قال : والله لا أسألك سؤال امتحان ، ولا كان

هذا عليك ، ولكننى أجعله سبباً للمذاكرة ، فإن وقع عن عرفانك ، وإلا فلا ضيقَ عليك بذلك عندى ؛ فماذا أراد بقوله :

تَمُرُّ أمِرَّتْ مَتْنَهُ أَسَدِيَّةٌ * يمانيّةٌ حلّالةٌ بالمصانع

قلت : وصف يا أمير المؤمنين حماراً وحشيًّا أسمنه بقلُ روضة تشابكت فروعه ، ثم تواشجت عروقه ، من قطر سحابة كانت فى نوء الأسد ، ثم فى الذراع منه . قال : أصبت ، أفترى القوم علموا هذا من النجوم بنظرهم ، إذ هو شىء قلما يُستخرج بغير أسباب للذين رُويتْ لهم أصوله ، أو أدّتهم إليه الأوهام والظنون ؟ فالله أعلم بذلك .

قلت : يا أمير المؤمنين ، هذا كثير فى كلامهم ، ولا أحسبه إلا عن أثر أُلقِىَ إليهم . قال : قلما أجد الأشياء لا تثيرها إلا الفِكَرُ فى القلوب ، فإن ذهبتَ إلى أنه هبة الله . قال : ذهبتَ إلى ما أدّتهم إليه الأوهام . ثم قال : أرويت للشماخ شيئا ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : يعجبنى منه قوله :

إذا رُدّ من ثَنْىِ الزّمام ثنتْ له * جِراناً كخُوط الخيزُران المُموَّج

قلت : يا أمير المؤمنين ، هى عروسُ كلامه . قال : فأيها الحسن الآن من كلامه ؟ قلت : الرائية . وأنشدته أبياتاً منها ، قال : أمسك ؛ ثم قال : أستغفر الله ثلاثا ؛ أرح قليلا واجلس ، فقد أمتعتَ منشداً ، ووجدناك محسنا فى أدبك ، معبراً عن سرائر حفظك ، ثم التفت إلى الفضل ، فقال : لكلام هؤلاء ومن تقدم من الشعراء ، ديباج الكلام الخسروانىّ يزيد على القِدم جدّة وحُسنا ، فإذا جاءك الكلام المزيّن بالبديع ، جاءك الحرير الصينى المذهب ، يبقى على الحادثة فى أفواه الرُّواة ، فإذا كان له رونق صواب ، وعتْه الأسماع ، ولذَّ فى القلوب ، ولكن فى الأول منه ؛ ثم قال : يُعجبنى مثل قول مسلم فى أبيك وأخيك الذى افتتحه بمخاطبة حليلته مفتخراً عليها بطول السُّرَى فى اكتساب المغانم حيث قال :

أَجَدْكِ هل تدْرين أنْ رُبَّ ليلةٍ ٭ كأنْ دُجاها من قرونِكِ يُنْشَرُ

صَبَرتُ لها حتى تجلَّت بغُرَّةٍ ٭ كغُرَّة يَحْيَ حين يُذكر جعفرُ

أفرأيت ؟ ما ألطف ما جعلهما معدناً لكمال الصفات ومحاسنها ! ثم التفت إلىّ فقال : أجدُ مَلالة ، ولعل أبا العباس يكون لذلك أنشط ، وهو لنا ضيفٌ فى ليلتنا هذه ، فأقم معه مسامراً له ! ثم نهض ، فتبادر الخدم ، فأمسكوا بيده حتى نزل عن فرشه ، ثم قدمت النعلُ ، فلما وضع قدمه فيها جعَل الخادم يسوّى عقب النعل فى رجله ، فقال : ارفق ويحك ، حسْبك قد عقرتنى !

قال الفضل : لله درّ العجم ما أحكم صنعتهم ، لو كانت سنديّة ما احتجتَ إلى هذه الكلفة ! قال : هذه نعلى ونعلُ آبائى رحمة الله عليهم ، وتلك نعلك ونعل آبائك ؛ لا تزال تعارضنى فى الشىء ولا أدعك بغير جواب يُمِضُّك ! ثم قال : يا غلام ، علىّ بصالح الخادم . فقال : يؤمَر له بتعجيل ثلاثين ألف درهم فى ليلته هذه .

قال الفضل : لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه أحدٌ غيره ، لدعوت له بمثل ما أمر به أميرُ المؤمنين ، فدعا له بمثل ما أمر إلا ألفَ درهم ويصبح من غدٍ فيلقى الخازن إن شاء الله .

قال الأصمعى : فما صليت الظهر إلا وفى منزلى تسعة وخمسون ألف درهم .

لدعبل

وقال دعبل بن على الخزاعى :

يموتُ رديء الشّعر من قبل أهله ٭ وجيّدُه يَبقى وإن مات قائلهْ

وقال أيضا :

إنى إذا قلتُ بيتاً مات قائله ٭ ومَن يُقال له ، والبيتُ لم يَمت

باب من استعدى عليه من الشعراء

عمر بن الخطاب بين الحطيئة والزبرقان

لما هجا الحطيئة الزبرقانَ بن بدر بالشعر الذى يقول فيه :

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيَتِها * واقعد فإنك أنت الطاعِم الكاسى

استعدى عليه عمرَ بن الخطاب ، وأنشده البيت ، فقال : ما أرى به بأسا !
٥ قال الزبرقان : والله يا أمير المؤمنين ، ما هُجيتُ ببيت قط أشدّ علىّ منه ! فبعث إلى حسان بن ثابت وقال : انظر إن كان هجاه . فقال : ما هجاه ، ولكن سلَح عليه ! ـ ولم يكن عمر يجهل موضع الهجاء فى هذا البيت ، ولكنه كره أن يتعرّض لشأنه ، فبعث إلى شاعر مثله ـ وأمر بالحطيئة إلى الحبس ، وقال : يا خبيث ، لأشغلنّك عن أعراض المسلمين . فكتب إليه من الحبس يقول :

١٠ ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخٍ * زُغْبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجر
أَلْقيْتَ كاسِبَهم فى قعْر مُظلمةٍ * فاغفرْ عليك سلامُ الله يا عُمر
أنت الإمام الذى من بَعد صاحبه * أَلقتْ إليك مقاليدَ النُّهَى البَشَر
ما آثَروك بها إذ قدموك لها * لكنْ لأنفسِهم قد كانت الإِثَر

فأمر بإطلاقه وأخذ عليه ألّا يهجوَ رجلا مسلما .

عمر والنجاشى ورهط ابن مقبل

١٥ ولما هجا النجاشىُّ رهطَ تميم بن مقبل ، استعدَوْا عليه عمرَ بن الخطاب ، وقالوا : يا أمير المؤمنين، إنه هجانا ! قال : وما قال فيكم ؟ قالوا : قال :

إذا اللهُ عادَى أهلَ لؤمٍ ورقّةٍ * فعادَى بنى عجلانَ رَهْط ابن مُقْبِلِ

قال عمر : هذا رجل دعا ؛ فإن كان مظلوما استُجيب له ، وإن لم يكن مظلوما لم يُستَجب له .

٢٠ قالوا : فإنه قد قال بعد هذا :

قبيلتُه لا يَخفِرونَ بذمّةٍ * ولا يَظلمون الناسَ حبّةَ خَرْدَلِ

قال عمر : ليت آل الخطاب مثل هؤلاء . قالوا : فإنه يقول بعد هذا :

ولا يَرِدُون الماءَ إلا عشيّةً * إذا صَدَرَ الورّاد عن كل مَنهَلِ

قال عمر : فإن ذلك أجم لهم وأمكن . قالوا فإنه يقول بعد هذا :

وما سُمّى العجلانَ إلا لقولهم * خُذِ القعبَ واحلبْ أيُّها العبدُ واعْجل

قال عمر : سيد القوم خادمهم . فما أرى بهذا بأسا .

معاوية وأبو بردة وعقيبة

ونظير هذا قول معاوية لأبى بردة بن أبى موسى ؛ وكان دخل حماماً ٥ فزحمه رجلٌ ، فرفع الرجلُ يده فلطم بها أبا بردة فأثر فى وجهه ، فقال فيه عُقيبة الأسدى :

فلا يصرمُ اللهُ اليمينَ التى لها * بوجهك يا بن الأشعرين نُدوبُ

قال : فاستعدى عليه معاوية ، وقال : إنه هجانى ! قال : وما قال فيك؟ قال : فأنشده البيت ؛ قال معاوية : هذا رجل دعا ولم يقل إلا خيرا . قال : فقد قال ١٠ غير هذا . قال : وما قال ؟ فأنشده :

وأنت امرُؤٌ فى الأشعرين مُقابَلٌ * وفى البيتِ والبطحاءِ أنتَ غريبُ

قال معاوية : وإذا كنت مقابلا فى قومك فما عليك أن لا تكون مقابلا فى غيرهم ؟ قال : فقد قال غير هذا . قال : وما قال ؟ قال : قال

وما أنا من حُذاث أُمّك بالضُّحى * ولا مَن يُزكّيها بظهر مَغيبِ ١٥

قال : إنما قال : ما أنا من حداث أمك . فلو قال إنه من حُدّاثها لكان ينبغى لك أن تغضب ؛ والذى قال لى أشدُّ من هذا . قال : وما قال لك يا أمير المؤمنين؟ قال : قال :

مُعاوِىَ إننا بَشَرٌ فأسجِحْ * فلسنا بالجبالِ ولا الحديدِ

أكلتم أرضَنا وجَذَذْتموها * فهل من قائمٍ أو من حَصيدِ ٢٠

فَهَبنا أمةً هلكت ضياعا * يزيدُ أميرُها وأبو يزيدِ

أتطمعُ بالخلودِ إذا هلكنا * وليسَ لنا ولا لكَ من خلودِ

ذَروا جورَ الخلافةِ واستقيموا * وتأميرَ الأراذلِ والعبيدِ

قال : فما منعك يا أمير المؤمنين أن تبعث إليه من يضرب عنقه ؟ قال : أفلا خير من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : نجتمع أنا وأنت فنرفع أيدينا إلى السماء وندعو عليه . فما زاد على أن أزرى به .

زياد والفرزدق في قوم هجاهم

استعدى قوم زيادا على الفرزدق وزعموا أنه هجاهم ، فأرسل فيه وعرض له أن يعطيه ، فهرب منه وأنشد :

٥

دعاني زيادٌ للعطاء ولم أكنْ * لأقربه ما ساقَ ذو حسبٍ وفْرا

وعندَ زيادٍ لو يريدُ عطاءهُم * رجالٌ كثيرٌ قد يَرى بهمُ فقرا

فلما خشيتُ أن يكون عطاؤه * أداهِمَ سودا أو مُحدْرجةً سُمرا

نهضتُ إلى عنْس تخون نِيْها * سُرى الليلِ واستِعراضُها البلَدَ القفْرا

١٠

يؤمُّ بها الموماة مَنْ لا ترى له * لَدى ابن أبي سُفيانَ جاهًا ولا عُذرا

ثم لحق بسعيد بن العاص وهو والي المدينة ، فاستجار به وأنشده شعرَه الذي يقول فيه :

إليكَ فررتُ منكَ ومن زِيادٍ * ولم أحسِبْ دمي لكما حلالا

فإنْ يكنِ الهجاء أحلّ قتلي * فقــد قُلنا لشاعِرِكم وقالا

١٥

ترى الغُرَّ السَّوابقَ من قريشٍ * إذا ما الأمرُ بالحدَثانِ عالا

قياماً ينظُرون إلى ســعيدٍ * كأنهمُ يرونَ به هِلالا

يزيد والأخطل في هجاء الأنصار

ولما وقع التهاجي بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أم الحكم أرسل يزيدُ بن معاوية إلى كعب بن جعيل ، فقال له : إن عبدَ الرحمن بن حسان فضح عبد الرحمن بن الحكم فاَهجُ الأنصاري . فقال : أرادِّي أنت إلى الإشراك بعد الإيمان ؟ لا أهجو قوماً نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أدلُّك على غلام منا نصرى . فدله على الأخطل فأرسل إليه فهجا الأنصاري ، وقال فيه :

٢٠

ذهَبت قريشٌ بالمكارِم كلِّها * واللُّؤمُ تحت عمائِمِ الأنصارِ

قومٌ إذا حضرَ العصيرُ رأيتَهم * حُمراً عيونُهُمُ من المسطارِ

وإذا نسبتَ إلى الفُريعةِ خلتَهُ * كالجحش بين حمارة وحمار

فدَعُوا المكارمَ لستُمُ من أهلِها * وخُذوا مساحيَكم بني النجّار

وكان مع معاوية النعمان بن بشير الأنصارى ، فلما بلغه الشعر أقبل حتى دخل على معاوية ، ثم حسر العمامة عن رأسه وقال : يا معاوية ، هل ترى من لؤم ؟ ٥ قال : ما أرى إلا كرما . قال : فما الذى يقول فينا عبد الأراقم :

ذهبت قريشٌ بالمكارمِ كلِّها * واللؤمُ تحتَ عمائمِ الأنصارِ!

قال قد حكمتك فيه . قال : والله لا رضيت إلا بقطع لسانه ، ثم قال :

مُعاوِىَ إلا تُعطِنا الحقَّ تعترفْ * لِحَىِ الأزْدِ مشدوداً عليها العمائمُ

أيَشْتُمُنا عبدُ الأراقمِ ضلّةً * وماذا الذى تجدى عليكَ الأراقمُ ١٠

فمالِىَ ثأرٌ دون قطعِ لسانِه * فدونَكَ من ترضيهِ عنكَ الدَّراهِمُ

فقال معاوية : قد وهبتك لسانه . وبلغ الأخطل ، فلجأ إلى يزيد بن معاوية ، فركب يزيد إلى النعمان فاستوهبه إياه ، فوهبه له .

ومن قول عبد الرحمن بن حسان فى عبد الرحمن بن أم الحكم :

وأمّا قولُكَ الخلفاءُ منّا ، * فهم منعوا وريدكَ من وِداجِى ١٥

ولولاهُم لطحْتَ كحوتِ بحرٍ * هوى فى مُظلِمِ الغمراتِ داجِ

وهم دُعْجٌ وولْدُ أبيكَ زُرقٌ * كأنّ عيونَهم قطعُ الزُّجاجِ

وقال يزيد لأبيه : إن عبد الرحمن بن حسان يشبب بابنتك رملة . قال : وما يقول فيها ؟ قال : يقول :

هىَ بيضاءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوّا * صِ صيغَت من لؤلؤٍ مكنونِ ٢٠

قال صدق ! قال : ويقول :

وإذا ما نسبتَها لم تجِدْها * فى سَناءٍ من المكارمِ دونِ

قال : صدق أيضا ! قال : ويقول :

تجعل المسكَ واليَلَنْجُو * جَ صِلاءً لها على الكانون

قال : وصدق . قال : فإنه يقول :

ثم خاصرتها إلى القبّةِ الخضـــراء تمشى فى مَرْمَرٍ مسنون

٥ قال كذب ! قال : ويقول :

قبة من مراجلٍ ضربوها * عند بَرْد الشتاء فى قيطون

قال : ما فى هـذا شيء . قال : تبعث إليه مَن يأتيك برأسه . قال : يابنيّ ، لو فعلت ذلك لكان أشد عليك ؛ لأنه يكون سبباً للخوض فى ذكره ، فيُكثر مُكْثِر ويزيد زائد ، اضرب عن هذا صفحا ، واطوِ دونه كشحا .

يزيد وابن الرقيات فى تشبيبه بعاتكة

١٠ ومن قول عبيد الله بن قيس ، المعروف بالرقيات ، يشبب بعاتكة بنت يزيد ابن معاوية :

أعاتكَ يابنتَ الخلائفِ عاتكا * أنيلى فتًى أمسى بحبّكِ هالكا

تبدت وأترابا لهـــا فقتلْننى * كذلك يُقتلن الرجالَ كذلكا

يُقلّبنَ ألحاظًا لهن فواترا * ويحملن ما فوق النِّعالِ السبائكا

١٥ إذا غفَلت عنّا العيونَ التى نَرى * سلكْن بنا حيثُ اشتهين المسالكا

وقلنَ لنا لو نستطيعُ لَزاركم * طبيبانِ منا عالمانِ بدائكا

فهل من طبيبٍ بالعراقِ لعله * يُداوى سقيما هالكا مُتهالكا

فلم يعرض له يزيد ، للذى تقدم من وصاية أبيه معاوية فى رملة .

الحجاج وابن نمير فى زينب

تحدثت الرواة أن الحجاج رأى محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى ، وكان يشبب

٢٠ بزينب بنت يوسف أخت الحجاج ، فارتاع من نظر الحجاج إليه ، فدعا به ، فلما وقف بين يديه قال :

فداكَ أبى ضاقت بِىَ الأرضُ رُحبها * وإن كنت قد طوفتُ كلّ مكان

وإن كنتُ بالعَنْقاء أو بتُخومها * ظنَنتُك إلا أن يصُدَّ تراني

فقال : لا عليك ، فوالله إن قلت إلا خيراً ! إنما قلت هذا الشعر :

يُخَبِّئْن أطراف البَنان من التُّقى * ويَخرُجْن وسْطَ الليل مُعْتجرات

ولكن أخبرني عن قولك :

ولما رأت ركْبَ النُّمَيْرِيّ أعرَضت * وكُنّ من آنْ يَلقَيْنه حَذِرات ٥

في كم كنت ؟ قال : والله إن كنت إلا على حمار هزيل ، ومعى رفيق على أتان مثله ! قال : فتبسم الحجاج ولم يعرض له .

وهذه الأبيات قالها ابن نمير في زينب بنت يوسف :

ولم تر عيْني مثل سِرْبٍ رأيتُه * خَرَجْن من التنْعيم مُعْتمِراتِ

مَرَرْن بفَجٍّ ثم رُحْن عشيةً * يُلبِّين للرحمن مُؤْتجِراتِ ١٠

تضوَّعَ مِسْكاً بَطنُ نَعمانَ إذ مشَتْ * به زينبٌ في نِسْوةٍ خفِرات

ولما رأت ركْبَ النُّمَيْرِيّ أعرضت * وكُنّ مَن آنْ يَلقَيْنه حَذِرات

دعَت نسوةً شُمَّ العرانين بُدَّنا * نواضِرَ لا شُعْثا ولا غَبِرات

فأدنَيْنَ لما قُمن يَحجُبْن دونَها * حجابا من القَسِّيّ والحِبَرات

أَحِلّ الذى فوق السموات عرشُه * أوانِسَ بالبَطْحاء مُعْتمرات ١٥

يُخبِّئْن أطرافَ البنان من التُّقى * ويَخرُجْن وسْط الليل مُعْتجرات

هشام والفرزدق

وكان الفرزدق قد عرّض بهشام بن عبد الملك في شعره ، والبيت الذي عرّض به فيه قوله :

يُقلِّبُ عيْنا لم تكن لخليفة * مُشوّهة حوْلاء جمّا عيوبُها

فكتب هشام إلى خالد بن عبد الله القسري عامله على العراق يأمره بحبسه ، ٢٠ فحبسه ، حتى دخل جرير على هشام فقال : ياأمير المؤمنين ، إنك تريد أن تبسط يدك على بادِي مُضَرَ وحاضرَها ، فأطلق لنا شاعرَها وسيدَها الفرزدق . فقال له هشام : أو مايسرك ماأخزاه الله ؟ قال : ماأريد أن يخزيه الله إلا على يدي ! فأمر بإطلاقه .

أي بيت تقوله العرب أشعر

لأبي عمرو

قيل لأبي عمرو بن العلاء : أي بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : البيت الذي إذا سمعه سامعه سولت له نفسه أن يقول مثله ، ولأَن يخدش أنفه بظفر كلب أهونُ عليه من أن يقول مثله .

للأصمعي

٥ وقيل للأصمعي : أي بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : الذي يسابق لفظه معناه .

للخليل

وقيل للخليل : أي بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : البيت الذي يكون في أوله دليل على قافيته .

لبعضهم

وقيل لغيره : أي بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : البيت الذي لا يحجبه عن ١٠ القلب شيء .

لزهير

وأحسن من هذا كله قول زهير :

وإنّ أحسَن بيتٍ أنت قائلُه * بيتٌ يُقال إذا أنشدْتَه : صَدَقا

أحسن ما يجتلب به الشعر

للحكماء

قالت الحكماء : لم يُستدع شارد الشعر بأحسن من الماء الجاري ، والمكان ١٥ الخالي ، والشرف العالي .

وتأول بعضهم « الخالي » يريد الخالي بالنُّوار ، يعني الرياض ، وهو توجيه حسن

أبو العتاهية وابن هانئ

ولقي أبو العتاهية الحسن بن هانئ ، فقال له : أنت الذي لا تقول الشعر حتى تؤتَى بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك ؟ قال : وكيف ينبغي للشعر أن يقال إلا على هكذا ؟ قال : أما إني أقوله على الكنيف ! قال : ولذلك توجد ٢٠ فيه الرائحة .

عبد الملك وابن سهية

وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سُهَيّة : هل تقول الآن شعراً ؟ قال : ما أشربُ ولا أطرَبُ ولا أغضَب ؛ فلا يقال الشعر إلا بواحدة من هذه .

الحطيئة — وقيل للحطيئة : من أشعر الناس ؟ فأخرج لسانا رقيقا كأنه لسان حية وقال : هذا إذا طمع .

لكثير — وقيل لكثيّر عزة : لِمَ تركت الشعر ؟ قال : ذهب الشباب فما أعجب ، وماتت عزة فما أطرب ، ومات ابن ليلى فما أرغب يريد عبد العزيز ابن مروان . ٥

لبعضهم — وقالوا : أشعر الناس النابغة إذا رهب ، وزهير إذا غضب ، وجرير إذا رغب .

لعبيد — وقال عمرو بن هند لعبيد بن الأبرص ، ولقيه في يوم بؤسه : أنشدنى من شعرك . قال : حال الجريض دون القريض . وقد يمتنع الشعر على قائله ولا يسلس حتى يبعثه خاطر أو صوت حمامة . ١٠

للفرزدق — وقال الفرزدق : أنا أشعر الناس عند الناس ، وقد يأتى على الحين وقلع ضرس عندى أهون من قول بيت شعر

لبعض الرجاز — وقال الراجز :

إنما الشعر بناء * يبتنيه المبتنونا
فإذا ما نسقوه * كان غثا أو سمينا ١٥
ربما واتاك حينا * ثم يستصعب حينا

وأسلس ما يكون الشعر فى أول الليل قبل الكرى ، وأول النهار قبل الغداء وعند مناجاة النفس واجتماع الفكر ، وأقوى ما يكون الشعر عندى على قدر قوة أسباب الرغبة والرهبة .

للخريمى — قيل للخُريمى : ما بال مدائحك لمحمد بن منصور أحسن من مراثيك ٢٠ قال : كنا حينئذ نعمل على الرجاء ، ونحن اليوم نعمل على الوفاء ، وبينهما بون بعيد .

والدليل على صحة هذا المعنى وصدق هذا القياس ، أن كثيّر عزة والكميت

ابن زيد كانا شعيَّيْن غاليين ، فى التشيُّع ، وكانت مدائحهما فى بنى أمية أشرف وأجود منها فى بنى هاشم ؛ وما لذلك علة إلا قوة أسباب الطمع .

لكثير

وقيل لكثير عزة : يا أبا صخر ، كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر ؟ قال : أطوف فى الرباع المحيلة والرياض المعشبة ؛ فإن نفرت عنك القوافى وأعيت عليك المعانى ، فروِّح قلبك ، وأجِمَّ ذهنك ؛ وارتصد لقولك فَراغ بالك وسعة ذهنك ، فإنك تجد فى تلك الساعة ما يمتنع عليك يومك الأطول وليلك الأجمع .

من رفعه المدح ووضعه الهجاء

جرير وابنه

قال بلال بن جرير : سألت أبى جريراً فقلت له : إنك لم تهج قوما قط إلا وضعتهم غير بنى لَجَأ ! قال : يا بنى إنى لم أجد شرفا فأضعه ، ولا بناء فأهدمه .

وقد يكون الشىء مدحا فيجعله الشعر ذمًّا ، ويكون ذما فيجعله الشعر مدحا . قال حبيب الطائى فى هذا المعنى :

ولولا خِلالٌ سَنَّها الشِّعْر مادرى ۰ بُغاةُ العُلا من أين تُؤتَى المكارمُ

يُرى حكمةً ما فيه وهو فُكاهةٌ ۰ ويُقضَى بما يَقضى به وهو ظالم

ألا ترى إلى بنى عبد المدان الحارثيين كانوا يفخرون بطول أجسامهم وقديم شرفهم حتى قال فيهم حسان بن ثابت :

لا بأس بالقومِ من طول ومن غِلَظٍ ۰ جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافير

فقالوا له : والله يا أبا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحى من ذكر أجسامنا بعد أن كنا نفتخر بها ! فقال لهم : سأصلح منكم ما أفسدت ، فقال فيهم :

وقد كنا نقول إذا رأَيْنا ۰ لِذِى جسمٍ يُعَدُّ وذى بيان

كأنك أيها المُعطَى لسانا ۰ وجسما من بنى عبد المُدان

وكان بنو حنظلة بن قُريع بن عوف بن كعب يقال لهم بنو أنف الناقة يُسَبُّون

بهذا الاسم فى الجاهلية ، وسبب ذلك أنّ أباهم نحر جزوراً وقسم اللحم ، فجاء حنظلة وقد فرغ اللحم وبقى الرأس ، وكان صبيا ، فجعل يجره ؛ فقيل له : ماهذا ؟ فقال : أنف الناقة . فلقّب به ، وكانوا يغضبون منه حتى قال فيهم الحطيئة :

سِيرِى أُمامَ فإنّ الأكثرين حصًى ٭ والأكرمين إذا ما يُنسَبونَ أبَا ٥

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهمُ ٭ ومَن يُسوّى بأنف الناقة الذَّنَبا

فعاد هذا الاسم فخراً لهم وشرفا فيهم .

جرير وبنو نمير

وكان بنو نُمير أشراف قيس وذوائبها حتى قال جرير فيهم :

فغُضّ الطَّرْفَ إنكَ من نُميرٍ ٭ فلا كعْباً بلغْتَ ولا كِلابَا

فما بقى نميرىٌّ إلا طأطأ رأسه . ١٠

لحبيب

وقال حبيب :

فسوف يَزيدكم ضَعةً هجائى ٭ كما وضَع الهجاءُ بنى نمير

الأعشى والمحلق

وقد كان المحلّق بن حَنتَم بن شداد خاملا لا يُذكر ، حتى طرقه الأعشى فى فتية وليس عنده إلا ناقة ، فأتى أمّه فقال : إنّ فتية طرقونا الليلة ، فإن رأيت أن تأذنى فى نحر الناقة ! قالت : نعم يابُنى . فنحرها واشترى لهم ببعض لحمها ١٥ شرابا ، وشوى لهم بعض لحمها ؛ فأصبح الأعشى ومن معه غادين ، فلم يشعر المحلّق حتى أتته القصيدة التى أوّلها :

أرِقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ ٭ وما بىَ من سُقمٍ وما بى مَعْشَقُ

لَعمْرى لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ ٭ إلى ضوءِ نارٍ فى يَفاعٍ تحرّق

تُشَبُّ لمقْرورَيْن يَصطليانها ٭ وبات على النار النّدَى والمحلّق ٢٠

رَضيعىْ لبانٍ ثدْىِ أمٍّ تقاسَما ٭ بأسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نتفرّق

ترى الجودَ يسرى سائلا فوق وجهه ٭ كما زانَ متنَ الهُندُوانىّ رونق

فلما أتته القصيدة جعلت الأشراف تخطب إليه ، ويقول القائل :

* وبات على النار الندى والمحلق *

وقوله : « تقاسما بأسحم داج » ؛ يقول : تحالفا على الرماد ، وهذا شيء تفعله الفرس لئلا يفترقوا أبدا . والعَوْض : الدهر

٥

ما يعاب من الشعر وليس بعيب

لحماد

قال الأصمعي : سمعت حماد الراوية وأنشد رجلٌ بيتاً لحسان :

يُغشَوْن حتى ما تَهِرُّ كلابُهم * لا يَسألون عن السَّواد المُقْبِلِ

فقال : ما يُعرف هذا إلا فى كلاب الحانات

وأنشده آخر قول الشاعر :

١٠ * لِمن منزلٌ بين المَذانِب والجُسُرُ *

فقال : ما يعرف هذا إلا دار الياسريين [1] .

بيت للفرزدق

ومما يعاب من الشعر وليس بعيب قول الفرزدق :

أيابنة عبــدِ الله وابنـــةَ مالك * ويابنتَ ذى البُرْدَيْن والفَرَس الوَرْدِ

فقال من جهل المعنى ولم يعرف الخبر [لم يدرك] ما فى هذا من المدح : أن

١٥ يمدح رجلا بلباس البردين وركوب فرس ورد ؛ إنما معناه : ما قال أبو عبيدة : إن وفود العرب اجتمعت عند النعمان ، فأخرج إليهم بردَى محرّق ، وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليلبسهما . فقام عامر بن أحيمر بن بهدلة فائتزر بأحدهما وتردّى بالآخر ، فقال له النعمان : أنت أعز العرب قبيلة ؟ قال : العز والعدد من العرب فى معدّ ، ثم فى نزار ، ثم فى مضر ، ثم فى خندف ، ثم فى تميم ،

٢٠ ثم فى سعد ، ثم فى كعب ، ثم فى عوف ، ثم فى بهدلة ؛ فمن أنكر هذا من العرب فلينافِرنى ، فسكت الناس ، فقال النعمان . هذه [حالك فى] عشيرتك

---

(١) كذا بالأصل : وفى أصول أخرى «الماسيدين» ، ولم نوفق لتحقيقها على الوجهين .

فكيف أنت كما تزعم فى نفسك وأهل بيتك ؟ فقال : أنا أبو عشرة ، وعم عشرة ، وخال عشرة ؛ وأمّا أنا فى نفسى فهذا شاهدى . ثم وضع قدمه فى الأرض ، وقال : من أزالها فله مائة من الإبل ! فلم يتعاطَ ذلك أحد ؛ فذهب بالبردين ؛ فسُمى ذا البردين ؛ وفيه يقول الفرزدق :

فما تمّ فى سعد ولا آل مالك * غلامٌ إذا ما سِيل لم يتبهّدَلِ ٥

لهم وَهب النعمانُ بُردى مُحرِّق * لمَجدِ معَدّ والعَديد المُحصّلِ

بيت للأعشى — ومما يعاب من الشعر وليس بعيب ، قول الأعشى فى فرس النعمان ، وكان يسمى اليحموم :

ويأمُرُ لليحْموم كل عشية * بقتٍّ وتعليق فقدَ كاد يَسْنَقُ

فقالوا : ما يمدح به أحد من السوقة فضلا عن الملوك : أن يقوم بفرس ١٠ ويأمر له بالعلف حتى كاد يسنق . وليس هذا معناه ؛ وإنما المعنى فيه ما قال أبو عبيدة : أن ملوك العرب بلغ من حزمها ونظرها فى العواقب أن أحدهم لا يبيت إلا وفرسه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه قريبا منه ، مخافة عدو يفجؤه أو حالة تصعب عليه ؛ فكان للنعمان فرس يقال له اليحموم ، فيتعاهده كل عشية ؛ وهذا مما يتمادح به العرب من القيام بالخيل وارتباطها بأفنية البيوت . ١٥

بيت لزهير — ومما عابوه وليس بعيب ، قول زهير :

قِفْ بالدِّيار التى لم يَعفُها القِدَمُ * بَلى وغيّرها الأرْياحُ والدِّيَمُ

فنَفَى ثم حقق فى معنى واحد ، فنقض فى عجز هذا البيت ما قال فى صدره ، لأنه زعم أن الديار لم يعفها القدم ، ثم إنه انتبه من مرقده فقال : بلى ، عفاها وغيّرها أيضا الأرياح والديم ! وليس هذا معناه الذى ذهب إليه ؛ وإنما معناه ٢٠ أن الديار لم تعف فى عينه ، من طريق محبته لها وشغفه بمن كان فيها .

بيت لبعض الشعراء — وقال غيره فى هذا المعنى ما هو أبْين من هذا ، وهو :

ألا ليْت المنازل قد بَلِينا * فلا يَرمين عن شَزْرٍ حَزِينا

فقوله : ألا ليت المنازل قد بلينا . أى . بَلِىَ ذكرها ؛ ولكنها تتجدد على طول البلى بتجدد ذكرها .

وقال الحسن بن هانئ : فى هـذا المعنى فلخصه وأوضحه وشنَّفه وقرطه حيث يقول :

٥ لِمن دِمَنٌ تَزداد طول نسيمٍ ° على طول ما أقْوَتْ وحسْنَ رُسوم
تَجافَى البلى عنهن حتى كأنما ° لَبِسْنَ على الأقواء ثوبَ نعيم

مروان وابن يزيد

ومما عيب من الشعر وليس بعيب ، ما يروى عن مروان بن الحكم أنه قال لخالد بن يزيد بن معاوية وقد استنشده من شعره فأنشده :

فلو بَقِيَتْ خَلائف آل حربٍ ° ولم يُلْبِسْهم الدهرُ المَنونا
١٠ لأَصبحَ ماء أهل الأرض عذبا ° وأصبح لحمُ دنياهم سمِينا

فقال له مروان : «منونا» ، و«سمينا» والله إنها لقافية ما اضطرك إليها إلا العجز . وهذا مما لا عجز فيه ولا عابه أحد فى قوافى الشعر ، وما أرى العيبَ فيه إلا على من رآه عيبا ، لأن الياء والواو يتعاقبان فى أشعار العرب كلِّها قديمها وحديثها ؛ قال عبيد بن الأبرص :

١٥ وكلُّ ذى غيْبةٍ يَئوبُ ° وغائب الموت لا يئوبُ
مَن يَسأل الناس يَحرموه ° وسائلُ الله لا يَخيب

ومثله من المحدثين :

أجارةَ بيتَيْنا أبوك غَيُورُ ° وميْسور ما يُرجَى لديْك عسيرُ

بيت لذى الرمة

ومما عيب من الشعر وليس بعيب ، قولُ ذى الرمة :

٢٠ رأيتُ الناسَ يَنتجعون غيْثاً ° فقلتُ لِصَيْدَحَ : انْتَجِعِى بِلالا

ولما أنشد هذا الشعر بلال بن أبى بردة قال : يا غلام مُرْ لصيدح بقت وعلَف ، فإنها هى انتجعتْنا . وهذا من التعنُّت الذى لا إنصاف معه ؛ لأن قوله : انتجعى بلالا ، إنما أراد نفسه ، ومثله فى كتاب الله تعالى : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ

التى كنّا فيها والعيرَ التى أقبلنا فيها ﴾ ، وإنمـا أراد أهلَ القرية وأهل العير .

وكان عمر بن الخطاب يقول فى بعض ما يرتجز به من شعره :

إليكَ يَعْدُو قلِقاً وضينُها ◦ مخالفاً دينَ النصارى دينُها

فجعل الدين للناقة ، وإنمـا أراد صاحب الناقة .

٥ ولم تزل الشعراء فى أماديحها تصف النوق وزيارتها لمن تمدحه ، ولكن من طلب تعنتا وجده ، أو تجنيا على الشاعر أدركه عليه ؛ كما فعل صريع الغوانى بالحسن ابن هانئ حين لقيه ، فقال له : ما يسلم لك بيت عندى من سقطٍ ! قال : فأى بيت أسقطت فيه ، قال : أنشدنى أى بيت شئت . فأنشده :

ذكرَ الصَّبوحَ بسحرةٍ فارْتاحا ◦ وأملَّهُ ديكُ الصَّباح صياحا

١٠ فقال له : قد ناقضت فى قولك ؛ كيف يمله ديكُ الصباح صياحا ، وإنمـا يبشره بالصبوح الذى ارتاح له ! فقال له الحسن : فأنشدنى أنت من قولك . فأنشده :

عاصَى العزاء فراحَ غيرَ مُفنَّدِ ◦ وأقامَ بين عزيمةٍ وتجــلُّدِ

قال له : قد ناقضت فى قولك ؛ إنك قلت :

١٥ عاصى العزاء فراح غير مفند

ثم قلت :

وأقام بين عزيمة وتجــلد

فجعلته رائحا مقيما فى مقام واحد ؛ والرائح غير المقيم .

والبيتان جميعاً مؤتلفان ، ولكن من طلب عيباً وجده .

٢٠ بيت المرقش — وممـا عابه ابن قُتيبة وليس بعيب ، قول المرقِّش الأصغر :

صحـــا قلبُهُ عنها على أنَّ ذِكرَها ◦ إذا ذُكرتْ دارتْ به الأرضُ قائما

فقال له : كيف يصحو من كانت هذه صفته . والمعنى صحيح ، وإنمـا ذهب إلى أن حاله هذه ، على ما تقدم من سوء حاله ، حالُ صحو عنده ؛ ومثل هذا فى

الشعر كثير ، لأن بعض الشر أهونُ من بعض . وقال النبي صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب : إنه أخف الناس عذاباً يوم القيامة ، يحذى نعلين من نار يغلى منهما دماغه ! وهذا من العذاب الشديد ، وإنما صار خفيفاً عند ما هو أشد منه ؛ فزعم المرقّش أنه عند نفسه صاح ، إذ تبدُّلُ حاله أسهل مما كان فيه .

بيت لابن هانئ

٥ وقد عاب الناس قول الحسن بن هانئ :

وأخفتَ أهل الشِّرْكِ حتى إنه ٭ لتخافكَ النُّطَفُ التي لم تخلَقِ

فقالوا : كيف تخافه النطف التي لم تخلق ؟ ومجاز هذا قريب إذا لحظ أن من خاف شيئاً خافه بجوارحه وسمعه وبصره ولحمه وروحه ؛ والنطف داخلة في هذه الجملة ؛ فهو إذا أخاف أهل الشرك أخاف النطف التي في أصلابها .

١٠ وقال الشاعر :

ألا ترثِي لمكتئِبِ ٭ يُحبُّكَ لحمُهُ ودمُهْ

وقال المكفوف :

أُحبُّكمُ حُبًّا على اللهِ أجرُه ٭ تضمَّنَهُ الأحشاء واللحْمُ والدمُ

العتابي ومنصور النمري

ولقي العتابي منصوراً النميري ، فسأله عن حاله فقال : إني لمدهوش ؛ وذلك

١٥ أني تركت امرأتي وقد عسر عليها وِلادُها . فقال له العتابي : ألا أدلك على ما يُسهّل عليها ! قال : وما هو ؟ قال : اكتُبْ على رحِمِها : « هارون » . قال : وما معناك في هذا ؟ قال : ألست القائل فيه :

إنْ أخلفَ القطرُ لم تُخلِفْ مواهبُهُ ٭ أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتّسِعُ

فقال : أبالخلفاء تعرّض وفيهم تقع وإياهم تعيب ؟ فيقال إنه دخل على هارون

٢٠ فأعلمه ما كان من قول العتابي ، فكتب إلى عبد الصمد عمه يأمره بقتله . فكتب إليه عبد الصمد يشفع له ، فوهبه له .

تقبيح الحسن وتحسين القبيح

لبعضهم سئل بعض علماء الشعر : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يصوّر الباطل فى صورة الحق ، والحقّ فى صورة الباطل ، بلطف معناه ، ودقة فطنته ، فيقبّح الحسن الذى لا أحسن منه ، ويُحسّن القبيح الذى لا أقبح منه .

للحارث فمن تحسين القبيح قول الحارث بن هشام يعتذر من فراره يوم بدر . ٥

اللهُ أعلمُ ماتركتُ قتالهم ٭ حتى رموا مُهرى بأشقرَ مزبدِ

وعلِمتُ أنىَ إن أقاتلْ واحداً ٭ أُقتلْ ولا يضرر عدُوِّى مشهَدى

فصدفتُ عنهم والأحبَّةُ فيهمُ ٭ طمعاً لهم بعقابِ يومٍ مرصَدِ

وهذا الذى سمعه صاحب رُتْبيل فقال : يا معشر العرب ، حسنتم كل شىء فحُسن حتى الفرار . ١٠

لبشار ومن تقبيح الحسن قول بشار العقيلى فى سليمان بن على وكان وصل رجلا فأحسن :

يا سوأةً يُكثر الشيطانُ ماذُكرت ٭ منها التَّعجُّبَ جاءت من سُليمانا

لا تعجبَنَّ لخير زلَّ عن يدهِ ٭ فكوكبُ النحسِ يسقى الأرضَ أحيانا

لبعضهم وقال غيره فى تقبيح الحسن . ١٥

يقولون لى إنى بخيلٌ بنائِلى ٭ وللبخلُ خيرٌ من سؤالِ بخيلِ

المتلمس وقال المتلمس فى تقبيح الحسن :

وحبسُ المال خيرٌ من بُغاهُ ٭ وضربٌ فى البلاد بغير زاد

وإصلاح القليل يزيد فيه ٭ ولا يبقَ الكثير مع الفساد

وقال محمود الوراق فى تحسين القبيح : ٢٠

يا عائبَ الفقرِ ألا تزدجِر ٭ عيبُ الغِنى أكبرُ لو تعتبِرْ

من شرف الفقرِ ومن فضلِه ٭ على الغِنى إن صحَّ منكَ النظَر

أنكَ تعصِى كى تنالَ الغِنى * ولستَ تَعصِى الله كى تفتَقِرا !

جذيمة — ومن تحسين القبيح أنه قيل لجذيمة الأبرص : ماهـذا الوضح الذى بك ؟ قال : سيف الله الذى جلاه .

لابن حسان — وقال ابن حسان وكان به برص :

لا تحسبَنَّ بياضا فىَّ منقصةً * إنّ اللهاميم فى أقرابها بَلَقُ

للوراق — وقال محمود الورّاق يمدح الشيب :

وعائبٍ عابَنى بشيْبِى * لم يعْد لمـا ألَمّ وقتهْ

فقلتُ للعائبى بشيْبى : * ياعائبَ الشيبِ لا بلغتَهْ

لبعضهم — وقال آخر :

يقولون هل بعدَ الثلاثين ملعبُ ؟ * فقلت : وهل قبلَ الثلاثين ملعبُ ؟

لقد جلّ قدرُ الشيبِ إن كان كلّما * بدت شيبةٌ يعْرَى من اللهْوِ مركب

لأعرابى — وقال أعرابى فى عجوز :

أبى القلبُ إلا أمَّ عمرٍو وحُبّها * عجوزاً ومن يحْبِب عجوزاً يُفنَّدِ

كبُردِ يمـانٍ قد تقادمَ عهدُه * ورُقعتُه ما شيبَ فى العينِ واليد

لبشار — وقال بشار العقيلى فى سوداء :

أشبَهك المسكُ وأشبَهْتِه * قائمةً فى لونه قاعـــدهْ

لا شكَّ إذ لونُكما واحدٌ * أنّكما من طينةٍ واحدهْ

الاستعارة

فى معنى هذا العنوان — لم تزل الاستعارة قديما تستعمل فى المنظوم والمنثور ، وأحسن ما تكون أن يُستعار المنثور من المنظوم ، والمنظوم من المنثور ؛ وهذه الاستعارة خفية لا يؤبه بها لأنك قد نقلت الكلام من حال إلى حال ، وأكثر مايجتلبه الشعراء ويتصرف فيه البلغاء ، إنمـا يجرى فيه الآخر على السنن الأول ، وأقل ما يأتى لهم معنى لم يسبق

إليه أحدا ، إما فى منظوم وإما فى منثور ؛ لأن الكلام بعضه من بعض ؛ ولذلك قالوا فى الأمثال : ماترك الأولُ للآخِرِ شيئا . ألا ترى أن كعب بن زهير ، وهو فى الرعيل الأول والصدر المتقدم ، قد قال فى شعره :

ما أرانا نقولُ إلا مُعاراً * أو مُعاداً مِن قولِنا مَكرُوراً

للأعشى

ولكن قولهم : إن الآخر إذا أخذ من الأول المعنى فزاد فيه ما يحسّنه ويقرّبه ويوضحه فهو أولى به من الأول ، وذلك كقول الأعشى : ٥

وكأسٍ شَرِبْتُ على لذّةٍ * وأُخرَى تَداويْتُ منها بِها

لابن هانئ

فأخذ هذا المعنى الحسنُ بن هانئ فحسنه وقرّبه إذ قال :

دعْ عنكَ لوْمى فإنّ اللوْمَ إغراءُ * وداوِنى بالتى كانت هى الدّاءُ

وقال القطامى : ١٠

والناسُ مَن يَلْقَ خيْراً قائلون له * ما يَشتَهِى ، ولِأمّ المخطِئ الهَبَلُ

للمرقش

أخذه من قول المرقّش :

ومن يَلق خيْراً يحمَدِ الناسُ أمرَهُ * ومن يَغوَ لا يَعْدمْ على الغىّ لائما

لابن الخطيم

وقال قيس بن الخطيم :

تَبدّتْ لنا كالشمْسِ تحتَ غَمامة * بدا حاجِبٌ منها وضنّتْ بحاجِبِ ١٥

لبعض المحدثين

أخذه بعض المحدثين فقال :

فشبّهْتُها بدراً بَدَا منه شقّةٌ * وقد سَتَرتْ خدًّا فأبدتْ لنا خدّا

وأذرتْ على الخدّين دمْعاً كأنه * تَناثُر دُرٍّ أو ندًى واقعَ الورْدا

وأخذه آخر فقال :

يا قمراً للنّصف من شهْرِه * أبدَى ضِياءً لثمانٍ بقِينْ ٢٠

لبشار

وأخذه بشار فقال :

صَدّتْ بخدٍّ وجَلَتْ عن خدٍّ * ثمّ انثنتْ كالنّفَسِ المرْتدّ

فلم يُفسِد الآخرُ قول الأول ، ولم يكن الأولُ بالمعنى أولى من الآخِرِ .

لابن عبد ربه

وقد قلنا في هذا المعنى ما هو أحسن من كل ما تقدم أو مثله ، وهو قولي :

كأنّ التي يومَ الوَداعِ تَعرّضتْ * هلالٌ بدا مُختفياً على أنهُ تمُّ

وأما الاستعارة إذا كانت من المنثور في المنظوم ، ومن المنظوم في المنثور ، فإنها أحسنُ استعارة .

الرشيد وسهل

٥ دخل سهل بن هارون على الرشيد وهو يضاحك ابنه المأمون ؛ فقال سهل : اللهم زده من الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكون بكل يوم من أيامه مُوفيا على أمسه ، مقصراً عن غده ! فقال له الرشيد : ياسهل ، من روى من الشعر أفصحه ومن الحديث أوضحه ، إذا رام أن يقول لم يُعجزه ! قال : يا أمير المؤمنين ، ما أعلم أحدا سبقني إلى هذا المعنى . قال : بلى سبقك أعشى

١٠ همدان ، حيث يقول :

رأيتك أمسِ خيرَ بني مَعدٍ * وأنت اليومَ خيرٌ منكَ أمسِ

وأنتَ غداً تَزيدُ الضّعفَ خيراً * كذاكَ تَزيدُ سادةُ عبدِ شمسِ

وقد يكون مثل هذا وما أشبهه عن موافقة .

للأصمعي

وقد سئل الأصمعي عن الشاعرين يتفقان في المعنى الواحد ولم يسمع أحدُهما

١٥ قول صاحبه فقال : عقول الرجال توافت على ألسنتها .

اختلاف الشعراء في المعنى الواحد

في معنى هذا العنوان

وقد تختلف الشعراء في المعنى الواحد ، وكل واحد منهم محسنٌ في مذهبه جارٍ في توجيه ، وإن كان بعضُه أحسنَ من بعض .

للشماخ

ألا ترى أن الشماخ بن ضرار يقول في ناقته :

٢٠ إذا بلّغتِنِي وحَملتِ رَحلي * عرابةَ فاشرَقي بدَمِ الوتينِ

لابن هانئ

وقال الحسن بن هانئ في ضد هذا المعنى ما هو أحسن منه في محمد الأمين :

فإذا المطِيُّ بنا بَلغْنَ محمّداً * فظهُورُهُنّ على الرجال حرامُ

وقال أيضاً :

أقول لناقتى إذ أبلغتنى * لقد أصبحت منى باليمين

فلمْ أجعلكِ للغربان نحْلا * ولا قلت اشرَقى بدمِ الوَتين

فقد عاب بعض الرواة قول الشماخ ، واحتجّ فى ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم للأنصارية المأسورة التى نجت على ناقة النبى صلى الله عليه وسلم ٥ [وقالت] : إنى نذرت يارسول الله إن نجانى الله عليها أن أنحرها . قال : « بئسما جزَيتها ! ولا نذر لأحد فى مِلك غيره » .

الفرزدق — وقد قالت الشعراء ، فلم تزل تمدح حسن الهيئة وطيب الرائحة وإسبال الثوب قال الفرزدق :

بنو دارِمٍ قومى ، ترى حُجُزاتِهم * عِتاقاً حَواشيها رِقاقاً نعالُها ١٠

يجُرّون هُدّاب اليمان كأنهم * سُيوفٌ جلا الأطباعَ عنها صِقالُها

للذبيانى — وأول من سبق إلى هذا المعنى النابغة الذبيانى فى قوله :

رِقاقُ النّعال طيّبٌ حجزاتهم * يحيّوْن بالرّيحان يوم السّباسب

لطرفة — وقال طرَفة :

ثم راحوا عَبِق المسك بهم * يَلحَفون الأرض هُدّاب الأُزُرْ ١٥

لكثير — وقال كثيّر عزة فى إسبال الذيول يمدح بنى أمية :

أشَم من الغادين فى كلّ حُلّةٍ * يَميسون فى صِبْغٍ من العَصْبِ مُتْقَن

لهم أُزُرٌ حُمْرُ الحواشى يَطوُنها * بأقدامهم فى الحضْرمىّ المُلَسَّن

وقال فيه أيضاً :

إذا حُلَلُ العَصْبِ اليمانى أجادَها * أكُفُّ أساتيذٍ على النّسج دُرّبِ ٢٠

أتاهم بها الجابى فراحوا عليهم * تمائم من قَضْفاضهنّ المكعّبِ

لها طُرَرٌ تحت البَنائق أُدنيت * إلى مُرْهفات الحضرمىّ المعقرب

وقال آخر : لبعضهم

معى كل فَضْفاض القيمص كأنه * إذا ما سَرَت فيه المُدامُ فَنيقُ

وخالفهم فيه صريعُ الغوانى فقال : لمسلم

لا يعبقُ الطيب خدَّيه ومَفْرِقِه * ولا يُمسِّحُ عيْنيه من الكُحْل

٥ وقال دُرَيد بن الصِّمَّة يرثى أخاه عبد الله بن الصِّمة ويصفه بتشمير الثوب : لدريد

كَميشُ الإزارِ خارجٌ نصف ساقِه * بعيدٌ من السَّوْءات طَلاَّعُ أنْجُدِ

مثل قول الحجاج : الحجاج

أنا ابن جَلا وطلاَّعُ الثَّنايا * متى أضع العمامةَ تَعرِفونى

وقد يُحمل معناهم فى تشمير الثوب وسحبه واختلافهم فيه على وجهين : لعمرو بن معديكرب

١٠ أحدهما أن يَستحسن بعضهم ما يستقبح بعض ، والوجه الثانى يشبه أن يكون لتشمير الثوب موضع ولسحبه موضع كما قال عمرو بن معديكرب :

فيوماً ترانا فى الخُروز نَجرُّها * ويوماً ترانا فى الحديدِ عوابسا

ويوماً ترانا فى الثريدِ نَدوسُه * ويوماً ترانا نَكْسِر الكعك يابسا

وقال أعشى بكر لعمرو بن معديكرب : للأعشى

١٥ وإذا تجىء كتيبةٌ مكروهةٌ * ملمومةٌ يَخشى الكماة نِزالَها

كنتُ المقدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ * بالسيف تضربُ مُعْلَما أبطالَها

وقال مسلم بن الوليد فى يزيد بن مزيد خلاف هذا كلّه ، وهو : لمسلم بن الوليد

تراه فى الأمْن فى دِرْعٍ مُضاعفةٍ * لا يأمن الدهرَ أن يُدْعى على عجَلِ

ولما أنشده يزيد بن مزيد قال له : ألا قلت كما قال الأعشى . فأنشده البيتين ؛

٢٠ فقال : قوْلى أحسن من قوله ؛ إنه وصفه بالخرق ، وأنا وصفتُك بالحزم .

وقال عبد الملك بن مروان لأُسيلم بن الأحنف الأسدى : ما أحسن شىء مُدِحت به ؟ قال : قول الشاعر : لأسيلم فيما مدح به

أُسَيْلِمُ ذاكُم لا خَفاً بمكانِه * لعيْن تُرَجّى أو لأُذْن تَسمّع

من النَّفَر الشُّمِّ الذين إذا اعتزَوْا * وهاب رجالٌ حَلْقة الباب قَعْقَعوا
جلاَ الإذْفَر الأحوى من المسك فَرْقَه * وطيِّب دُهناً رأسَــــه فهو أنزع
إذا النَّفر السُّودُ اليمانونَ حاوَلوا * له حول بُرْدَيْه أدَقُّوا وأوسعوا

فقال عبد الملك : أحسن من هذا قول قيس بن الأسلت :

قد حصَّتِ البَيْضة رأسى فما * أطعم نوْماً غــــير تَهجاع ٥
أسعى على جُـل بنى مالك * كل امرئ فى شأنه ساعى

لبعضهم وقال بعضهم :

ســـألت المحبِّين الذين تحمَّلوا * تباريح هذا الحبِّ فى سالف الدهر
فقالوا : شفاء الحبِّ حُبٌّ يُزيله * لأخرى، وطولُ التمادى على الهجرِ

للحمدونى وقال الحمدونى ما هو أحسن من هذا المعنى فى ضدّه ، وهو قوله : ١٠

زعَموا أنّ من تشاغل بالحــــبِّ ســــلا عن حبيبه وأفاقا
كذَبوا ، ما كذا بلوْنا ولكن * لم يكونوا فيما أرى عُشَّاقا
كيف أسلو بلذةٍ عنك واللَّـــذاتُ يُحدِثْن لى إليك اشتياقا
كلما رُمْتُ سَلْوةً تُذهِب الحُزْ * نَ زادت قلبى عليك احتراقا

لكثير وقال كثيِّر عزّة : ١٥

أُريد لأنسى ذكرَها فكأنما * تمثَّل لى ليْلى بكلِّ سبيل !

للمجنون وقال بعض الناس : إن كان يحبها فلماذا ينسى ذكرها ؟ ألا قال كما قال مجنون بنى عامر :

فلاخفَّف الرحمنُ ما بى من الهوى * ولا قطع الرحمن عن حبِّها قلبى
فما سرَّنى أنى خلىٌّ من الهوى * ولو أنّ لى ما بين شرق إلى غرب ٢٠

وذهب أكثرهم أن بُعد العهد يُسلى المحب عن حبيبه ، وقالوا فيه :

إذا ما شئت أن تسْلو حبيباً * فأكثِر دونَه عدد الليالى

لابن الأحنف

وقال العباس بن الأحنف :

إذا كنت لا يُسليك عمن تحبّه ٭ تناءٍ ولا يَشفيك طولُ تلاقِ

فما أنت إلا مستعيرٌ حُشاشةً ٭ لمُهجةِ نفسٍ آذنتْ بفِراق

لكثير

وقال كثيِّر عزة :

٥ فإن تَسْلُ عنك النفسُ أو تَدعِ الهوى ٭ فباليأس تسلو عنك لا بالتَّجلُّدِ

لبشار

ومثله قول بشار :

من حُبّها أتمنى أن يُلاقيَنى ٭ من نحوِ بلدتِها ناعٍ فيَنعاها !

كيما أقول : فراقٌ لا لقاء له ٭ وتُضمِر النّفس يأساً ثم تسْلاها

وهذه المذاهب كلها خارجة فى معناها ، جارية فى مجراها .

لابن جندب

١٠ وقال عبد الله بن جندب :

ألا يا عباد الله ، هــذا أخوكم ٭ قتيــلا فهل منكم له اليومَ واترُ

خُــذوا بدمى إن مِتُّ كلَّ خريدةٍ ٭ مريضةِ جَفْنِ العين والطَّرْف ساهِرُ

لصريع الغوانى

وقال صريع الغوانى فى ضد هذا :

أدِيرا علىَّ الرّاح لا تشربا قبْلى ٭ ولا تطلبا من عند قاتلتِى ذَحْلى

١٥ وقول عبد الله بن جُندب أحسن فى هذا المعنى ؛ لأنه إنمـا أراد أن يدل على موضع ثأره واسم قاتله ، ولم يُرِد الطلب بالثأر ؛ ولأنه لا ثأر له .

وقد قال عبد الله بن عباس ؛ ونظر إلى رجل مدنف عِشْقاً : هذا قتيل الحبّ . لا عقلٌ ولا قوَدٌ .

للفرزدق

وقال الفرزدق وأراد مذهب ابن جندب فلم تؤاته رقة الطبع ، فخرج إلى

٢٠ جفاء القول وقبحه فقال :

يا أُخت ناجيَة بن سامةَ إننى ٭ أخشى عليكِ بَنِىَّ إن طلبوا دمى

لن يتركوكِ وقد قتلتِ أباهمُ ٭ ولو ارتقيت إلى السماء بسُلّمِ

لابن أخت تأبط شرا — وقال ابن أخت تأبط شرا يرثى خاله وقتلته هُذيل :

شامِسٌ فى القرّ حتى إذا ما * ذَكَت الشِّعْرَى فَبَرْدٌ وظِلّ

ظاعنٌ بالحزم حتى إذا ما * حَلّ حَلّ الحزمُ حيث يَحِلّ

لبعض الأعراب — أخذ معنى البيت الأول أعرابى فسهل معناه وحسن ديباجته ، فقال :

إذا نزل الشتاء فأنت شمْس * وإن نزل المَصيف فأنت ظلّ ٥

لابن هانئ — وأخذ معنى البيت الثانى الحسن بن هانئ فقال فى الخصيب :

فما جازَه جودٌ ولاحلّ دونَه * ولكنْ يصيرُ الجودُ حيث يصيرُ

لابن أبى حفصة — وقالوا فى الخيال فحيَّوه ورحّبوا به . فن ذلك قول مروان بن أبى حفصة :

* طرَقتْك زائرةً فحىِّ خيالَها *

وقال : ١٠

* طرَق الخيالُ فحيِّه بسلامِ *

وعلى هذا بُنيت أشعارهم ؛ وخالفهم جرير فطرد الخيال ، فقال :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلامِ

الطرفة — وأول من طرد الخيال طرفة فقال :

فقُل لخيالِ الحنظليّة ينقلبْ * إليها ، فإنى واصلٌ حبلَ مَن وَصلْ ١٥

الراعى — وأعجب من هذا قول الراعى الذى هجا الخيال فقال :

طاف الخيالُ بأصحابى فقلتُ لهم * أأُمُّ شَذْرة زارتْنى أمِ الغُولُ

لا مرحباً بابنةِ الأقيالِ إذ طرَقتْ * كأن محجَرَها بالقار مكْحول

امرؤ القيس — وقد يختلف معنى الشاعر أيضاً فى شعر واحد يقوله ، ألا ترى أنّ امرأ القيس

قال فى شعره : ٢٠

وإن تكُ قد ساءتْكِ منى خَليقة * فسُلّى ثيابى من ثيابكِ تَنْسُلِ

فوصف نفسه بالصبر والجلد والقوّة على التهالك ، ثم أدركته الرقة والاشتياق

فى البيت الذى بعده :

أغَرَّكِ منى أنّ حبّكِ قاتِلى * وأنكِ مهما تأمُرى القلبَ يفعل

مستدركا قوله فى البيت الأول :

* فسُلّى ثيابى من ثيابكِ تنسَلِ *

لأبى الشيص

٥ ولم يزل مَن تقدم من الشعراء وغيرهم مجمعين على ذمّ الغراب والتشاؤم به ، وكان اسمه مشتقا من الغُربة ، فسموه غرابَ البين ، وزعموا أنه إذا صاح فى الديار أقْوَتْ من أهلها ؛ وخالفهم أبو الشِّيص فقال ما هو أحسن من هذا وأصدق من ذلك كله ، قوله :

ما فرّق الأحبابُ بعْـ * ـد الله إلا الإبـــلُ

١٠ والناسُ يَلْحَون غرا * بَ البيْن لمّا جهلوا

وما إذا صاحَ غرا * بٌ فى الديار آحتَملوا

وما على ظهْــر غرا * ب البيْن تُطوى الرّحل

وما غــرابُ البيْن إ * لاّ ناقــة أو جمَــل

لبعضهم

وقال آخر فى هذا المعنى وذكر الإبل :

١٥ لحَى الوَجَى إذ كنّ عوْناً على النّوَى * ولا زال منهـا ظالع وكسيرُ

وما الشؤْمُ فى نَعْب الغراب ونَعْته * وما الشــؤْمُ إلا ناقة وبعــير

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

نَعَبَ الغرابُ فقلتُ أكذبُ طائرٍ * إن لم يُصدّقْه رُغاء بعــيرِ

رِدُّ الجِمالِ هو المحقّق للنّــوَى * بل شرُّ أحلاسٍ لهن وكور

٢٠ وقد يأتى من الشعر ما هو خارج عن طبقة الشعراء ، منفرد فى غرائبه وبديع صنعته ولطيف تشبيهه ، كقول جعفر بن جدار كاتب ابن طولون :

كم بين بارى وبين بَمّــا * وبين بَوْنٍ إلى دِمَّــا

مَن رَشاٍ أبيضِ التراقى ٭ أغيدَ ذى غُنّةٍ أحَمّا
وطَفلةٍ رخصةِ المَراقِى ٭ ليستْ تحلّى ولا تُسمّى
إلا وسِلكٌ من اللآلى ٭ يُعجِز مَن يُخرج المُعمّى
صُغرَى وكبرَى إلى ثلاثٍ ٭ مثل التَّعاليل أو أتمّا
وكم ببَمٍّ وأرض بَمٍّ ٭ وكم بِرَمٍّ وأرض رمّا
من طَفلةٍ بضّةٍ لَعوبٍ ٭ تلْقاك بالحُسنِ مُسْتَتِمّا
منهنّ رَيّا وكيف ريّا ٭ ريّا إذا لاقت المَشمّا
لو شمّها طائرٌ بدَوٍّ ٭ لخَرّ فى الترب أو لَهمّا
تَسحَبُ ثوبين من خَلوق ٭ قد أفنَيا زعفرانَ قُمّا
كأنما جُلّيا عليها ٭ من طيبِ ما باشرا وشمّا
فألفَيا زعفرانَ قُمٍّ ٭ فانغمَسا فيه واستحَمّا
فهى نَظير اسمِها المُعلّى ٭ يَفوحُ لا مِرطُها المُذمّا
هيْهات يا أختَ أهلِ بمٍّ ٭ غَلِطتُ فى الاسم والمُسمّى
لو كان هذا وقيل سمٌّ ٭ مات إذاً مَن يقول سَمّا
قد قلتُ إذ أقبلتْ تَهادَى ٭ كطلْعة البدر أو أتمّا
تُومِى بأُسْروعة وتُخفِى ٭ بالبُرْد مثل القداحِ حُمّا
لو كنتُ ممّن لكنتُ ممّا ٭ لكنّنى قد كبِرتُ عمّا ...
عاتبَنِى الدهرُ فى عِذارِى ٭ بأحرُفٍ فارعوَيتُ لمّا
قوّس ما كان مستقيمًا ٭ وابيضّ ما كان مُدْلَهِمّا
وكيف تَصبو الدُّمَى إلى مَن ٭ كان أخًا ثم صار عمّا
لى عنكِ يا أختَ أهلِ بَمٍّ ٭ شُغْلٌ بما قد دنَا مُهِمّا
فلستُ من وجهكِ المفدَّى ٭ ولستُ من قدّكِ المُحمّى

أذهلَني عنكَ خوفُ يومٍ * يَحيا له كلُّ من أَلَما
ما كَسَبَتْه يدايَ وهْماً * خيراً وشرًّا أَصبتُ ثَمَّا
تُحشَر فيه الجِنان زَفًّا * وتُحشَر النارُ فيه زَمَّا
تقولُ هٰذِى لطالِبِيها * هَيْتَ وهٰذِى لهم هَلُمَّا
٥ نفسيَ أَوْلى بأن أَذُمَّا * من أَمرِها كلَّ ما ٱستَذَمَّا
يا نفسُ كم تَخدَعين عما * بلُبس داجٍ وأكل لَمَّا
رعيتِ من ذي الحطام مَرْعًى * جمعتِ أَكْلاً له وذَمَّا
ويحكِ فاستيقِظى ليومٍ * يحيا له كلُّ من أَرَمَّا
ألم ترَىْ يونُسَ بن عبدِ الله * أعلى غدًا صامتاً فصُما
١٠ فى حُفرةٍ ما يُحيرُ حرْفًا * قد دُكَّ من فوقها وطُما
والمُزَنيَّ الذى إليـه * نَعشُو إذا دهْرنا ٱدلَهَمَّا
أخْفَى فؤادى له عزائى * لٰكنْ زَفيرى عليه نَمَّا
كأنما خُوِّفا نخافا * أو حُـذِّرا غاشماً فصُما
أقبل سهمٌ من الرزايا * فخَصَّ أعلامَنا وعَمَّا
١٥ دَكدَكَ منا ذُرا جبالٍ * شامخةٍ فى السماء شُما
وخَصَّنا دون مَن عليها * وزاد هما بنا وغَمَّا
قد قرُب الموتُ يا ابنَ أُمَّا * فبادرِ الموتَ يا ابن أُمَّا
وٱعلم بأنْ مَن عَصاكَ جهلا * من التُّقى لم يُطِعكَ هما
هو الهُدَى والرَّدى فإمَّا * أتيتَ آتى الرَّدى وإمَّا
٢٠ هأنذا فاعتـبِر بحالى * فى طَبَق مُوصدٍ مُعَمَّى
قد أسكنَتْنى الذنوبُ بيتاً * يخالُه الإلْفُ مُستحَمَّا
فهل إلى توبة سـبيلٌ * تكون فيها الهموم هَمَّا

فتشكر اللهَ لا ســـواهُ ٭ لعلَّ نعماه أن تتمّا
يا نفسُ جدّى ولا تميلِى ٭ فأفضـــلُ البرِّ ما استتما
أو ابحثى عن فُلِ ابن فُلٍّ ٭ ترَيْه تحت التراب رمّا
لبئس عبدٌ يروح بغياً ٭ مع المساوى تراه دَوْما
فى غمرة العيش لا يبالى ٭ أحْمَدَهُ الجـــار أم أذمّا ٥
كم بين هـــذا وبين عبدٍ ٭ يغدو خميصَ الحشى هضما
يقطع آناءه صـــلاة ٭ ودهره بالصلاح صوما
إن بهذا الكلامِ نُصْحاً ٭ إن لم يوافِ القلوبَ صُما
يا ربِّ لى ألفُ ألفِ ذنبٍ ٭ إن تعفُ يا ربِّ فاعفُ جمّا
فأبرِد بعفوٍ غليلَ قلبٍ ٭ كأنَّ فيه رسيسَ حُمَّى ١٠

وقال الغزّال :

لعمرىَ ما ملَّكتُ مِقْوَدِىَ الصِّبا ٭ فأمطُوَ للذاتِ فى السهل والوعرِ
ولا أنا ممن يؤثر اللهو قلبُه ٭ فأُمسِىَ فى سُكر وأصبح فى سكر
ولا قارعٌ باب اليهودىِّ مَوْهِناً ٭ وقد هجع الأقوام من شهوة الخمر
وأوثقَهُ الشيطان حتى أعارهُ ٭ من الغىِّ فى بحر أضل من البحر ١٥
أُغذُّ السُّرى فيها إذا الشَّرب أنكروا ٭ ورهنِى عند العِلج ثوبى من الفجر
كأنّىَ لم أسمع كتاب محمد ٭ وما جاء فى التنزيل فيه من الزجر
كفانىَ من كل الذى أعجبوا به ٭ قُلَيْلَةُ ماءٍ تستقى لى من النهر
فمنها شرابى إن عطشت وكل ما ٭ يُريد عيالى للعجين وللقِدر
بخبز وبَقل ليس لحماً وإننى ٭ عليه كثير الحمد لله والشكر ٢٠
فيا صاحبَ اللُّحيان والخمر هل ترى ٭ بوجهى إذا عاينتَ وجهى من ضُرٍّ
وبالله لو عُمِّرتُ تسعين حجةً ٭ إلى مثلها ما اشتقت فيها إلى خمر

ولا طربتْ نفسى إلى مزهر ولا * تحنَّنَ قلبى نحو عود ولا زَمْر
وقد حدثونى أن فيها مرارةً * وما حاجة الإنسان فى الشرب للمرّ
أخى عُدَّ ما قاسيته وتقلبت * عليك به الدنيا من الخير والشر
فهل لك فى الدنيا سوى الساعة التى * تكون بها السراء أو حاضرُ الضر
٥ فما ساق منها لا يُحس ولا يُرى * وما لم يكن منها عِمِىٌّ عن الفكر
فطوبى لعبدٍ أخرج الله روحَه * إليه من الدنيا على عمل البر
ولكننى حُدِّثت أنّ نفوسهم * هنالك فى جاه جليل وفى قدر
وأجسادهم لا يأكل التُّرب لحمها * هنالك لا تبلى إلى آخر الدهر
وقال أيضا :
١٠ كتبت وشوقٌ لا يفارق مُهجتى * ووجدى بكم مستحكم وتذكرى
بقرطبةٍ قلبى وجسمى ببلدة * نأيت بها عن أهل ودّى ومعشرى
سقى الله من مزن السحائب ثرَّةً * دياركم اللاتى حوت كل جُؤذر
بحق الهوى أقر السلام على التى * أهيم بها عشقا إلى يوم محشرى
لئن غبت عنها فالهوى غير غائب * مقيم بقلب الهائم المتفطر
١٥ كأن لم أبت فى ثوبها طول ليلة * إلى أن بدا وجه الصباح المنَّورِ
وعانقت غُصناً فيه رمّان فضّة * وقبلتُ ثغراً ريقه ريق سُكر
أأنسى ولا أنسى عناقك خالياً * وضمّى ونقلى نظم دُرّ وجوهر
فواحزنى أن فرّق الدهر بيننا * وكدّر وصلا منك غيرَ مكدّرِ
لقد غرّرت نفسى بحبك ضلّةً * ولو علمت عُقبى الهوى لم تغرّر
٢٠ بكيت فما أغنى البكا عند صحبتى * وشوقى إلى رئم من الإنس أحور
سلام سلام ألف ألف يكرر * ويا حاملا عنى الرسالة كرِّر
ألا يا نسيم الريح بلّغ سلامنا * وصفْ كلَّ ما يلقى الغريب وخبّر

وقل لشعاع الشمس بلّغ تحيتى * تحيّتَكَ وأقرأها على آل جعفر

وقال أيضا :

أقر السلام على إلفٍ كَلِفتُ به * قدرُمْت صبراً وطولُ الشوق لم يرم

ظبىٌ تباعدَ عن قربى وعن نظرى * فالنفسُ والهةٌ من شدة الألم

كنا كرُوحين فى جسم غذاؤهما * ماء المحبة من هامٍ ومنسجم ٥

إلفين هذا بهذا مغرم كلِفٌ * لا واحدٌ فى الهوى منا بمتّهم

لله تلك الليالى والسرور بها * كأنما أبصرتها العين فى الحلم

ففرق الدهر شملا كان ملتئما * منا وجمّع شملا غير ملتئم

ما زلت أرعى نجوم الليل طالعةً * أرجو السلوّ بها إذ غِبتُ عن نجمى

نجم من الحسن ما يجرى به فلك * كأنه الدر والياقوت فى النظم ١٠

ذاك الذى حاز حُسنا لا نظير له * كالبدر نوراً علا فى منزل النعم

وقد تناظر والبِرْجيس فى شرفٍ * وقارن الزُّهرةَ البيضاء فى تَوم

فذاك يُشبهه فى حُسن صورته * وذا يزيد بخط الشعر والقلم

أشكو إلى الله ما ألقى لفُرقته * شكوى محبٍ سقيم حافظ الذمم

لو كنت أشكو إلى صمّ الهضاب إذاً * تفطرتْ للذى أبديه من ألم ١٥

يا غادراً لم يزل بالغدر مُرتديا * أين الوفاء أيْنَ لى غير محتشم

إن غاب جسمُك عن عينى وعن نظرى * فما يغيب عن الأسرار والوهم

إنى سأبكيك ما ناحت مُطوّقة * تبكى أليفا على فرع من النَّشم

مايجوز فى الشعر مما لايجوز فى الكلام

لأبى حاتم

قال أبو حاتم : أُبيح للشاعر مالم يُبحْ للمتكلم ، من قصر الممدود ، ومدّ ٢٠
المقصور ، وتحريك الساكن ، وتسكين المتحرك ، وصرف ما لا ينصرف ، وحذف

الكلمة مالم تلتبس بأخرى ، كقولهم : فل ، من فلان ؛ وحَم ، من حمام .

لبعض الشعراء

قال الشاعر :

وجاءتْ حوادثُ من مِثلِها * يقال لمثلِك : ويهـاً فُلُ

لمسلم

وقال مسلم بن الوليد :

٥ سلِ الناسَ إنى سائلُ الله وحدهُ * وصائنُ وجهى عن فلانٍ وعن فل

لبعضهم

وقال آخر :

* دُعاء حماماتٍ تُجاوبُها حَم *

ومن المحذوف أيضا قول الشاعر :

لها أشاريرُ من لحمٍ تُتمّره * من الثّعالى ووخْزٌ من أرانيها

١٠ يريد « من الثعالب » . ومثله قول الشاعر :

* ولضَفادى جمّه نقانقُ *

يريد « الضفادع »

لكعب

ومن المحذوف قول كعب بن زهير :

ويْلُمها خلةً لو أنها صدقتْ * فى وعدها أولو أنّ النُّصح مقبولُ

١٥ يريد : ويل لأمها . ومنه قولهم : لاهِ أبوك ، يريدون : لله أبوك . وقال الشاعر :

لاهِ ابنُ عمّـكَ لا يخا * فُ المبدياتِ من العواقِبْ

لزهير

وكذلك الزيادة أيضا إذا احتاجوا إليها فى الشعر ، فمن ذلك قول زهير :

ثم استمرُّوا وقالوا إنّ موعِدَكم * ماءٌ بشرقىّ سلمى فَيْدُ أوْ رَكَكُ

قال الأصمعى : سألت نجيبات فيد عن ركك فقيل : ماء هاهنا يسمى رَكّا ؛

٢٠ فعلمت أن زهيرا احتاج فضعّف .

للقطامى

ومنه قول القطامى :

وقولُ المرء ينفذ بعد حينٍ * مواضع ليس ينفذها الإبارُ

ومثله قولهم : كلكال ، من كلكل . ونظير هذا كثير فى الشعر لمن تتبعه .

وأما قصرهم الممدودَ فجائز فى أشعارهم ، ومدّ المقصور عندهم قبيح .

لحسان — وقد يُستجاد فى الشعر على قبحه ، مثل قول حسان بن ثابت :

قَفاؤُكَ أَحْسَنُ من وَجْهِه * وأُمُّكَ خيرٌ من المُنْذِرِ

لبعضهم — وأنشد أبو عبيدة : ٥

يالَكَ من تَمرٍ ومن شِيشـاءِ * يَنْشَبُ فى الحلْقِ وفى اللَّهاءِ

فمدّ اللها ، وهو جمع لهاة . كما قالوا : قطاة وقطاً ، ونواة ونوًى .

لبيد — وأما تحريك الساكن وتسكين المتحرك ، فمن ذلك قول لبيد بن ربيعة :

تَرّاكُ أمكِـنةٍ إذا لم أرضَها * أو يرتَبِطْ بعضَ النُّفوسِ حِمامُها

لامرئ القيس — ومثله قول امرئ القيس : ١٠

فاليومَ أشرَبْ غيرَ مُستحقِبٍ * إثماً من الله ولا واغِلِ

لأمية — وقال أمية بن أبى الصلت :

تأبَى فما تطلُعْ لهم فى وقتِها * إلا مُعَذَّبةً وإلا تُجْـلَدُ

ومن قولهم فى تحريك الساكن :

اِضربَ عنـك الهُمومَ طارِقَها * ضَربَكَ بالسَّوْطِ قونَسَ الفرَسِ ١٥

لابن مرداس — وأما صرف مالا ينصرف عندهم فكثير ، والقبيح عندهم أن لا يُصرف المنصرف ، وقد يستجاد فى الشعر على قبحه ؛ قال عباس بن مرداس :

وما كان بدرٌ ولا حابسٌ * يفُوقانِ مِرْداسَ فى المَجمَعِ

ومن قولهم فى تسكين المتحرك وقد استشهد به سيبويه فى كتابه :

عجِبَ النـاسُ وقالوا * شِعرُ وضّاحِ اليمـانى ٢٠

إنمـا شِعرِىَ قَنْدٌ * قد خُلِطْ بجُلْجُـلانِ

ولو حَرّكتَ « خلط » اجتمع خمس حركات .

باب ما أدرك على الشعراء

امرئ القيس

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : أدركتِ العلماء بالشعر على امرئ القيس قوله :

أغرّكِ منّى أنّ حُبّكِ قاتِلى ٭ وأنكِ مَهما تأمُرِى القلبَ يَفعَلِ

٥ وقالوا : إذا لم يغرّ هذا فما الذى يغرّ ؟ ومعناه فى هذا البيت يناقض البيت الذى قبله حيث يقول :

وإن كنت قد ساءتْكِ منى خَليقَةٌ ٭ فَسُلّى ثِيابى من ثيابِكِ تَنسَلِ

لأنه ادّعى فى هذا البيت فضلا للتجلد وقوة الصبر بقوله :

٭ فسلّى ثيابى من ثيابك تنسَلِ ٭

١٠ وزعم فى البيت الثانى أنه لا تحمُّل فيه للصبر ولا قوة على التمالك بقوله :

٭ وأنكِ مهما تأمرِى القلبَ يَفعلِ ٭

وأقبحُ من هذا عندى قولُه :

فظلّ العَذارَى يَرتَمِين بلَحمِها ٭ وشَحمٍ كهُداب الدِّمقْس المفتلِ

زهير

ومما أدرك على زهير قوله فى الضفادع :

١٥ يَخرُجنَ من شَرَباتٍ ماؤها طَحِلٌ ٭ على الجذُوعِ يَخفْن الغمّ والغرَقا

وقالوا : ليس خروج الضفادع من الماء مخافة الغم والغرق ، وإنما ذلك لأنهن يبِتن فى الشطوط .

ومما أُدرك على النابغة قوله يصف الثور :

يَحيدُ عن أستَنٍ سودٍ أسافلهُ ٭ مثلَ الإماء الغوادى تحمِلُ الحُزَما

٢٠ قال الأصمعى : إنما توصف الإماء فى مثل هذا الموضع بالرواح لا بالغدوّ ؛ لأنهن يجئن بالحطب إذا رُحن . قال الأخنس التغلبى :

تظَلّ بها رابدُ النّعامِ كأنها ٭ إماءٌ يَرُحن بالعشِىّ حواطبُ

وأخذ عليه فى وصف السيف قوله :

يَقُدُّ السَّلوقِيَّ المضاعَف نسجُه ٭ ويوقِد بالصُّفّاح نار الحباحِبِ

فزعم أنه يقد الدرع المضاعفة ، والفارس ، والفرس ، ثم يقع فى الأرض فيقدح النار من الحجارة ؛ وهذا من الإفراط القبيح . وأقبح عندى من هذا فى وصف المرأة قوله : ٥

ليست منَ السُّود أعقاباً إذا انصرفتْ ٭ ولا تبيـــعُ بأعلى مـــكة البُرَما

وممـا أُخذ عليه قوله :

خطاطيف حُجْنٌ فى حِبالٍ متينةٍ ٭ تُمَدُّ بهـا أيدٍ إليـك نوازعُ

فشبه نفسه بالدّلو ، وشبه النعمان بخطاطيف حجن ، يريد خطاطيف معوجة تمدّ بها الدلو . وكان الأصمعى يكثر التعجب من قوله : ١٠

وعيّرتنى بنو ذُبيانَ خَشيتَه ٭ وهل علىّ بأن أخشاك من عارِ

المتلمس — وممـا أدرك على المتلمّس قوله :

وقد أتناسَى الهمَّ عند احتضارِه ٭ بناجٍ عليـه الصَّيعرية مُكْدَم

والصيعرية : سمة النوق ، فجعلها صفة للفحل ؛ وسمعه طرفة وهو صبي ينشد هذا البيت ، فقال : استنْوَق الجمل ! نضحك الناس ، وصارت مثلا . ١٥

أُخذ عليه أيضاً قوله :

أحارِثُ إنا لو تُساط دماؤنا ٭ تزايلْن حتى لا يمسّ دمٌ دما

وهذا من الكذب المحال .

طرفة — وممـا أدرك على طرفة قوله :

أسَـــدُ غِيلٍ فإذا ماشربوا ٭ وهبُوا كل أمونٍ وطِمِرّْ ٢٠

ثم راحوا عَبِقَ المسك بهم ٭ يَلحَفون الأرض هُدّابَ الأُزُرْ

فذكر أنهم يُعطون إذا سكروا ، ولم يشترط لهم ذلك إذا صحوا كما

قال عنترة:

وإذا شربتُ فإننى مُستهلكٌ * مالى، وعِرْضى وافرٌ لم يُكْلَم
وإذا صحوتُ فما أُقصّر عن نَدًى * وكما علِمتِ شمائلى وتكرُّمى

عدى

وممــا أُدرك على عدى بن زيد قوله فى صفة الفرس:

٥ فصافَ يُفرّى جُلَّه عن سَراتِهِ * يبُــذُّ الجيادَ فارهاً مُتتابعاً

ولا يقال للفرس فاره، وإنمــا يقال له جواد وعتيق، ويقال للبِرْذَوْن والبغل والحمار: فاره.

وممــا أُدرك عليه وصفه الخمر بالخضرة، ولا يعلم أحد وصفها بذلك؛ فقال:

والمشرفُ الهندىُّ يسقى به * أخضرَ مطموثاً بماءِ الخَريص

والأعشى

١٠ وممــا أدرك على أعشى بكر قوله:

وقد غَدوْتُ إلى الحانوت يتْبعُنى * شاوٍ مِشَلٌّ شَلولٌ شُلْشُلٌ شوِلُ

وهذه الألفاظ الأربعة فى معنى واحد.

لبيد

وممــا أدرك على لبيد قوله:

ومَقــام ضيِّق فرّجْتُه * بمقامى ولســانى وجــدَلْ
١٥ لو يقوم الفيل أو فيّالُه * زَلّ عن مثلِ مَقامى وزَحلْ

فظن أن الفيّال أقوى الناس، كما أن الفيل أقوى البهائم.

عمرو بن أحمر

وممــا أُدرك على عمرو بن أحمر الباهلى قوله يصف المرأة:

لم تَدْرِ ما نَسْجِ اليَرنْدجِ قبلَها * ودِراسُ أعوصَ دارسٍ متجدِّدِ

اليرندج: جلود سود. فظن أنه شىء يُنسج، ودراس أعوص: يريد أنها
٢٠ لم تُدارس الناس عويص الكلام الذى يخفى أحيانا ويتبين أحيانا. وقد أتى ابن أحمر فى شعره بأربعة ألفاظ لم تعرف فى كلام العرب: منها أنه سمى النار ماموسة، ولا يعرف ذلك، قال:

* كما تطايحَ عن مامُوسةَ الشّررُ *

وسمى حُوار الناقة بابوساً ، ولا يعرف ذلك ، فقال :

حنّتْ قلوصى إلى بابوسها جزَعا * فما حنينُك أمّا أنت والذكر

وفى بيت آخر يذكر فيه البقرة :

* . . . وبنّس عنها فرْقَدٌ خَصِر *

أى تأخر ، ولا يُعرف التبنس ، وقال : ٥

* وتقنّعَ الحِرْباء أرْنَتَه *

يريد مالُفّ على الرأس ، ولا تعرف الأرنة إلا فى شعره .

نصيب — ومما أدرك على نُصيب بن رَباح قوله :

أهيم بِدَعْدٍ ما حَييت فإن أمت * فواكَبدى من ذا يَهيم بها بَعدى

تلهف على من يهيم بها بعده . ١٠

الراعى — ومما أُدرك على الراعى قوله فى المرأة :

تكْسو المفارقَ واللَّبّات ذا أرَجٍ * من قُصْبِ مُعْتلِفِ الكافور دَرّاجِ

أراد المسك ، لجمله من قصب ، والقصب : المعى لجعل المسك من قصب دابة تعتلف الكافور فيتولد عنها المسك .

جرير — ومما أدرك على جرير قوله فى بنى الفَدَوْكس رهط الأخطل : ١٥

هذا ابن عمى فى دمشقٍ خليفةٌ * لو شئتُ ساقكُمُ إلىّ قطينا

القطين فى هذا الموضع : العبيد والإماء . وقيل له : أبا حَزرة ، ماوجدت فى تميم شيئاً تفخر به عليهم حتى فخرت بالخلافة ؟ لا والله ما صنعت فى هجائهم شيئاً .

الفرزدق — ومما أدرك على الفرزدق قوله : ٢٠

وعض زمانٌ يابن مَرْوان لم يَدَعْ * من المال إلا مُسْحتاً أو مُجلّفُ

وقد أكثر النحويون الاحتيال لهذا البيت ولم يأتوا فيه بشىء يُرضى .

ومثل ذلك قوله :

غَداةَ أحلَّت لابن أصرمَ طعْنةٌ * حُصينٍ عبيطاتِ السدائفِ والخمر

وكان حصين بن أصرم قد حلف ألا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثأره ؛ فأدركه فى هـذا اليوم الذى ذكره ؛ فقال : عبيطات السدائف . فنصب « عبيطات السدائف » ورفع « الخمر » ، وإنمـا هى معطوفة عليها وكان وجهها النصب ، فكأنه أراد : وأحلَّت له الخمر .

الأخطل

ومما أدرك على الأخطل قوله فى عبد الملك بن مروان :

وقد جَعَـــل الله الخلافة منهم * لأبيَض لاعارِى الخِوانِ ولا جَدْبِ

وهذا مما لا يُمدح به خليفة .

وأُخذ عليه قوله فى رجل من بنى أسد يمدحه ، وكان يعرف بالقَين ولم يكن قينا ، فقال فيه :

نعمَ المجير سماكٌ من بنى أسدٍ * بالمرْج إذ قتلت جيرانَها مُضَرُ

قد كنتُ أحسبُه قيْناً وأُنبؤه * فالآن طيّر عن أثوابِه الشّرر

وهذا مدح كالهجاء .

ذى الرمة

ومما أُدرك على ذى الرُّمة :

تُصْغِى إذا شدّها بالكور جانحةً * حتى إذا ما استوى فى غَرْزِها تَثِبُ

وسمعه أعرابى ينشده فقال : صرع والله الرجل ! ألا قلت كما قال عمك الراعى :

وواضـعةٍ خـدَّها للزِّما * م فالخدُّ منهـا له أصْعَر

فلا تَعْجِلِ المرء قبل الرُّكو * ب وهى بركْبتِه أبصرُ

وهى إذا قام فى غرْزِها * كمثْلِ السفينةِ أو أوْقر

ومما أدرك عليه أيضا قوله :

حتى إذا دوّمَت فى الأرض راجعَه * كِبرٌ ولو شاد نجّى نفسَه الهربُ

قالوا : التدويم إنما يكون فى الجوّ ، يقال : دوم الطائر فى السماء ، إذا حلق واستدار ؛ ودوّى فى الأرض ، إذا استدار فيها .

أبو الطمحان

وممّا أدرك على أبى الطُّمحان القينى قوله :

لمّا تحمّلت الحمولُ حسبتُها ۞ دوْمًا بأيْلةَ ناعماً مَكموما

الدوم : شجر المُقل ، وهو لا يُكمّ ، وإنما يكم النخل . ٥

العجاج

وممّا أخذ على العجاج قوله :

كأنّ عينيه من الغُئورِ ۞ قَلْتانِ أوحَوْجَلَتا قارُورِ

صَيّرتَا بالنَّضْح والتصْيير ۞ صلاصلَ الزيتِ إلى الشُّطور

الحوجلتان : القاروتان ، جعل الزجاج ينضح ويرشح .

رؤبة

وممّا أدرك على رؤبة قوله : ١٠

كنتم كمن أدخَل فى جُحْرٍ يَدا ۞ فأخطأ الأفعى ولاقى الأسْودا

جعل الأفعى دون الأسود ، وهى فوقه فى المضرّة . وأخذ عليه فى قوله فى وصف الظليم :

وكلُّ زَجّاء سُخام الخَمْلِ ۞ تَبرِى له فى زَعِلات خُطْل

فجعل للظليم عدّة إناث ، كما يكون للحمار ؛ وليس للظليم إلا أنثى واحدة . ١٥

وأخذ عليه قوله يصف الراعى :

۞ لا يَلتوى من عاطِس ولا نَغَقْ ۞

إنما هو النغيق والنُّغاق وإنما يصف الرامى ؛ وأدرك عليه قوله :

أقفرتِ الوعْثاء والعَثاعثُ ۞ من أهلها والبُرَقُ البَرارثُ

إنما هى البِراث جمع بَرث ، وهى الأرض اللينة . وأدرك عليه قوله : ٢٠

۞ ياليْتنا والدهرَ جرْىُ السُّمَّهِ ۞

إنما يقال : السُّمّهَى : أى فى الباطل .

وأخذ عليه قوله :

* أو فضةٌ أو ذهَب كِبريتُ *

قال : فسمع بالكبريت أنه أحمر فظنّ أنه ذهب .

ومما يستقبح من تشبيهه قوله فى النساء :

٥ * يَلبسن من لِين الثّياب نِيما *

والنِّيم : الفرْو القصير ، وأخذ عليه قوله فى قوائم الفرس :

* يَهوِينَ شَتّى ويَقَعْن وقْفا *

وأنشده مسلم بن قتيبة ، فقال له : أخطأت يا أبا الجحاف ، جعلتَه مقيّدا . قال له رؤبة : أدنِنى من ذنَب البعير .

١٠ ومما أُدرك على أبى نُخيلة الراجز قوله فى وصف المرأة : أبو نخيلة

مُرَبَّةٌ لم تلبس المُرَقّقا * ولم تَذقْ من البُقول الفُسْتُقا

فجعل الفستق من البقول ، وإنما هو شجر .

ومما أُدرك على أبى النجم قوله فى وصف الفرس : أبو النجم

* تَسبح أُخراه ويَطفو أوّلُهْ *

١٥ قال الأصمعى : إذا كان كذلك فحمار الكسّاح أسرع منه ؛ لأنّ اضطراب مؤخره قبيح ؛ وإنما الوجه فيه ما قال أعرابى فى وصف فرس أبى الأعور السلمى :

مَرّ كلمع البرْق سامٍ ناظرُهْ * تَسْبح أُولاه ويَطفو آخرهْ

فما يَمَسُّ الأرضَ منه حافرهْ

وأُخذ عليه أيضاً فى الورود قوله :

٢٠ جاءت تَساقَى فى الرعِيل الأوّلِ * والظِّلُّ عن أخفافها لم يَفضُلِ

فوصف أنها وردت فى الهاجرة ، وإنما خير الورود غلساً والماء بارد ، كما قال الآخر :

* فوردَتْ قبْل الصباح الفاتق *

لبيد — وكقول لبيد بن ربيعة العامرى :

* إنّ مِن ورْدِى لتفليس النّهلْ *

وقال آخر :

* فورَدنَ قبْل تبيُّن الألوانِ *

لبشار — وأنشد بشار الأعمى قولَ كثيّر عزة : ٥

ألا إنمـا ليلى عصا خيزُرانةٍ * إذا غمزوها بالأكفّ تَلين

فقال : لله أبو صخر ! جعلها عصا خيزرانة ، فوالله لو جعلها عصا زبد لهجّنها ، ألا قال كما قلتُ :

وبيْضاء المحاجرِ من مَعَدّ * كأنّ حديثَها قِطَعُ الجِمانِ

إذا قامت لحاجتِها تثنّت * كأنّ عظامَها من خيزُران ١٠

العتابى والرشيد — ودخل العتابىّ على الرشيد فأنشده فى وصف الفرس :

كأنّ أذنيْه إذا تَشوّفا * قادمةً أو قلمـا محرّفا

فعلم الناس أنه لحن ، ولم يهتد أحد منهم إلى إصلاح البيت غير الرشيد ؛ فإنه قال : قل :

* تَخال أُذنيه إذا تشوّفا * ١٥

والراجز وإن كان لحن فإنه أصاب التشبيه .

كثير وابن أبى عتيق وابن معاذ — حدّث أبو عبد الله محمد بن عرفة بواسط ، قال : حدّثنى أحمد بن محمد بن يحيى عن الزبير بن بكار عن سليمان بن عباس السعدى عن السائب راوية كثيّر عزة ، قال : قال لى كثير عزة يوما : قم بنا إلى ابن أبى عتيق نتحدث عنده . قال : فجئناه فوجدنا عنده ابن معاذ المغنى ، فلمـا رأى كثيّراً قال لابن أبى عتيق : ٢٠ ألا أغنيك شعر كثير عزة ؟ قال : نعم . فغناه :

أبائنةٌ سُـــعْدَى نعم ستبينُ * كما أنبتّ من حبل القَرين قرينُ

أألْ زُمَّ أجمالٌ وفارَق جِيرةٌ * وصاح غرابُ البيْن أنت حزينُ
كأنك لم تَسمع ولم تَرَ قبلها * تفرُّقَ أُلّافٍ لهن حنين
فأخلَفْنَ ميعادى وخُنّ أمانتى * وليس لمن خان الأمانةَ دِين

فالتفت ابن أبى عتيق إلى كثيِّر فقال : وللدين صحبتهم يابن أبى جمعة ! ذلك
٥ والله أشبه بهن وأدعى للقلوب إليهن ، وإنما يوصفن بالبخل والامتناع ، وليس
بالوفاء والأمانة ؛ ذو الرقيّات أشعرُ منك حيث يقول :

حبّذا الإدلالُ والغَنَجُ * والتى فى طـرْفها دَعَجُ
والتى إن حدّثت كَذَبتْ * والتى فى ثغـرها فَلَج
خَبّرونى هل على رجُلٍ * عاشـق فى قُبلةٍ حَرَج

١٠ فقال كثيِّر : قم بنا من عند هذا .

عمارة وابن أبى السمط

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، قال : إنى بباب المأمون إذ خرج
عبد الله بن السمط ، فقال لى : علمتُ أنّ أمير المؤمنين على كماله لا يعرف
الشعر ! قلت له : وبِمَ علمتَ ذلك ؟ قال : أسمعتُه الساعة بيتاً لو شاطرنى
مُلْكه عليه لكان قليلا ، فنظر إلى نظراً شزْراً كاد يصطلمنى . قلت له :
١٥ وما البيت ؟ فأنشد :

أضحَى إمامُ الهدَى المأمون مُشتغلا * بالدِّين ، والناسُ بالدنيا مَشاغِيلُ

قلت له : والله لقد حلم عليك إذ لم يؤدّبك عليه ؛ ويلك ! وإذا لم يشتغل
هو بالدنيا فمن يدبّر أمرها ؟ ألا قلتَ كما قال جدّى فى عبد العزيز بن مروان :

فلا هو فى الدنيـا مُضيعٌ نصيبَه * ولا عَرَضُ الدنيا عن الدِّين شاغِلُهْ

٢٠ فقال : الآن علمتُ أنى أخطأت .

البعيث وجملة من الشعراء والوليد

الهيثم بن عدى قال : دخل رجل من أصحاب الوليد بن عبد الملك عليه
فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد رأيت ببابك جماعة من الشعراء لا أحسبهم اجتمعوا

بباب أحد من الخلفاء ، فلو أذنتَ لهم حتى يُنشدوك ! فأذن لهم ، فأنشدوه ، وكان فيهم الفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، والأشهب بن رميلة ، وتُرك البعيث فلم يأذن له ، فقال الرجل المستأذن لهم : لو أذنت للبعيث ! فلم يأذن له ، وقال : ليس كهؤلاء ؛ إنما قال من الشعر يسيراً . قال : والله يا أمير المؤمنين إنه لشاعر . فأذن له ، فلما مثل بين يديه ، قال : يا أمير المؤمنين : إن هؤلاء ومن ببابك قد ظنوا أنك إنما أذنت لهم دونى لفضلٍ لهم علىّ . قال : أولستَ تعلم ذلك ؟ قال : لا والله ، ولا علمه الله لى ، قال : فأنشِدْنى من شعرك . قال : أما والله حتى أُنشدك من شعر كل رجل منهم مايفضحه ! فأقبل على الفرزدق ، فقال : قال هذا الشيخ الأحمق لعبد بنى كليب :

بأىِّ رِشاء يا جريرُ وماتِحٍ * تدلّيتَ فى حوماتِ تلك القماقِمِ

فجعله تَدَلّى عليه وعلى قومه من علٍ وإنما يأتيه من تحته لو كان يعقل .

وقد قال هذا كلبُ بنى كليب :

لَقومىَ أحمَى للحقيقةِ منكم * وأضربُ للجبّار والنقْعُ ساطعُ

وأوثقُ عنـدَ المردفاتِ عشيّةً * لحاقا إذا ما جرد السّيف لامعُ

فجعل نساءه لايثقن بلحاقه إلا عشيةً وقد نُكحن وفُضحن .

وقال هذا النصرانىّ ومدح رجلا يسمى قينا فهجاه ولم يشعر ، فقال :

قد كنتُ أحسَبهُ قيناً وأنبَؤُه * فالآن طيّرَ عن أثوابه الشّررُ

وقال ابن رُمية ودفع أخاه إلى مالك بن رِبعىّ بن سلمى فقتل ، فقال :

مددْنا وكانت ضلةً من حُلومِنا * تبدى إلى أولادِ ضمرةَ أقطعا

فمن يرجو خيره وقد فعل بأخيه ما فعل ؟ فجعل الوليد يَعجب من حفظه لمثالب القوم وقوة قلبه ؛ وقال له : قد كشفتَ عن مساوى القوم ، فأنشِدنى من شعرك . فأنشده ، فاستحسن قوله ووصله وأجزل له .

ابن هانئ

ومما عِيبَ على الحسن بن هانئ قوله فى بعض بنى العباس :

كيف لا يُدنيكَ من أملٍ * مَن رسولُ اللهِ مِن نفرِه

فقالوا : من حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يضاف إليه ولا يضاف هو إلى غيره ؛ ولو اتسع متسع فأجازه لكان له مجازٌ حَسَن ، وذلك أن يقول ٥ القائل من بنى هاشم لغيره من أبناء قريش : منا رسول الله صلى الله عليه وسلم . يريد أنه من القبيلة التى نحن منها ، كما قال حسان بن ثابت :

وما زال فى الإسلامِ من آل هاشم * دعائمُ عِــزٍّ لا تُرامُ ومفْخرُ

بهــاليلُ منهم جَعفرٌ ، وابن أمّه * علىٌّ ، ومنهم أحمــدُ المتخَيّرُ

فقال : منهم ، كما قال هذا : من نفره .

١٠ ومما أُدرك عليه قوله فى البعير :

* أخنسُ فى مثلِ الكظامِ مِخطمُهْ *

والأخنس : القصير المشافر ، وهو عيب له ؛ وإنما توصف المشافر بالسبوطة .

أبو ذؤيب

ومما أدرك على أبى ذؤيب قوله فى وصف الدُّرّة :

فجاء بها ما شئتَ من لطَميّةٍ * يدورُ الفُراتُ فوقها وتَموجُ

١٥ قالوا : والدُّرة لا تكون فى الماء الفرات إنما تكون فى الماء المالح .

جرير وابن لجأ

اجتمع جرير بن الخطفى وعمر بن لَجأ التيمى عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة ، فأنشده عمر بن لجأ أرجوزته التى يقول فيها :

تصطكُ ألحِيها على دِلائها * تلاطمَ الأزْدِ على عطائها

حتى انتهى إلى قوله :

٢٠ تُجَرُّ بالأهونِ من إدنائها * جرَّ العجوزِ الثِّنْىَ من خفائها

فقال جرير : ألا قلت :

* جرّ الفتاةِ طرْفَىْ ردائها *

فقال . والله ما أردتُ إلا ضَعف العجوز ؛ وقد قلت أنت أعجبَ من هذا ، وهو قولك :

وأوثقُ عند المردفاتِ عشيّةً * لحاقاً إذا ما جرّدَ السيفَ لامعُ

والله لئن لم يُلحقن إلا عشية ، ما لحقن حتى نُكحن وأحبلن . ووقع الشر بينهما .

ابن أبي ربيعة والأحوص ونصيب وكثير

٥ وقدم عمر بن أبي ربيعة المدينة ، فأقبل إليه الأحوص ونصيب ، فجعلوا يتحدثون ، ثم سألهما عمر عن كثيّر عزة ، فقالوا : هو ههنا قريب . قال : فلو أرسلنا إليه ! قالا : هو أشد بأوا من ذلك ! قال : فاذهبا بنا إليه . فقاموا نحوه ، فألفوه جالسا فى خيمة له ، فوالله ما قام للقرشى ولا وسع له ؛ فجعلوا يتحدثون ساعة ، فالتفت إلى عمر بن أبي ربيعة ، فقال له : إنك لشاعر ، لولا أنك تشبّب ١٠ بالمرأة ثم تدعها وتشبّب بنفسك ! أخبرنى عن قولك :

ثمّ اسبَطرّتْ تشتدُّ فى أثرى * تسألُ أهل الطّوافِ عن عمرِ

والله لو وصفت بهذا هرةَ أهلك لكان كثيرا ؛ ألا قلت كما قال هذا ، يعنى الأحوص :

أدورُ، ولولا أن أرى أمّ جعفرٍ * بأبياتكم ما دُرتُ حيث أدورُ

١٥ وما كنت زوّاراً ولكنّ ذا الهوى * وإنْ لم يزرْ لا بدّ أن سيَزور

قال : فانكسرت نخوة عمر بن أبي ربيعة ودخلت الأحوص زهْوة ، ثم التفت إلى الأحوص فقال : أخبرنى عن قولك :

فإن تَصِلِى أصلْكِ وإن تبيني * بهجْرك بعد وصْلِك ما أبالى

أما والله لو كنت حرًّا لباليت ولو كُسر أنفك : ألا قلت كما قال هذا الأسود ٢٠ وأشار إلى نصيب :

بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحَل الركبُ * وقل إن تمَلّينا فما ملّكِ القلبُ

قال : فانكسر الأحوص ودخلت نُصيبا زهوة ؛ ثم التفت إلى نصيب فقال له :

أخبرنى عن قولك :

أهيمُ بِدعدٍ ما حييتُ فإن أمُتْ * فواكبِدى مَن ذا يَهيم بها بَعدى !

أهمَّك ويحك من يفعلُ بها بعدك ؟ فقال القوم : الله أكبر ! استوت الفِرق قوموا بنا من عند هذا .

كثير وسكينة

٥ ودخل كثيِّر عزة على سُكينة بنت الحسين ، فقالت له : يابن أبى جمعة ، أخبرنى عن قولك فى عزة :

وما روْضةٌ بالحَزْنِ طيّبةُ الثرى * يَمجُّ النّدى جَثجاثُها وعَرارُها

بأطيبَ من أرْدانِ عزّة مَوهِنا * وقدأُوْقدتْ بالمندَلِ الرَّطْبِ نارها

ويحك ! وهل على الأرض زَنجية منتنة الإبْطين ، توقد بالمندل الرطب نارها

١٠ إلا طاب ريحها ؟ ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس :

ألم تَريانى كلما جئت طارقاً * وجدتُ بها طيباًوإن لم تطيَّبِ

عبدالملك وكثير

سمر عبد الملك بن مروان ذات ليلة وعنده كثيِّر عزة ، فقال له : أنشدنى بعض ماقلت فى عزة . فأنشده إلى هذا البيت :

همَمْت وهمَّت ، ثم هابت وهِبْتها * حياء ، ومثــلى بالحياء حقيق

١٥ فقال له عبد الملك : أما والله لولا بيتٌ أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك ! قال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنك شركتَها معك فى الهيبة ، ثم استأثرت بالحياء دونها . قال : فأى بيت عفوتَ عنى به يا أمير المؤمنين ؟ قال قولك :

دَعونى لاأُريد بها ســواها * دعونى هائما فيمنْ يَهيم

ابن هانئ

وما أُدرك على الحسن بن هانئ قولُه فى وصف الأسد حيث يقول :

٢٠ كأنما عينُه إذا التفتتْ * بارزةَ الجفنِ عينُ مخنُوق

وإنما يوصف الأسد بغؤور العينين ، كما قال العجاج :

كأن عينَيْه من الغئورِ * قلتانِ أو حوجلتا قارورِ

لأبى زبيد

وقال أبو زبيد :

* كأنّ عينيه نقْباوان فى حَجَر *

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى وصف الأسد ماهو أشبه به من هذا :

ولرُبَّ خافقةِ الذوائبِ قد غدتْ * معْقــودةً بلوائه المنْصورِ
يَرمى بهـا الآفاقَ كلَّ شرَنْبَثٍ * كفاهُ غيْرُ مُقَـلَّمِ الأُظفورِ
ليْثٌ تطيرُ له القـلوبُ مخافةً * من بين هَمْهَمةٍ له وزئيرِ
وكأنما يُومِى إليك بطَرْفه * عن جَمْرتيْن بجلْـد منْقورِ ٥

باب من أخبار الشعراء

دعبل ومسلم وأبو الشيص وأبو نواس

حدث دعبل الشاعر أنه اجتمع هو ومسلم وأبو الشيص وأبو نواس فى مجلس ، فقال لهم أبو نواس : إن مجلسنا هذا قد شُهر باجتماعنا فيه ، ولهذا اليوم مابعده فليأت كلُّ واحد منكم بأحسن ماقال فلينشده . فأنشده أبو الشيص فقال :

وقفَ الهوى بى حيثُ أنتِ فليْس لى * مُتأخَّرٌ عنـه ولا مُتقـدَّمُ ١٠
أجدُ الملامة فى هواكِ لذيذة * حُبًّـا لذكْركِ فلْيلُمْنى اللُّوَّمُ
وأهَنتِنى فأهنْتُ نفْسى صاغِراً * مامَن يهونُ عليكِ مِمَّنْ أُكرم
أشْبَهتِ أعدائى فصِرْتُ أُحِبُّهُم * إذ كان حَظِّى منك حظِّى منهم

قال : فجعل أبو نواس يعجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينقضى عجبه ، ثم أنشده مسلمٌ أبياتاً من شعره الذى يقول فيه : ١٥

فأُقسِمُ أنسَى الدّاعياتِ إلى الصِّبا * يميناً وقد فاجأتُ والسِّترُ واقعُ
فغطّتْ بأيديها ثمـارَ نحورِها * كأيدِى الأُسارى أثقلتْها الجوامِعُ

قال دعبل : فقال لى أبو نواس : هات أبا على ، وكأنى بك قد جئتنا بأم القلادة . فقلت : ياسيدى ، ومن يباهيك بهاغيرى فأنشدته :

أيْن الشّبابُ وأيّةً سَلكا * أمْ أينَ يطلبُ ضَلَّ أم هلكا ٢٠
لا تعْجَبِى ياسَلْمُ من رجُلٍ * ضحِكَ المشيبُ برأْسه فبكى
ياليْتَ شِعرِى كيف صبْرُكما * ياصاحِبَىَّ إذا دَمى سُفكا

لا تطلُبا بظُلامَتى أحداً * قلبي وطرْفى فى دمى آشتركا

ثم سألناه أن يُنشد ، فأنشد أبو نواس :

لا تبْكِ هِنداً ولا تطرَب إلى دَعْد * وآشرب على الوِرْد من حمراء كالورد
كأساً إذا آنحدرتْ فى حَلْق شاربِها * وجدتَ حمرتَها فى العيْن والخــدِّ
فالخمر ياقوتةٌ والــكأس لؤلؤةٌ * فى كفِّ جاريةٍ ممشوقةِ القدِّ
تُسقيك من عينِها خمراً ومن يدِها * خمراً ، فمالك من سُكرَين من بُدّ
لى نَشْوتان وللنُّدْمان واحدةٌ * شيء خُصِصْتُ به من بينهم وحْدى

فقاموا كلهم فسجدوا له ؛ فقال : افعلتموها أعجميّة ؟ لا كلمتكم ثلاثا ولا ثلاثا ولا ثلاثا ! ثم قال : تسعة أيام فى هجر الإخوان كثير ، وفى هجر بعض يوم استصلاح للفساد وعقوبة على الهفوة . ثم التفت فقال : أعلمتم أن حكيما عتب على حكيم ، فكتب المعتوب عليه إلى العاتب : يا أخى ، إن أيام العمر أقلُّ من أن تحتمل الهجر .

المعتز والزبير

محمد بن الحسن المدينى قال : أخبرنى الزبير بن أبى بكر قال : دخلت على المعتز بالله أمير المؤمنين ، فسلمت عليه ؛ فقال : يا أبا عبد الله إنى قد قلت فى ليلتى هذه أبياتا ، وقد أعيا علىّ إجازة بعضها . قلت : أنشدنى . فأنشدنى — وكان محموما — يقول :

إنى عرفتُ علاج القلب من وجع * وما عرفت علاج الحبِّ والخُدَعِ
جزِعْتُ للحبِّ، والحُمى صَبَرْت لها * إنى لأعجب من صبرى ومن جزَعى
من كان يشغَلُه عن حبِّه وجعٌ * فليس يشغَلُنى عن حبِّكم وجعى

قال أبو عبد الله : فقلت :

وما أمَــلّ حبيبى ليلةً أبدا * مع الحبيب ، ويا ليْت الحبيبَ معى

فأمر لى على البيت بألف دينار .

أبو نواس ومسلم وأبو العتاهية

اجتمع الحسن بن هانئ ، وصريع الغوانى ، وأبو العتاهية ، فى مجلس بالكوفة

فقيل لأبى العتاهية : أنشدنا . فأنشد :

أسيِّدتى هاتى ــ فديْتُك ــ ماجرْمِى * فأنزلَ فيما تشتهين من الحكمِ
كفاكِ بحقِّ الله ماقد ظَلَمْتِنى * فهـذا مقام المُستجير من الظُلمِ

وقيل لصريع الغوانى : أنشِدنا فأنشأ يقول :

قد اطَّلعْت على سرِّى وإعــلانى * فاذهب لشأنك ليس الجهلُ من شانى ٥
إنّ التى كنت أرجو قصْد سيرتِهـا * أعطتْ رضاً وأطاعت بعد عصيان

ثم قيل للحسن بن هانئ : أنشِدنا . فأنشد :

يا ابنة الشيْخ اْصبحينا * ما الذى تنتظرينـا
قد جرى فى عوده المـا * ء فأجرِى الخمر فينا

قيل : هذا الهزل . فهات الجد . فأنشأ : ١٠

لمن طَلَلٌ عارى المحَلِّ دفين * عفا عهدَه إلا روائم جُونُ
كما اْقترقت عند المبيتِ حمائمٌ * غريباتٌ تمَّى ماهن وُكونُ
ديارُ التى أمّا جَنَى رشفاتهـا * فحُلْوٌ وأما مسُّها فيلـين
وماأنصفَت،أمّاالشُحوبُ فظاهرٌ * بوجهِى ، وأما وجهُها فمصونُ

فقام صريع الغوانى يجر ذيله ، وخرج وهو يقول : إن هذا مجلس ما جلسته أبدا . ١٥

الرشيد والمأمون فى الصلاة على صوتى

هشام بن عبد الملك الخزاعى قال : كنا بالرَّقة مع هارون الرشيد ، فكتب إليه صاحب الخبر بموت الكسائى ، وإبراهيم الموصلى ، والعباس بن الأحنف ، فى وقت واحد ؛ فقال لابنه المأمون : اخرج فصلِّ عليهم . فخرج المأمون فى وجوه قواده وأهل خاصته ، وقد صفُّوا له . فقالوا له : من ترى أن يقدم ؟ قال : الذى يقول : ٢٠

يابعيد الدّار عن وطنِه * هائماً يبكى على شجَنهْ
كلمـا جــدّ البكاء به * زادتِ الأسقامُ فى بدنهْ

قيل له : هذا . وأشاروا إلى العباس بن الأحنف ؛ فقال قدِّموه ! فقدِّم عليهم .

أبو عمرو وجرير

أبو عمرو بن العلاء قال : نزل جريرٌ وهو مقبل من عند هشام بن عبد الملك فبات عندى إلى الصبح ؛ فلما أصبح شخص وخرجت معه أشيِّعه ، فلما خرجنا من أطناب البيوت التفت إلىّ فقال : أنشدنى من قول مجنون بنى الملوّح ، فأنشدته :

وأدْنيتِنى حتى إذا ما سَبيْتِنى ٭ بقولٍ يحلُّ العُصْمَ سهلَ الأباطح

٥ ... تجافيتِ عنى حين لا لىَ حيلةٌ ٭ وغادرْتِ ماغادرْتِ بين الجوانح

فقال : والله لولا أنه لا يَحسن بشيخ مثلى الصراخ ، لصرخت صرخة سمعها هشام على سريره .

وهذا من أرق الشعر كله وألطفه ، لولا التضمين الذى فيه ، والتضمين : أن يكون البيت معلّقا بالبيت الثانى ، لا يتم معناه إلا به ، وإنما يُحمد البيت إذا

١٠ كان قائما بنفسه .

ابن الأحنف وابن الملوح

وقال العباس بن الأحنف نظير قول المجنون بلا تضمين ، وهو قوله :

أشكو الذين أذاقونى مَودّتهم ٭ حتى إذا أيقظونى بالهوى رقَدوا

الرشيد والأصمعى

وقال الأصمعى : دخلت على هارون الرشيد ، فوجدته منغمساً فى الفرش ، فقال : َما أبطأ بك يا أصمعى ؟ قلت : احتجمت يا أمير المؤمنين . قال : فما أكلت

١٥ عليها ؟ قلت : سكباجة وطباهجَة ، قال : رميتها بحجرها ، أتشرب ؟ فقلت نعم ؛ وقلت :

اَســــقِنى حتى ترانى مائلا ٭ وترى عُمْران دينى قدخَرِبْ

قال : يامسرور ، أىُّ شىء معك ؟ قال : ألف درهم . قال : ادفعها للأصمعى .

ابن داود ويهودى

كان يصحب على بن داود الهاشمى يهودىٌّ ظريف مؤنس أديب شاعر

٢٠ أريب ، فلما أراد الحج أراد أن يستصحبه فكتب إليه اليهودى يقول :

إنى أعــــوذُ بداوُد وحُفرتِه ٭ من أن أحُجَّ بكُرْه يابن داود

نُبئت أنّ طريقَ الحجِّ مُصْردةٌ ٭ عن النّبيذ وما عيْشى بتصْريد

والله ما فىَّ من أجر فتطْلُبَه ٭ فيما عليت ولا دِينى بمحمود

أما أبوكَ فذاكَ الجودُ يعرفُه * وأنت أشبه خلْق الله بالجودِ

كأنّ ديباجتَيْ خدّيه من ذهب * إذا تعصّبَ فى أثوابِه السُّود

السويق فى ضر ناله

حدث أبو إسحاق يحيى بن محمد الحوارى ، قال : سمعت شيخا من أهل البصرة يقول : قال إبراهيم السويقى مولى المهالبة : تتابعت علىَّ سُنون ضيّقة ، وألحّ علىّ العسْر وكثرة العيال وقلّةُ ذات اليد ؛ وكنت مشتهرا بالشعر أقصد به الإخوان وأهل الأقدار وغيرهم ، حتى جفانى كلُّ صديق ، وملّنى من كنت أقصده ؛ فأضرَّ بى ذلك جدا ؛ فبينما أنا ذات يوم جالس مع امرأتى فى يوم شديد البرد ، إذ قالت : ياهذا ، قد طال علينا الفقر ، وأضر بنا الجهد ؛ وقد بقيت فى بيتى كأنك زَمِنٌ ، هذا مع كثرة الولد ؛ فاخرج عنى واكفنى نفسك ، ودعنى مع هؤلاء الصبيان أقوم بهم مرة وأقعد بهم أخرى . وألحّت علىّ فى الخصومة ، وقالت لى : يامشئوم ، تعلمت صناعة لا تُجدى عليك شيئا ! فضجرت منها ومن قولها ، وخرجت على وجهى فى ذلك البرد والريح ، وليس علىّ إلا فروٌ خلَق ، ليس فوقه دثار ، ولا تحته شعار ، إلا إزار على عنق ؛ ثم جاءت ريح شديدة ، فذهبت به عن يدى ، وتفرقت أجزاؤه عنى من بلاه وكثرة رقاعه ، وعلى عنق طيلسان ليس علىّ منه إلا رسمُه .

فخرجت والله متحيرا لا أدرى أين أقصد ولا حيث أذهب ؛ فبينما أنا أجيل الفكرة ، إذ أخذتنى سماءٌ بقَطارٍ متدارك ، فدفعت على دار على بابها رَوشن مُطلّ ودكان لطف وليس عليه أحد : فقلت : أستتر بالروشن إلى أن يسكن المطر . فقصدت قصد الدار ، وإذا بجارية قاعدة ، قد لزمتْ باب الدار كالحافظة عليه ؛ فقالت لى : إليك ياشيخ عن بابنا . فقلت : أنا — ويحك — لست بسائل ، ولا أنا ممن تتخوّف ناحيته ! فجلست على الدكان ، فلما سكنت نفسى سمعت نغمة رخيمة من وراء الباب ، تدلُّ على نغمة امرأة ؛ فأصغيت ، فإذا بكلام يدل على عتاب ؛ ثم سمعت نغمة أخرى مثل ذلك ، وهى تقول فعلتِ وفعلتِ ! والأخرى تقول : بل أنت

فعلتِ وفعلتِ ! إلى أن قالت إحداهما : أنا ـ جُعِلت فداك ـ إن كنتُ أسأت فاغفرى ؛ واحفظى فىَّ بيتين لمولانا إبراهيم السويقى ! فقالت الأخرى : وما قال ؟ فإنه يبلغنى عنه أشعار ظريفة . فأنشدتْها تقول :

هبِينى يا مُعــــذِّبتى أسأت ۞ وبالهجرانِ قبلكمُ بدأتُ

٥ فأين الفضلُ منكِ فدتْكِ نفسى ۞ علىّ إذا أسأتِ كما أسأتُ

فقالت : ظَرُف والله وأحسن ! فلما سمعتُ ذكرى وذكر « مولانا » علمت أنهما من بعض نساء المهالبة ؛ فلم أتمالك أن دفعت الباب وهجمت عليهما ، فصاحتا : وراءك يا شيخُ عنّا حتى نستتر ! وتوهّمَتا أنى من أهل الدار ؛ فقلت لهما . جُعلتُ فداكما ، لا تحتشما منى ؛ فإنى أنا إبراهيم السويقى ؛

١٠ فبالله ، وبحق حرمتى منكنّ ، إلا شفَّعتِنى فيها ، ووهبتِ لى ذنبها ؛ واسمعى منى فأنا الذى أقول :

خُذى بيَدى من الحُزْن الطويل ۞ فقد يعْفو الخليلُ عن الخليلِ

أسأتُ فأجْمِلى تَفديكِ نفسى ۞ فما يأتى الجميلَ سوَى الجميل

فقالت : قد فعلتُ وصفحتُ عن زلّتها ؛ ثم قالت : يا أبا إسحاق ، مالى

١٥ أراك بهذه الهيئة الرثة والبزّة الخلقة ! فقلت : يا مولاتى ، تعدّى علىّ الدهر ، ولم يُنصفْنى الزمان ، وجفانى الإخوان ، وكسدتْ بضاعتى . فقالت : عز علىّ ذلك ! وأومأتْ إلى الأخرى ، فضربت بيدها على كمها ، فسلّت دُمْلجا من ساعدها ، ثم ثنت باليد الأخرى ، فسلت منها دملجاً آخر ؛ فقالت : يا أبا إسحاق ، خذ هذا واقعد على الباب مكانك وانتظر الجارية تأتيك . ثم قالت : يا جارية ،

٢٠ سكن المطر ؟ قالت : نعم . فقامَتا ، وخرجتُ وقعدتُ مكانى ؛ فما شعرتُ إلا والجارية قد وافت بمنديل فيه خمسة أثواب وصُرّةٍ فيها ألف درهم ؛ وقالت : تقول لك مولاتى : أنفِق هذه ، فإذا احتجْت فصِرْ إلينا حتى نزيدك إن شاء الله ! فأخذتُ ذلك وقمت وقلت فى نفسى : إن ذهبت بالدمْلجين إلى امرأتى ، قالت : هذا لِبناتى ، وكاثرتنى عليهما ؛ فدخلت السوق فبعتهما بخمسين ديناراً وأقبلت ؛

فلما فتحتُ الباب صاحت امرأتى وقالت : قد جئت أيضاً بشؤمك ! فطرحت الدنانير والدراهم بين يديها والثياب ؛ فقالت : من أين هذا ؟ قلت : من الذى تشاءمتِ به وزعمت أنه بضاعتى التى لا تُجدى ! فقالت : قد كانت عندى فى غاية الشؤم ، وهى اليوم فى غاية البركة !

نوادر من الشعر

٥

المأمون وابن الجهم

قال المأمون لمحمد بن الجهم : أنشِدنى بيتاً أوله ذم وآخره مدح ؛ أُوَلِّك به كورة . فأنشده :

قَبُحتْ مناظرُهم فحين خبَرْتُهم ٭ حسُنتْ مناظرُهم لحسْن المخبَر

فقال له : زدنى . فأنشده :

أرادوا لِيُخْفوا قبرَه عن عدوِّه ٭ فطِيبُ تراب القبر دَلَّ على القبر

١٠

فولّاه الدِّينَوَر .

الرشيد والضبى

وقال هارون الرشيد للمفضل الضبى : أنشِدنا بيتا أوله أعرابى فى شَمْلته هبَّ من نوْمته ، وآخِره مدنى رقيق ، غُذى بماء العقيق . قال المفضل : هوّلتَ علىّ ياأمير المؤمنين ، فليت شعرى بأى مهر نفتضّ عروس هذا الخدْر ؟ ... قال هارون : هو بيتُ جميلٍ حيث يقول :

١٥

ألا أيُّها النُّوَّامُ وَيْحكم هُبُّوا ٭ أُسائلكم : هل يَقتُلُ الرجلَ الحبُّ

فقال له المفضل : فأخبرنى ياأمير المؤمنين عن بيت أوله أكثمُ بن صيفى فى إصابة الرأى ، وآخِره بقراطُ الطبيب فى معرفته بالداء والدواء . قال له هارون : ماهو ؟ قال : هو بيت الحسن بن هانئ حيث يقول :

دعْ عنكَ لوْمى فإنّ اللّوْمَ إغراءُ ٭ وداوِنى بالتى كانت هى الداءُ

٢٠

قال : صدقت .

المنصور فى الرضمة

قال الربيع : خرجنا مع المنصور منصرَفَنا من الحج ، فنزلنا الرَّضْمة ، ثم راح المنصور ورحنا معه فى يوم شديد الحرّ ، وقد قابلتْه الشمس ، وعليه جبة

وشى ؛ فالتفت إلينا وقال : إنى أقول بيتاً من شعر ، فمن أجازه منكم فله جبتى هذه ! قلنا : يقول أمير المؤمنين . فقال :

وهاجرةٍ نصبتُ لها جَبينى * يُقطِّعُ حَرُّها ظَهْرَ العَظَايَهْ

فبدر بشار الأعمى فقال :

٥ وقفت بها القَلوصَ ففاض دَمْعى * على خــدِّى وأَقصَرَ واعِظَايَهْ

فخرج له من الجبة ، فلقيته بعد ذلك فقلت له : ما فعلتَ بالجُبة ؟ قال : بعتها بأربعة آلاف درهم !

عائشة بنت المهدى والشعراء

خرج رسول عائشة بنت المهدى ـ وكانت شاعرة ـ إلى الشعراء وفيهم صريع الغوانى ، فقال : تقرئكم سيدتى السلام وتقول لكم : من أجاز هذا البيت

١٠ فله مائة دينار . فقالوا : هاتِه . فأنشدهم :

أَنِيلِى نوالا وجُودى لنا * فقد بلَغتْ نفسىَ التَّرْقُوَهْ

فقال صريع :

وإنِّىَ كالدَّلْوِ فى حُبِّكم * هَوَيْتُ إذ انقطعتْ عَرْقُوَهْ

فأخذ المائة الدينار .

الحسن البصرى والفرزدق

١٥ وكان الفرزدق يجلس إلى الحسن البصرى ، وجريرٌ يجلس إلى ابن سيرين ؛ لتباعد ما بين الرجلين ـ وكان موتهما فى عام واحد ، وذلك سنة عشر ومائة ـ فبينما الفرزدق جالس عند الحسن ، إذ جاءه رجلٌ فقال : يا أبا سعيد ، إنا نكون فى هذه البعوث والسرايا ، فنُصيب المرأة من العدوّ وهى ذات زوج ، أفتحلّ لنا من غير أن يطلقها زوجُها ؟

٢٠ قال الفرزدق : قد قلت أنا مثل هذا فى شعرى . قال له الحسن : وما قلت ؟ قال : قلت :

وذات حَليلٍ أَنكحتْها رماحُنا * حلالٌ لمن يبْنِى بها لم تُطَلَّقِ

قال الحسن : صدقت .

ثم أقبل إليه رجل آخر ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول فى الرجل يشك فى الشخص يبدو له فيقول : والله هذا فلان ! ثم لا يكون هو : ما ترى فى يمينه ؟ فقال الفرزدق : وقد قلت أنا مثل هذا . قال الحسن : وما قلت ؟ قال : قلت :

٥ ولستَ بمأخوذٍ بقولٍ تقولُه * إذا لم تعمِّده عاقداتُ العزائمِ

قال الحسن : صدقت .

عباد ورؤبة بين زوجين

استعدت امرأةٌ على زوجها عبّاد بن منصور ، وزعمتْ أنه لا ينفق عليها ؛ فقال لرؤبة : احكم بينهما . فقال :

فطلِّقْ إذا ما كنتَ لستَ بمنفِقٍ * فما الناسُ إلا مُنفقٌ أو مطلِّقُ

بشار بين شاعرين

١٠ كان رجل يدّعى الشعر ، ويستبرده قومُه ؛ فقال لهم : إنما تستبردونى من طريق الحسد . قالوا : فبيننا وبينك بشارٌ العقيلى ، فارتفعوا إليه ، فقال له : أنشدنى . فأنشده ؛ فلما فرغ قال له بشار : إنى لأظنُّك من أهل بيت النبوة ! قال له : وما ذاك ؟ قال : إنّ الله تعالى يقول ﴿ وما علّمناه الشِّعْرَ وما ينبغى له ﴾ فضحك القوم وخرجوا عنه :

أبو دلف وابن عبد ربه

١٥ وقال أبو دُلَف :

أتى أبو دلَف المُبْدِى بقافيةٍ * جوابُها يُهلِك الداعى من الغيظِ

مَن زاد فيها له رَحْلى وراحلَتى * وخاتَمى ، والمَدَى فيها إلى القيْظِ

فأجابه ابن عبد ربه :

قد زِدتُ فيها وإن أضحى أبو دلَفٍ * والنفسُ قد أشرفتْ منه على الغيظِ !

لبعض الشعراء فى حضرة سليمان

٢٠ سمر الفرزدق والأخطل وجرير عند سليمان بن عبد الملك ليلة ، فبينما هم حوله إذ خَفَقَ فقالوا : نعس أمير المؤمنين ! وهموا بالقيام ؛ فقال لهم سليمان : لا تقوموا حتى تقولوا فى هذا شعرا . فقال الأخطل :

رماه الكَرَى فى رأسه فكأنه * صريعٌ تَرَوَّى بين أصحابه خمرا

فقال له : ويحك ! سكرانَ جعلتنى ! ثم قال جرير بن الخطفى :

رماهُ الكَرى فى رأسه فكأنما * يَرى فى سَوادِ الليْل قُنبُرةً سَكرا

فقال له : ويحك ! أجعلتنى أعمى ! ثم قال الفرزدق بعد هذا :

رماهُ الكَرى فى رأسِه فكأنما * أميمُ جَلاميدٍ تركنَ به وقْرَا

٥ قال له ويحك ! جعلتنى مشجوجا ، ثم أذن لهم فانقلبوا لحِباهم وأعطاهم .

كان عمر بن أبى ربيعة القرشى غزِلا مشبِّبا بالنساء الحوَاجّ ، رقيق الغزل ؛ وكان الأصمعى يقول فى شعره : الفستق المقشر الذى لا يُشبع منه ! وكان جرير يستبرده ويقول : شعر حجازى ، لو اتخذ فى تموز لوُجد البرد فيه . فلما أُنشد له :

فلما تَلاقيْنا عَرفْتُ الذى بها * كمِثْلِ الذى بى حَذوَكَ النَّعْلَ بالنَّعلِ

١٠ قال : ما زال يهذى حتى قال الشعر !

في شعر ابن أبى ربيعه

وقالت العلماء : ما عُصِىَ اللهُ بشعرٍ ما عُصِىَ بشعر عمر بن أبى ربيعة !

ووُلد عمر بن أبى ربيعة يوم مات عمر بن الخطاب ، فسمِّى باسمه ؛ فقالت العلماء : أى خير رُفع ، وأىّ شرٍّ وُضعَ ! ثم إنه تاب فى آخر أيامه وتنسّك ، ونذر لله أن يُعتق لله رقبة لكل بيت يقوله ؛ وإنه حج ، فبينما هو يطوف بالبيت

١٥ إذ نظر إلى فتى من نُمير يلاحظ جاريةً فى الطواف ، فلما رأى ذلك منه مرارا ، أتاه ، فقال له يافتى ، أما رأيت ما تصنع ؟ فقال له الفتى : يا أبا الخطاب لا تعجل علىّ ؛ فإن هذه ابنةُ عمى ، وقد سُمِّيتْ لى ، ولستُ أقدِرُ على صداقها ، ولا أظفر منها بأكثر مما ترَى ؛ وأنا فلان بن فلان ، وهذه فلانة ابنة فلان . فعرفهما عمر ، فقال له : اقعد يا ابن أخى عند هذه السارية حتى يأتيك رسولى .

٢٠ ثم ركب دابته حتى أتى منزل عمّ الفتى ، فقرع الباب فخرج إليه الرجل ، فقال : ما جاء بك يا أبا الخطاب فى مثل هذه الساعة ؟ قال : حاجةٌ عرضت قِبَلَك فى هذه الساعة . قال : هى مقضية . قال عمر : كائنةً ما كانت ؟ قال : نعم ! قال : فإنى قد زوّجت ابنتَك فلانة من ابن أخيك فلان : قال : فإنى قد أجزتُ ذلك . فنزل عمر عن دابته ، ثم أرسل غلاماً إلى داره فأتاه بألف درهم

فساقها عن الفتى ، ثم أرسل إلى الفتى فأتاه ، فقال لأبى الجارية : أقسمتُ عليك إلا ما أَبْتَنَى بها هذه الليلة ! قال له : نعم فلما أدخلت على الفتى انصرف عمر إلى داره مسروراً بما صنع ، فرمى بنفسه على فراشه وجعل يتململ ، ووليدة له عند رأسه ، فقالت : ياسيدى ، أرقت هذه الليلة أرقا لا أدرى ما دهمك ؟ فأنشأ يقول : ٥

تقولُ وليدتِى لمّا رأتنى * طَرِبْتُ وكنتُ قد أقصَرْتُ حينا
أراكَ اليومَ قد أحدثْتَ شوقا * وهاجَ لك الهوى داءٌ دَفينا
وكنتَ زعمْتَ أنكَ ذا عزاءٍ * إذا ماشئتَ فارَقتَ القَرينا
بعيْشِك هل رأيتَ لها رسولا * فشاقَكَ أم لقِيتَ لها خَدينا ؟
فقلْتُ : شَكا إلىّ أخٌ مُحِبٌّ * كبعضِ زمانِنا إذ تعلَمينا ١٠
فقَصَّ علىّ ما يَلْقى بهِنْـدٍ * يُذكِّرُ بعضَ ما كنّا نَسينا
وذو القلبِ المُصابِ وإن تعزّى * مشُوقٌ حينَ يَلقَى العاشقينا

ثم ذكر يمينَه ، فاستغفر الله ، وأعتق رقبةً لكل بيت .

الأخطل والأعور بن بنان

دعا الأعورُ بن بَنان التغلبىُّ الأخطل الشاعر إلى منزله ، فأدخله بيتاً قد نجد بالفُرش الشريفة والوطاء العجيب ، وله امرأة تسمى برّة فى غاية الحسن والجمال ؛ ١٥ فقال له : أبا مالك ، إنك رجل تدخل على الملوك فى مجالسهم ؛ فهل ترى فى بيتى عيبا ؟ فقال له : ما أرى فى بيتك عيبا غيرَك ! فقال له : إنما أعجب من نفسى إذ كنت أدْخلُ مثلك بيتى ! اُخرُجْ عليك لعنةُ الله ! فخرج الأخطل وهو يقول :

وكيف يُداوِينى الطّبيبُ من الجَوى * وبرّةُ عنـدَ الأعورِ بن بَنانِ ٢٠
ويُلصِقُ بطناً مُنْتِنَ الريحِ مُجْرِزاً * إلى بَطنِ خَودٍ دائمِ الخفَقانِ

باب من الشعر

يخرج معناه فى المدح والهجاء

لبعض الشعراء

قال الشاعر فى خياط أعور يسمى عمرا :

خاطَ لى عَمْرٌو قباءً * ليت عينَيْه سَواءْ

٥ فاسألِ النّاسَ جميعاً * أمَديحٌ أمْ هِجاءْ

لحبيب وغيره

ومنه قول حبيب فى مرثية بنى حُميد حيث يقول :

لو خَرّ سيفٌ من العَيُّوقِ مُنصَلِتا * ما كان إلا على هاماتِهمْ يَقعْ

فلو هجوا بهذا رجلا على أنه أنحس خلق الله ، لجاز فيه ؛ ولو مُدح به على مذهب قول الشاعر :

١٠ وإنا لنستَحْلِى المَنايا نُفوسُنا * ونَتْرُكُ أُخْرى مُرّةً ما نَذوقها

وقول الآخر :

ونحنُ أُناسٌ لا نَرى القتلَ سُبّةً * إذا ما رأَتْهُ عامرٌ وسَلولُ

يُقرّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لنا * وتَكرَهُه آجالُهم فتطُول

وما ماتَ منّا سيّدٌ فى فراشِه * ولا طلَّ منّا حيثُ كان قَتيل

١٥ تَسيلُ على حدّ السُّيوفِ دِماؤُنا * وليس على غيرِ السُّيوفِ تَسيل

لجاز ذلك .

ومثله لحبيب :

آنظر فحيثُ تَرى السُّيوفَ لوامِعاً * أبداً ففوْقَ رءوسِهِمْ تتألقُ

ماقالوه فى تثنية الواحد

للفرزدق

٢٠ قال الفرزدق فى تثنية الواحد :

[ألمْ تعلَموا أنّى ابن صاحبِ صَوْأر] * وعِندى حُساما سيفِهِ وحمائِلهْ

لجرير وقال جرير :

لمَّا تذكرتُ بالدَّيْرين أرَّقنى * صوتُ الدّجاجِ وقرعُ بالنَّواقيسِ

وإنمـا هو دير الوليد ، معروف بالشام ؛ وأراد بالدجاج : الدِّيَكة .

لابن الحطيم وقال قيس بن الحطيم فى الدرع :

٥ مُضاعفَة يُغشي الأناملَ رِيعُها * كأنّ قَتيرَيْها عُيونُ الجنادِبِ

يريد : قتيرها .

لبعضهم وقال آخر :

وقالَ لبوّابيـــهِ لا تُدخِلنّهُ * وسدّ خَصاصَ البابِ عن كلّ مَنظرِ

وقال أهل التفسير فى قول الله عز وجل : ﴿ ألقيا فى جهنّم كلَّ كفّارٍ

١٠ عنيدٍ ﴾ أنه إنمـا أراد واحداً فثنّاه :

لمعاوية وكذلك قول معاوية للجلْواز الذى كان وكله بِرَوح بن زنباع لمـا اعتذر إليه رَوحٌ واستعطفه : خلّيا عنه :

قولهم فى جمع الاثنين والواحد

من كلام الله تعالى قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فإنْ كانَ له إخوةٌ فلأُمّهِ السُّدُسُ ﴾ . يريد :

١٥ أخوين فصاعدا .

وقوله : ﴿ إنّ الذينَ يُنادُونكَ منْ وراءِ الحُجراتِ أكثرُهُم لا يَعقِلونَ ﴾ ، وإنمـا ناداه رجلٌ من بنى تميم .

وقوله : ﴿ وألقَى الألواحَ ﴾ ، وإنمـا هى لَوحان .

وقال الشاعر :

٢٠ لولا الرّجاءُ لِأمرٍ ليس يعلَمُهُ * خَلْقٌ سِواكَ لَمـا ذَلّتْ لكم عُنُقِى

ومثل هذا كثير فى الشعر القديم والمحدث .

وقولهم فى إفراد الجمع والاثنين

وأما قولهم فى إفراد الجمع فهو أقل من هذا الذى ذكرناه . وكذلك فى إفراد الاثنين ؛ فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُخرِجُكُمْ طِفلاً ﴾ .

وقوله : ﴿ فأْتِيا فِرْعَونَ فقُولا إنّا رسُولُ ربِّ العالَمِينَ ﴾ .

٥ وقوله : ﴿ فما مِنكُمْ مِن أحدٍ عنهُ حاجِزِينَ ﴾ .

وقال جرير : — لجرير

هذى الأرامِلُ قد قضّيْتَ حاجَتَها * فمَن لحاجةِ هذا الأرمَلِ الذَّكَرِ !

وقال آخر : — لبعض الشعراء

وكأنّ بالعيْنَيْنِ حَبَّ قَرَنفُلٍ * أو فلفُلٍ كُحِلتْ به فانهلّتِ

١٠ ولم يقل : فانهلتا .

وقال مسلم بن الوليد : — لمسلم

ألا أنِفَ الكواعبُ عن وصالى * غَداةَ بدا لها شيْبُ القَذالِ

وقال جرير : — لجرير

* وقُلنا للنِّساءِ به أقِيمى *

١٥ قولهم فى تذكير المؤنث وتأنيث المذكر

قال مالك بن أسماء بن خارجة الفزارى فى شعره الذى أوله : — لابن أسماء

* حَبّذا ليْلُنا بتلِّ بَوَنّا *

ومررْنا بِنِسْوةٍ عطِراتٍ * وسَماعٍ وقَرقَفٍ فنزلنا

ما لهُمْ لا يُبارِكُ اللهُ فيهِمْ * حينَ يُسألنَ مَنْحنا ما فعلْنا

٢٠ وقال آخر ، وقد استشهد به سيبويه فى كتابه : — لبعضهم

فلا دِيمــــة ودَقَتْ ودْقَها * ولا أرْضَ أبْقلَ إبْقالَها

فذكّر الأرض .

لنصيب — وقال نصيب :

إنّ السّماحةَ والمروءةَ ضُمِّنا * قبراً بمرْوِ على الطريقِ الواضِحِ

لأعرابية — وقالت أعرابية :

قامتْ تُبكِّيهِ على قبرهِ * من لي مِن بعدِكَ يا عامِرُ

تركتَني في الدّارِ وحْشيّةً * قد ذلَّ من ليْسَ لهُ ناصِرُ ٥

لأبي نواس — وقال أبو نواس :

كمَنَ الشّنْآنُ فيه لنا * ككُمُونِ النارِ في حَجَرهْ

وإنما ذكرت هذا الباب في كتاب الشعر ، لاحتياج الشاعر إليه في شعره واتساعه فيه .

باب ما غلط فيه على الشعراء ١٠

لابن عبد ربه — وأكثر ما أدرك على الشعراء له مجاز وتوجيه حسن ، ولكن أصحاب اللغة لا يُنصفونهم ، وربما غلطوا عليهم وتأولوا غير معانيهم التي ذهبوا إليها ؛ فمن ذلك قول سيبويه واستشهد ببيت في كتابه في إعراب الشيء على المعنى لا على اللفظ وأخطأ فيه :

مُعاويَ إنّنا بشرٌ فأَسْجِحْ * فلسْنا بالجِبالِ ولا الحدِيدَا ١٥

كذا رواه سيبويه على النصب ، وزعم أن إعرابه على معنى الخبر الذي في « ليس » ، وإنما قاله الشاعر على الخفض ، والشعر كله مخفوض ، فما كان يضطره أن ينصب هذا البيت ويحتال على إعرابه بهذه الحيلة الضعيفة ، وإنما الشعر :

مُعاويَ إنّنا بشرٌ فأَسْجِحْ * فلسْنا بالجِبالِ ولا الحدِيدِ ٢٠

أكلتُم أرضَنا فجرَدْتموها * فهلْ مِن قائمٍ أو من حصِيدِ

أتطْمعُ في الخلُودِ إذا هلَكْنا * وليس لنا ولا لكَ من خُلودِ

فهَبْنا أمّةً هلَكتْ ضَياعاً * يزيدُ أمِيرُها وأبو يزيدِ

ونظير هذا البيت ماذكره فى كتابه أيضا واحتج به فى باب النون الخفيفة :

ثَبَتُّمْ ثَباتَ الخَيْزُرانِيِّ فى الثَّرى ٭ حديثاً متى ما يأْتكَ الخير ينفَعا

وهذا البيت للنجاشى ، وقد ذكره عمرو بن بحر الجاحظ فى فخر قحطان على عدنان فى شعر كله مخفوض وهو :

٥ أيَا راكباً إمّا عَرَضتَ فبلِّغَنْ ٭ بنى عامرٍ عنّى يزيدَ بنَ صعْصَعِ

ثَبَتُّم ثباتَ الخَيْزُرانِيِّ فى الثَّرى ٭ حديثاً متى ما يأْتِكَ الخير ينفَعِ

ومثله قول محمد بن يزيد النحوى المعروف بالمبرّد فى كتاب الروضة وأدرك على الحسن بن هانئ قوله :

وما لِبكْرِ بنِ وائلٍ عصمٌ ٭ إلا لِحَمْقائِها وكاذِبِها

١٠ فزعم أنه أراد بحمقائها هَبَنَّقَةَ القيسى ، ولا يقال فى الرجل حمقاء ، وإنما أراد دُغَةَ العجلية ، وعِجلٌ فى بكر ، وبها يضرب المثل فى الحمق .

باب من مقاطع الشعر ومخارجه

لابن عبد ربه

اعلم بأنك متى ما نظرت بعين الإنصاف ، وقطعت بحجة العقل ، علمت أن لكل ذى فضلٍ فضلَه ، ولا ينفع المتقدم تقدُّمه ، ولا يضرُّ المتأخر تأخُّرُه ؛ فأما

١٥ من أساء النظم ولم يحسن التأليف فكثير ، كقول القائل :

شرّ يوْميْها وأغْواهُ لها ٭ ركِبَتْ هِنْدٌ بحِدْجٍ جَمَلا

شرّ يوميها ، نُصب على الحال ، وإنما معناه : ركبت هند جملا بحدج فى شرّ يوميها .

وكقول الفرزدق :

٢٠ وما مِثْلُهُ فى الناسِ إلا مُمَلَّكا ٭ أبو أُمِّهِ حىٌّ أبوهُ يُقارِبُهْ

معناه : ما مثل هذا الممدوح فى الناس إلا الخليفة الذى هو خاله ، فقال :

٭ أبو أمّه حىٌّ أبوهُ يُقاربُهْ ٭

فبعّد المعنى القريب ، ووعّر الطريقَ السهل ، ولبّس المعنى بتوعُّر اللفظ وقبح البنية حتى ما يكاد يُفهم .

ومثل هذا إلا أنه أقرب منه إلى الفهم قول القائل :

بينما ظِلٌّ ظليـــلٌ ناعمٌ * طلَعتْ شمسٌ عليه فاضمحَلّ

يريد : حتى طلعت شمس عليه .

ومثل قول الآخر :

إنّ الكريمَ وأبيـك يعْتَمِلْ * إن لم يجدْ يوماً على مَن يتّكِلْ

يريد : من يتكل عليه .

ولله در الأعشى حيث قال :

لم تمشِ مِيلًا ولم تركبْ على جَمل * ولم ترَ الشمس إلا دُونَها الكِلَلُ ١٠

وأبين منه قول النابغة :

ليست من السُّودِ أعقاباً إذا انصرفتْ * ولا تَبيعُ بأعلَى مكّةَ البرَمَا

بعض المحدثين — وقد حذا على مثال قول النابغة بعض المبرِّزين من أهل العصر ، فقال :

ليست من الرُّمْصِ أشفاراً إذا نظَرتْ * ولا تبيعُ بفوْقِ الصّخرةِ الرُّغفا

فقيل له : ما معناك فى هــذا ؟ قال : هو مثل قول النابغة . وأنشد البيت ١٥ وقال : ما الفرق بين أن تبيع البرم أو تبيع الرغف ، وبين أن تكون رمضاء العينين أو سوداء العقِبين .

أبو نواس — وانظر إلى سهولة معنى الحسن بن هانئ وعذوبة ألفاظه فى قوله :

حَذَرَ امْرئٍ ضَرِيَتْ يداه على العِدَا * كالدّهرِ فيــه شراسةٌ ولِيَانٌ

حبيب — وإلى خشونة ألفاظ حبيب الطائى فى هذا المعنى حيث يقول : ٢٠

شَرِسْتَ بل لِنتَ بل قابلْت ذاك بِذَا * فأنت لا شكَّ فيـه السهلُ والجبلُ

لبعضهم — وقد يأتى من الشعر ما لا فائدة له ولا معنى ، كقول القائل :

الليلُ ليـــلٌ ، والنهارُ نَهـارُ * والأرضُ فيها الماءُ والأشجارُ !

الأعشى

وقال الأعشى :

إنْ مُحلًّا وإنْ مُرتحلًا * وإنْ فى السَّفْرِ إذ مَضَى مثلا

لإبراهيم الشيبانى

وقال إبراهيم الشيبانى الكاتب : قد تكون الكلمة إذا كانت مفردة حوشية بشِعَة ، حتى إذا وضعت فى موضعها وقُرِنَتْ مع إخوتها حَسُنَتْ ؛ كقول
٥ الحسن بن هانئ :

* ذو حَصَرٍ أفْلَتَ من كَرِّ القُبَل *

والكز كلمة خسيسة ، ولا سيما فى الرقيق والغزل والنسيب ، غير أنها لما وُضعت فى موضعها حسنت .

و العذبة ربما قبُحت ونفرت إذا لم توضع فى موضعها ،
١٠ مثل قول الشاعر :

رأ نحا جوناً فقامت غَريرة * بمسْحاتِها جُنْح الظلامِ تُبادرُهْ

فأوقع الجافى الجلفُ هذه اللفظة غير موقعها ، وبخسها حقَّها حين جعلها فى ير مكانها حفا ؛ لأن المساحى لا تصلح الغرائر .

واعلم أنه لا يصلح لك شىء من المنثور والمنظوم ، إلا أن تجرى منه على
١٥ عرق وأن تتمسك منه بسبب ، فأما إن كان غير مناسب لطبيعتك ، وغير ملائم لقريحتك ، فلا تُنْضِ مطيَّتك فى التماسه ، ولا تُتْعِب نفسك إلى ابتغائه ، باستعارتك ألفاظ الناس وكلامهم ، فإن ذلك غير مثمر لك ولا مُجدٍ عليك ، مالم تكن الصناعة ممازجة لذهنك ، وملتحمة بطبعك .

واعلم أن من كان مرجعُه اغتصابَ نظم من تقدمه ، واستضاءتَه بكوكب مَن
٢٠ سبقه ، وسَحْبَ ذيلِ حلة غيره ، ولم تكن معه أداة تولِّد له من بنات ذهنه ، ونتائج فكره ، الكلام الجَزْل والمعنى الحَفْل ، لم يكن من الصناعة فى عِيرٍ ولا نفير ، ولا ورْد ولا صدر ؛ على أن سماع كلام الفصحاء المطبوعين ، ودرْس رسائل المتقدمين ، هو على كل حال مما يَفْتق اللسان ، ويقوِّى البيان ، ويُحِد الذِّهن ، ويشحذ الطبع ، إن كانت فيه بقية وهناك خبيَّة .

واعلم أن العلماء شبهت المعانى والألفاظ بالأجساد والثياب ، فإذا كتب الكاتب البليغ المعنى الجزل ، وكساه لفظا حسنا ، وأعاره مخرجا سهلا ، ومنحه دلا مونقا ـ كان فى القلب أحلى ، وللصدر أملى ؛ ولكنه بقى عليه أن يؤلفه مع شقائقه وقرائنه ، ويجمع بينه وبين أشباهه ونظائره ، ويَنظمه فى سِلْكه ، كالجوهر لمنثور : الذى إذا تولى نظمَه الناظمُ الحاذق ، وتعاطى تأليفَه الجوهرىُّ العالم ، ظهر له بأحكام الصنعة ولطيف الحكمة حُسنا هو فيه ، وكساه ومنحه بهجة هى ، وكذلك كلما احْلَوْلَى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه ، كان أسهل ، جاقى الأسماع ، وأشدّ اتصالا بالقلوب ، وأخف على الأفواه ؛ لاسيما إذا ن المعنى البديع مترجما بلفظ مونق شريف ، لم يسِمْه التكلف بميسمه ، ولم ده التعقيد باستهلاكه ، كقول ابن أبى كريمة :

قفاه وجهٌ ، والذى وجهُهُ * مثل قفاه يُشْبِهُ الشَّمْسا

فهجّن المعنى بتعقد مخارج الألفاظ ؛ وأخذه الحسن بن هانئ فأوضحه وسهله قال :

بأبى أنت من غزالٍ غريرٍ * بَزّ حُسنَ الوجوه حُسْنُ قفاكا

وكلاهما أخذه من حسان بن ثابت حيث يقول :

قفاؤُك أحسن من وجهه * وأُمُّك خَيرٌ من المُنذر

وقد يأتى من الشعر فى طريق المدح ما الذمّ أولى به من المدح ، ولكنه يحل ما قبله وما بعده ، ومثله قول حبيب :

لو خرّ سيفٌ من العَيُّوقِ مُنْصلِتاً * ما كان إلا على هاماتهم يقعُ

هذا لا يجوز ظاهره فى شىء من المدح ، وإنما يجوز فى الذم والنحس ؛ لو وصفت رجلا بأنه أنحس الخلق ، لم تصفه بأكثر من هذا ، وليس اعة فيه وجه ؛ لأن قولهم «لو خر سيف من السماء لم يقع إلا على رأسه» ـه أن تقول] : هذا رأسُ كلِّ نحس .

قولهم فى رقة التشبيب

لابن الأحنف

ومن الشعر المطبوع الذى يجرى مع النفس رقة ويؤدى عن الضمير إبانة ، مثل قول العباس بن الأحنف :

وليـلة مامثلُها ليـلةٌ * صاحبُها بالسَّعْد مفجوع

٥ ليـلةَ جئناها على موْعدٍ * نَسْرى وداعِى الشَّوْق مَتْبوعُ

لمَّا خَبَت نيرانُها وانكفا السَّامر عنها وهو مَصروعُ

قامت تَثَنَّى وهى مرعوبةٌ * تَودُّ أنَّ الشَّمْل مجموع

حتى إذا ماحاولتْ خطْوةً * والصَّدرُ بالأردافِ مدفوع

بكى وِشاحاها على مَتْنِها * وإنما أبكاهُما الجوع

١٠ فانتبَهَ الهادونَ من أهلها * وصار للوعِـدِ مرجوع

ياذا الذى نَمَّ علينـا لقد * قلتَ ومنك القول مسْموع

لا تشغلينى أبداً بعـدَها * إلا ونَمَّامُكِ منزوعُ

ما بالُ خَلْخالِكِ ذا خرْسةٍ * لسانُ خَلْخالِك مقْطوع

عاذِلَتِى فى حبِّها أقْصِرى * هذا لَعَمْرى عنك موضوع

لبشار

١٥ وفى معناه لبشار بن برد :

سيِّدى لا تأتِ فى قَمَر * لحديثٍ وارقُب الدُّرَعا

وتَوَقَّ الطِّيبَ ليلتنا * إنه واشٍ إذا سطعا

وله أيضا :

يقولان لو عزَّيتَ قلبك لارعَوَى * فقلت وهل للعاشقين قلوب

كثير وشعر جميل

٢٠ الأصمعى قال : سمع كثير عزة مُنشداً ينشد شعر جميل بن معمر الذى يقول فيه :

ما أنتِ والوعْدَ الذى تعديِنَنى * إلا كبَرْق سحابةٍ لم تُمْطِر

تُقْضَى الدُّيونُ ولست تقْضى عاجلا * هذا الغريمَ ولست فيه بمُعْسِر

يا ليتنى ألقى المنيّـة بغتـةً * إنْ كان يومُ لقائكمْ لم يُقدرِ

يهواكِ ماعِشت الفؤادوإنأمُت * يَتبعْ صَداى صَداكِ بينالأقبُرِ

فقال كثيِّر : هذا والله الشعر المطبوع ؛ ما قال أحد مثل قول جميل ، وما كنت إلا راويةً لجميل ، ولقد أبقى للشعراء مثالا تحتذى عليه .

الفرزدق وشعر لابن أبى ربيعة

وسمع الفرزدق رجلا ينشد شعر عمر بن أبى ربيعة الذى يقول فيه : ٥

فقالت وأرْخَت جانب السِّتْر إنمـا * معى فتحدَّث غير ذى رِقْبة أهْلى

فقلت لهـا مالى لهم من ترقُّبٍ * ولكنّ سرِّى ليس يحملُه مثْلى

حتى انتهى إلى قوله :

فلمـا توافقْنا عرَفْت الذى بهـا * كمثلِ الذى بى حَذْوَكَ النعْلَ بالنعْلِ

فقال الفرزدق : هذا والله الذى أرادت الشعراء أن تقوله فأخطأته وبكت على الطلول . وإنما عارض بهذا الشعر جميلا فى شعره الذى يقول فيه : ١٠

خليلىَّ فيما عشتُما هل رأيتُما * قتيلاً بكى من حبِّ قاتِلِه قبْلى

فلم يصنع عُمر مع جميل شيئاً .

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى رقة التشبيب والشعر المطبوع الذى ليس بدون ماتقدم ذكره :

صحا القلبُ إلَّا خَطْرة تبعثُ الأسى * لهـا زَفْرةٌ موْصـولةٌ بحنينِ ١٥

بلى ربمـا حلَّتْ عُرى عَزماتِهِ * سـوالفُ آرامٍ وأعيُنُ عِينِ

لواقِطُ حبّات القلوب إذا رَنتْ * بسِحرِ عُيونٍ وانكسارِ جُفونِ

ورَيْطِ متينِ الوَشْىَ أينعَ تحته * ثِمـار صُدورٍ لا ثِمـار غُصونِ

بُرودٌ كأنوار الرّبيع لبِسْنَهـا * ثيابَ تَصابٍ لا ثيابَ مُجُونِ

فرَين أديم الليْل عن نورِ أوْجُهٍ * تُجَنُّ بها الألبابُ أىَّ جُنونِ ٢٠

وُجوهٌ جرى فيها النعيم فكلَّلتْ * بورْدِ خُدودٍ يُجْتنى وعُيونِ

سألبَسُ للأيام دِرْعاً من العَزا * وإن لم يكن عند اللّقا بحصينِ

فكيف ولى قلبٌ إذا هبَّتِ الصَّبا * أهبَّ بشوقٍ فى الضُّلوع دفينِ

وَيَهتاجُ منه كلُّ ما كان ساكنا * دُعاءُ حَمامٍ لم تَبِتْ بُوكورِن

وإنّ ارتياحى من بُكاء حمامة * كذى شَجَن داويتَه بشُجونِ

كأنّ حَمامَ الأيك حين تجاوبتْ * حزينٌ بكى من رحمةٍ لحزين

ومما عارضت به صريع الغوانى فى قوله :

أديرا علىَّ الرّاحَ لا تشربا قبْلى * ولا تطلبا من عندِ قاتلتى ذَحْلى

فياحَزَنى أنى أموتُ صَبابةً * ولكن على من لا يَحِلُّ له قتْلى

فدَيتُ التى صَدّت وقالت لتِربِها * دعِيه،الثُّريّا منه أقربُ من وصْلى

فقلت على رويّه :

أتقتُلُنى ظلماً وتَجحَدُنى قَتْلِى * وقد قام من عينَيْك لى شاهدا عدلِ

أطُلّاب ذَحْلِى ليس بى غيرُ شادِنٍ * بعينَيْه سحرٌ فاطلبوا عندهُ ذَحْلِى

أغارَ على قلبى فلما أتيتُه * أُطالبُه فيه أغارَ على عقْلِى

بنفسى التى ضَنّتْ بردّ سلامِها * ولو سألت قتلِى وهَبْت لها قتْلِى

إذا جئتُها صَدّت حياءً بوجهِها * فتَهجُرُنى هجراً ألذَّ من الوصلِ

وإن حكمَت جارتْ علىّ بحكْمِها * ولكنّ ذاك الجورَ أشهى من العدْل

كَتمت الهوى جهْدى فجَدّده الأسى * بماء البُكا هذا يَخُطُّ وذا يُمْلى

وأحببْت فيها العَذْلَ حبّا لذِكرِها * فلا شىءَ أشهى فى فؤادى من العَذْلِ

أقول لقلبى كلّما ضامَه الأسى * إذا ما أبيْت العزَّ فاصبرْ على الذلّ

برأيِك لا رأيى تعرّضتُ للهوى * وأمرِك لا أمرى وفعلِكَ لا فعْلى

وجدْتَ الهوى نَصْلا من الموت مُغْمَدا * فجرّدْتَه ثم اتّكأت على النّصْل

فإن كنتُ مقتولا على غيرِ رِيبة * فأنتِ التى عَرّضت نفسىَ للقتلِ

فمن نظر إلى سهولة هذا الشعر ، مع بديع معناه ورقة طبعه ، لم يفضل شعر صريع الغوانى عنده إلا بفضل التقدم ، ولا سيما إذا قُرن قوله فى هذا الشعر

كتمت الذى ألقى من الحبّ عاذلى * فلم يدْرِ مابى فاسترحتَ من العذل

بقولى فى هذا الشعر :

أحبَبْت فيها العذْلَ حُبًا لذِكْرِها * فلاشىء أشهى فى فؤادى من العذْلِ

ومن قولنا فى رقة التشبيب وحسن التشبيه :

كم سَوْسَنٍ لطف الحياء بلوْنِه * فأصــارَهُ ورْداً على وجَناتِهِ

٥ ومثله :

يا لؤلؤًا يَسْبِي العقولَ أنيقا * ورَشاً بتقطِيعِ القلوبِ رفيقَا

ما إن رأيت ولا سَمِعْت بمثلِه * دُرًا يعود من الحياءِ عَقِيقا

ونظير هذا من قولنا فى رقة التشبيب وحسن التشبيه والبديع الذى لانظير له ، والغريب الذى لم يسبق إليه :

١٠ حوْراء داعيها الهوى فى حُور * حَكَمَت لواحِظُها على المقدورِ

نظرتْ إلىَّ بمقلةٍ أذمانة * وتلَفّتت بسوالف اليَعْفورِ

فكأنمـا غاض الأسى بجفونِها * حتى أتاك بلؤلؤ منثورِ

ونظير هذا من قولنا :

أدعو إليك فلا دُعاء يُسْمعُ * يا من يَضُرُّ بناظِرَيْه وينفعُ

١٥ للوردِ حينٌ ليس يَطلُعُ دونَه * والورد عندك كلَّ حينٍ يَطلُعُ

لم تنْصدعْ كبَدى عليك لضَعفِها * لكنها ذابت فمـا تتصـدّعُ

مَن لى بأجردَ ما يُبين لسانُه * خجلاً وسيْفُ جفونِه ما يَقْطع

منع الكلامَ سوى إشارةِ مُقْلةٍ * فبِهـا يُكلِّمُنى وعنهـا يسمع

ومثله :

٢٠ جمالٌ يفوتُ الوهْمَ فى غاية الفكر * وطرْفٌ إذا مافاهَ ينطقُ بالسِّحْرِ

ووجْهٌ أعار البدرَ حُلّةَ حاسدٍ * فمنه الذى يَسْود فى صفْحة البدرِ

وقال بشار بن برد :

ويح قَلْبي مابه من حُبِّها * ضاق من كِتمانه حتى علنْ

لا تلُمْ فيها وحسّن حبّها * كل ما مرّت به العينُ حَسَنْ

وله :

كأنهـا روضـةٌ منوّرةٌ * تنفّستْ فى أواخر السّحَر

ولبشار ، وهو أشعر بيت قاله المولّدون فى الغزل :

٥ أنا والله أشتهى سحر عَينيـ * ـك وأخشى مَصارع العشّاق

وله :

حَوراء إن نظرت إليـ * ـك سقتْك بالعينين خمرًا

وكأنها بَرْدُ الشرا * ب صفا ووافق منك فِطْرا

ولأبى نواس :

١٠ وذات خدٍّ مورّدْ * قُوهِيّـة المُتجرّدْ

تأمّلُ العـين منـ * ـها محاسناً ليس تنفَد

فبعضه فى انتهاءٍ * وبعضـه يتولّد

وكلما عُدْت فيـه * يكون فى العود أحمد

وله أيضا :

١٥ ضَعيفة كرِّ الطَّرف تحسب أنها * قريبة عهدٍ فى الإفاقة من سُقْمِ

قولهم فى النحول

قال عمر بن أبى ربيعة القرشى يصف نحول جسمه وشحوب لونه فى شعره الذى يقول فيه : لابن أبى ربيعة

رأتْ رُجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ * فيضْحى وأما بالعشىّ فيَخْصَرُ

٢٠ أخا سَفر جوّابَ أرضٍ تقاذفتْ * به فَلَواتٌ فهو أشْـعث أغبَرُ

قليـلا على ظهْر المطيّة شخصـه * خلا ما نَفَى عنه الرداءُ المحبَّر

وفى هذا الشعر يقول :

فلما فقدتُ الصوتَ منهم وأُطفئتْ ⁂ مصابيح شبّت بالعِشاء وأنْوُرُ
وغاب قُميْرٌ كنتُ أرجو غيوبَه ⁂ وروّحَ رُعْيانٌ ونوّم سُمّر
وخُفِّض عنى الصّوتُ أقبلتُ مِشيةَ الـ ⁂ ـحُبَاب وركْنى خيفة القوم أزوَر
فحيّيتُ إذ فاجأتُها فتلهّفتْ ⁂ وكادتْ بمكتوم التحيّة تجهر
وقالت وعضّت بالبنان : فضحْتَنى ⁂ وأنتَ امرؤٌ ميْسور أمرك أعسَر
أريْتك إذ هُنّا عليك ألم تَخَف ⁂ رقيباً وحوْلى من عدوّك حُضّر
فو الله ما أدرى أتعجيل حاجةٍ ⁂ سَرتْ بك أم قد نام من كنتَ تحذَر
فقلت لها بل قادنِى الشوق والهوى ⁂ إليكِ وما عينٌ من الناس تنظر
فيا لك من ليلٍ تَقاصَر طوله ⁂ وما كان ليلِى قبل ذلك يَقصر
ويا لك من ملهى هناك ومجلس ⁂ لنا لم يكدِّرْه علينا مكدِّر
يَمُجّ ذكىَّ المسك منها مفلَّجٌ ⁂ رقيق الحواشى ذو غروبٍ مؤشّر
وتَرنو بعينيها إلىّ كما رَنا ⁂ إلى رَبرب وسْط الخميلةِ جُؤذر
بَروق إذا تفترّ عنه كأنه ⁂ حصَى برَدٍ أو أقحوان منوّر
فلما تقضّى الليل إلا أقلَّه ⁂ وكادت توالى نجمِه تتغوّر
أشارت بأنّ الحىّ قد حان منهمُ ⁂ هُبوب ولكن موْعد لك عزْوَر
فما راعنى إلا منادٍ برحلةٍ ⁂ وقد لاح مفتوق من الصُّبح أشقَر
فلما رأت مَن قد تنوّر منهمُ ⁂ وأيقاظَهم قالت أشِرْ كيف تأمر
فقلت : أباديهم فإمّا أفوتهم ⁂ وإمّا ينال السيف ثأراً فيثأر
فقالت : أتحقيقاً لما قال كاشح ⁂ علينا وتصديقاً لما كان يُؤثَر
فإن كان ما لا بدّ منه فغيْره ⁂ من الأمر أدنى للخفاء وأستَر
أقصُّ على أختَىَّ بَدء حديثنا ⁂ ومالىَ من أن يعلما متأخّر

لعلّهما أن يَبغيا لك مخرَجًا * وأن يَرحبا صدراً بما كنت أحصَر

فقالت لأختيْها أعينا على فتى * أتى زائراً والأمر للأمر يُقدَر

فأقبلتا فارتاعَتا ثم قالتا * أقِلّى عليكِ اللوم فالخطْب أيسَر

يقوم فيمشى بيننا متنكّراً * فلا سرُّنا يفشو ولا هو يُبصِر

٥ فكان مِجَنّى دون ما كنت أتّقى * ثلاثَ شخوصٍ: كاعبان ومُعصِر

فلما أجَزْنا ساحةَ الحىّ قُلْنَ لى * ألم تتّق الأعداء والليل مُقمِر

وقُلنَ أهذا دأبك الدهرَ سادراً * أما تستحى أم تَرعوى أم تفكّر

ويروَى أنّ يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة ، اعترض الناس ، فمرّ به رجل من أهل الشام معه تُرس قبيح ، فقال : يا أخا

١٠ أهل الشام ، مجنّ ابن أبى ربيعة كان أحسن من مجنّك هذا ! يريد قول عمر ابن أبى ربيعة :

فكان مجنّى دون ما كنت أتّقى * ثلاثَ شخوصٍ: كاعبانِ ومُعصِر

لأعرابى

وقال أعرابىّ فى النحول :

ولو أنّ ما أبقيْتِ منى معلّق * بعُود ثَمامٍ ما تأوّدَ عودُها

لبعضهم

١٥ وقال آخر :

إن تسألونى عن تباريحِ الهوى * فأنا الهوى وأبو الهوى وأخوهُ

فانظرْ إلى رجلٍ أضرَّ به الأسى * لولا تقلُّب طرفه دفنوه

وقال مجنون بنى عامر فى النحول :

ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالك * صدًى أينما تذهبْ به الريح يذهبِ

لابن هانئ

٢٠ وللحسن بن هانئ :

كما لا ينقضى الأرَبُ * كذا لا يَفتُر الطلبُ

ولم يُبق الهوى إلا * أقلّ وهو مُحتسَب

سوى أنى إلى الحيوا * ن بالحركات أنتسب

وقال آخر وهو خالد الكاتب :

هذا مُحبُّكِ نِضْوٌ لاحَراكَ به * لم يبقَ من جسمه إلا توهُّمه

لابن عبد ربه ومن قولنا فى هذا المعنى :

سبيلُ الحبِّ أوّله اغترارُ * وآخره همومٌ وادِّكارُ

وتلقى العاشقين لهم جُسومٌ * بَراهاالشوقلو نُفخوا الطاروا ٥

ومثله من قولنا :

لم يبقَ من جُثْمانِه * إلا حُشاشة مبتئِس

قد رَقَّ حتى ما يُرى * بل ذاب حتى ما يُحَس

وقال الحسن بن هانئ فى هذا المعنى ، فأربى على الأوّلين والآخرين :

يا مَن تموّتَ عمْداً * فكان للعين أملَى ١٠

وفى الشعوثةِ أرْبى * فكانأشهى وأحلَى

أردتَ أنتزدريكَ * العيون هيهات كلاّ

يا عاقدَ القلبِ منى * هلّا تَذكّرتَ حَلّا

تركْت منى قليلا * من القليل أقلّا

يكاد لا يتجزّا * أقلّفىاللفظ منلا ١٥

لأبى العتاهية ولأبى العتاهية :

تلاعبْتِ بى يا عُتْبَ ثم حَمَلْتِنى * على مركب بين المنية والسُّقْم

ألا فى سبيل الله جسمى وقوّتى * ألا مُسعد حتىأنوح على جسمى

وله :

لم تُبْقِ منى إلا القليلَ وما * أحسبها تترك الذى بقيا ٢٠

قولهم فى التوديع

ابن حميد وجارية له

قال سعيد بن حميد الكاتب وكان على الخراج بالرقة : ودعت جارية لى تسمى شفيعاً وأنا أضحك وهى تبكى ، وأقول لها : إنما هى أيام قلائل ! قالت : إن كنت تقدر أن تخلف مثل شفيع فنعم ! فلما طال بى السفر واتصلت بى الأيام كتبتُ إليها كتابا ، وفى أسفله :

ودعْتُها والدّمع يقطُرُ بينَنا ٭ وكذاكَ كلُّ مُلذَّعٍ بفِراقِ
شُغِلَتْ بتفْييضِ الدُّموعِ شِمالُها ٭ ويمينُها مشغولةٌ بعِناق

قال : فكتبتْ إلىّ فى طومار كبير ليس فيه إلا : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ [فى أوله] وفى آخره : يا كذاب ، وسائر الكتاب أبيض ، قال : فوجهتُ الكتاب إلى ذى الرياستين الفضل بن سهل . وكتبتُ إليها كتاباً على نحو ما كتبت ، ليس فيه إلا : بسم الله الرحمن الرحيم ، فى أوله ، وفى آخره أقول :

فودعتُها يومَ التفرُّقِ ضاحِكا ٭ إليها ولم أعْلَمْ بأنْ لا تَلاقِيا
فلو كنتُ أدرى أنهُ آخِرُ اللِّقا ٭ بكَيْتُ وأبْكيتُ الحبيبَ المُصافيا

قال : فكتبتْ إلىّ كتابا آخر ليس فيه إلا : بسم الله الرحمن الرحيم ، فى أوله ، وفى آخره : أعيذك بالله أن يكون ذلك ! فوجهتُه إلى ذى الرياستين الفضل بن سهل فأشخصَنى إلى بغداد وصيّرنى إلى ديوان الضياع .

ابن يحيى وجاريتان

محمد بن يزيد الرَّبعى عن الزبير عن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل قال : إنه لما نفاه المتوكل إلى جزيرة أقريطش فطال مقامه بها ، تمتع بجارية رائعة الجمال بارعة الكمال ، فأنسته ما كان فيه من رونق الخلافة وتدبيرها ، وكان قبل ذلك متيّما بجارية خلّفها بالعراق ، فسلا عنها ؛ فبينما هو مع الأقريطشيّة فى سرور وحبور ، يحلف لها أنه لا يفارق البلد ما عاش ، إذ قدم عليه كتاب جاريته

من العراق وفيه مكتوب :

كيف بَعدِى لاذُقتمُ النومَ أنتم ٭ خبّرونى مُذ بِنْتُ عنكمْ وبِنتُمْ
بمِراضِ الجفونِ من خُرّدِ العيـــنِ وورْدِ الخدودِ بعْدى فتِنْتم
يا أخِلّاىَ إنّ قلبى وإنْ با ٭ نَ، من الشوقِ عندكم حيثُ كنتم
فإذا ما أبَى الإلهُ اجتماعاً ٭ فالمنايا علىّ وَحدى وعِشتم ٥

أخذتْ هذا المعنى من قول حاتم :

إذا ما أتى يومٌ يُفَرّقُ بيننا ٭ بموْت، فكُنْ أنت الذى تتأخّرُ

فلم يباشر لذة بعد كتابها، حتى رضى عنه المتوكل وصرفه إلى أحسن حالاته .

المعتز وجارية لابن رجاء

الزبيرى قال : حدثنى ابن رجاء الكاتب قال : أخذ منى الخليفة المعتز جارية كنت أحبها وتحبنى ؛ فشربا معاً فى بعض الليالى ، فسكر قبلها ، وبقيت وحدها ولم ١٠ تبرح من المجلس هيبةً له ، فتذكرتْ ما كنا فيه من أيامنا ، فأخذت العود فغنت عليه صوتاً حزيناً من قلب قريح وهى تقول :

لا كان يومُ الفِراقِ يوما ٭ لم يُبقِ للمُقلتيْن نوما
شتّتَ منّى ومنكَ شملا ٭ فسَرّ قوماً وساء قوما
ياقومِ مَن لى بوَجدِ قلبٍ ٭ يَسومُنى فى العذابِ سَوما ١٥
مالامَنى الناسُ فيـه إلا ٭ بكيْتُ كيما أزَاد لَوما

فلما فرغت من صوتها رفع المعتز رأسه إليها والدموع تجرى على خديها كالفرند انقطع سلكه فسألها عن الخبر وحلف لها أن يبلغها أملها ، فأعلمته القصة فردها إلىّ وأحسن إليها ، وألحقنى فى ندمائه وخاصته .

أبو أحمد وجارية له

وكان لأبى أحمد صاحب حرب المعتمد جارية ، فكتبت إليه وهو مقيم على ٢٠ العلوى بالبصرة تقول :

لنا عَبَراتٌ بعدَكم تبعثُ الأسَى ٭ وأنفاسُ حُزن جَمّةٌ وزَفيرُ
ألا ليت شِعْرى بعدَنا هل بكيْتُمُ ٭ فأمّا بُكائى بعدَكم فكثيرُ

قال أبو أحمد : فلم يكن لى همٌّ غيرها حتى قفلتُ من غزاتى .

مروان وجاريته

وكتب مروان بن محمد وهو منهزم نحو مصر إلى جارية له خلفها بالرّملة :

وما زالَ يَدعونى إلى الصَّدِّ ما أرى * فأنأى ويَثْنِينى الذى لكِ فى صَدرِى

وكانَ عزيزاً أنْ بيْنى وبينَها * حِجاباً فقد أمسَيْتُ منكِ على عشْرِ

٥ وأنكاهُما واللهِ للقلبِ فاعلَمى * إذا ازْددتُ مِثلَيها فصرْتُ على شهْرِ

وأعظمُ منْ هٰذَين واللهِ أنَّنى * أخافُ بأنْ لا نَلتقِى آخرَ الدّهْرِ

سأبكيكِ لامُستَبقِياً فيْضَ عبْرةٍ * ولا طالِباً بالصَّبْرِ عاقبةَ الصَّبْرِ

ابن بكار ورجل بالثغر

الزبير بن بكار قال : رأيت رجلا بالثغر وعليه ذلة واستكانة وخضوع ، وكان يكثر التنفس ، ويخفى الشكوى ، وحركات الحب لا تخفى ؛ فسألتُه وقد

١٠ خلوتُ به فقال وقد تحدّر دمعه :

أنا فى أمرَىْ رشادٍ * بينَ غزوٍ وجهادِ

بَدنِى يَغزوَ الأعادِى * والهوى يَغزُو فؤادِى

يا عَليما بالعبـــادِ * رُدّ إلفِى ورُقادى

لأعرابى

وقال أعرابىٌّ يصف البين :

١٥ أدْمَتْ أناملَها عَضًّا على البَيْنِ * لمَّا انثَنتْ فرأتْنى دامعَ العيْنِ

وودّعتْنِى إيماء وما نَطَقتْ * إلا بسَبَّابةٍ منها وعيْنَيْنِ

وَجدى كوَجدِكِ بل أضعافُه فإذا * عنِّى تَوارَيْتِ قابَ الرُّمحِ واحَيْنى

وإنْ سَمِعتِ بموتِى فاطلُبى بدمِى * هَواكِ والبيْنَ واستعدِى على البيْنِ

لبعضهم

وقال آخر :

٢٠ مالتْ تُودّعُنى والدّمعُ يَغلِبُها * كما يميلُ نَسيمُ الرِّيحِ بالغُصُنِ

ثمّ استمرّت وقالتْ وهْىَ باكيةٌ * ياليتَ معْرِفتى إيّاكَ لم تكُنِ

وقال آخر :

أنين فاقدِ إلْفٍ أنّ فى الغَلَسِ * حتى تَضايق منه مَخْرَجُ النَّفَسِ
فكلّما أنّ من شَوْقٍ أجالَ يداً * على فؤادٍ له بالبيْن مُختلَس

وقال آخر :

أَمُبْتَكِرٌ لِلبيْنِ أم أنت رائحُ * وقلبك ملهوفٌ ودمعُكَ سافحُ ٥
ألآن تبكى والنّوى مُطْمَئِنّةٌ * فكيف إذا بارَحْتَ مَنْ لاتبارِحُ
فإنك لم تَبْرَحْ ولا شَطَّتِ النوى * ولكنّ صبرى عن فؤادىَ نازحُ

وقال آخر :

إذا انفتحت قيودُ البيْنِ عنّى * وقيل أُتيحَ للنّائى سَراحُ
أبت حلقاتُهُ إلّا انقفالا * ويأبَى اللهُ والقدرُ المُتاح ١٠
ومن لى بالبقاء وكلّ يوم * لسهمِ البيْنِ فى كبِدى جِراحُ

لمحمد بن أبى أمية

وقال محمد بن أبى أمية الكاتب :

يا غريباً يبكى لكلّ غريب * لم يَذُقْ قبلَها فِراق حبيب
عزّهُ البيْنُ فاستراح إلى الدّمْ * ع وفى الدمع راحةٌ للقلوبِ
ختَلَتْهُ حوادثُ الدهرِ حتى * أقصدَتْهُ منها بسهم مُصيب ١٥
أىَّ يومٍ أراك فيه كما كنْ * ت قريباً فأشتكى من قريب

لأبى الطيامير

وقال أبو الطيامير :

أقول له يومَ ودّعْتُهُ * وكلٌّ بعَبْرته مُبلسُ
لئن رجعتْ عنك أجسامُنا * لقد سافرتْ معكَ الأنفُسُ

لأبى العتاهية

وقال أبو العتاهية : ٢٠

أبيتُ مُسَهّداً قلِقاً وِسادِى * أُروِّحُ بالدموعِ عنِ الفؤادِ
فراقكَ كان آخرَ عهد نَومى * وأوّل عهد عينى بالسُّهادِ

فلم أر مثل ماسُلِبَتْهُ نفسى * ومارجعتْ به من سوء زادِ

للتسترى

وقال محمد بن يزيد التُّسْتَرى :

رَفعتْ جانباً إليك مِنَ الكِلَّـ * ـةِ قد قابلَتْهُ طرْفاً كحيلا

نظرتْ نظرةَ الصّبابةِ لا تَمْـ * ـلِكُ للبين دَمعها أن يجولا

٥ ثم ولّتْ وقد تغير ذاكَ الصُّـ * ـبحُ من خدّها فعاد أصيلا

لابن عثمان

وقال يزيد بن عثمان :

دَمعـة كاللُّـؤْلُؤِ الرَّطـ * ـب على الخـدِّ الأسِيل

وجُفُون تنفُثُ السِّحْـ * ـرَ من الطَّرْفِ الكحيل

إنمـا يَفْتضِحُ العـا * شقُ فى يوم الرحيل

لابن الجهم

١٠ وقال على بن الجهم :

ياوحشتا للغريبِ فى البلدِ النّـ * ـازِحِ ماذا بنفسه صـنعا

فارق أحبـابَه فـا انتفعوا * بالعَيْشِ من بعدِه وما انتفعا

يقولُ فى نَأْيِه وغُرْبتِـه : * عدلٌ من الله كلُّ ما صنَعا

لبعضهم

وقال آخر :

١٥ بانُوا وأضحى الجسمُ من بعدِهمْ * ما تُبْصِرُ العـينُ له فَيّـا

يا أسفى منهم ومن قولِهمْ * ما ضرّكَ الفقدُ لنـا شَيّا

بأىّ وجـهٍ أتلقـاهُمُ * إن وجدونى بعـدهُمْ حيّا

وقال آخر :

أترْحلُ عن حبيبِك ثم تبكى * عليه ، فمن دعاكَ إلى الفِراقِ ؟

لهدبة

٢٠ وقال هُدْبة العذْرى :

ألَا ليت الرياح مسخَّراتٌ * بحاجتنا تُبـاكِرُ أو تئوبُ

فتُخْبِرَنا الشّمالُ إذا أتتْنـا * وتُخبرَ أهلنا عنّـا الجنوبُ

عسى الكربُ الذي أمسيْت فيه * يكون وراءه فرجٌ قريبُ
فيأمنَ خائفٌ ويُفكَّ عانٍ * ويأتىَ أهلَه النّائي الغريب

لبعضهم وقال آخر :

لا بارك الله فى الفِراقِ ولا * بارك فى الهَجْرِ ما أمرَّهُما
لو ذُبِح الهجرُ والفِراقُ كما * يُذْبَحُ ظبْيٌ لَمَا رحِمْتُهما ٥
شربت كأس الفراقِ مُتْرَعَةً * فطار عن مُقْلتىّ نومُهُما
يا سيِّدى والذى أؤمِّلُه * ناشدْتُك اللهَ أن تذوقَهُما

لحبيب وقال حبيب الطائى :

الموت عنـــدى والفِرا * قُ كِلاهما ما لايُطاقْ
يتعاونانِ على النفو * سِ فذا الحِمامُ وذا السِّياقُ ١٠
لو لم يكن هــذا كذا * ما قيل موتٌ أو فِراق

وقال آخر :

شتانَ ما قُبْلَة التّلاقِى * وقُبلةٌ ساعةَ الفِراقِ
هذِى حياةٌ وتلك موْتٌ * بينهما راحةُ العِناق

لابن حميد وقال سعيد بن حميد : ١٥

موقفُ البيْن مأتم العاشقينا * لاترى العيْنُ فيه إلّا حزينَا
إنّ فى البيْن فرحتَيْن : فأمّا * فرحتِى بالوَداع للظّاعِنينا ...
فاعتِناقٌ لِمَن أُحِبُّ وتقْبِيـــلٌ ولمسٌ بحضرةِ الكاشِحِينا
ثم لى فرحة إذا قَدِم النّا * سُ لتسليمِهم على القادِمينا !

لأعرابى وقال أعرابى : ٢٠

ليلُ الشَّجِىِّ على الخلِىِّ قصيرُ * وبَلا المحبِّ على المحبِّ يسيرُ
بانَ الذين أُحبُّهُم فتحمّلوا * وفِراقُ من تهوى عليك عسيرُ

فلأَبعثَنَّ نِياحةً لفراقِهم * فيها تُلطَّم أوجُهٌ وصُدورُ
ولألبسَنّ مَدارعاً مُسودّةً * لُبْس الثَّواكِل إذ دهاكِ مسيرُ
ولأذكُرنّك بعد موتى خاليا * فى القبر عندى منكَرٌ ونكيرُ
ولأطلُبنّك فى القيامةِ جاهداً * بين الخلائقِ والعبادُ نُشور
٥ فبجنّةٍ إن صِرْت صِرتُ بجنةٍ * ولئن حَواك سعيرُها فسَعير
والمُستهام بكلّ ذاك جدير * والذّنبُ يُغفَروالإله شَكور

ومن قولنا فى البين : لابن عبد ربه

هَيّج البيْنُ دواعِي سَقَمى * كَسا جسمى ثوْب الألم
أيهـــا البيْنُ أَقِلْنى مرة * فإذا عُدْتُ فقد حَلَّ دمِى
١٠ يا خَليَّ الرُّوع نَم فى غِبطةٍ * إنّ من فارقْته لم يَنَم ا
ولقـــد هاج لقلبي سَقَمًا * ذِكْر من لوشاء داوى سَقمى

ومن قولنا فى المعنى :

ودّعتْنى بزفرةٍ واعتنـــاقِ * ثم نادت : متى يكونُ التلاق؟
وتصدّت فأشْرَق الصُّبحُ منها * بيْن تلك الجيوبِ والأطواقِ
١٥ ياسقيمَ الجفونِ منغيْرِ سُقْمٍ * بين عينيْك مَصْرعُ العُشّاقِ
إنّ يوم الفِراق أفظعُ يومٍ * ليتَنى مِتُّ قبل يوم الفِراقِ

ومن قولنا فيه :

فررْتُ من اللّقاء إلى الفِراقِ * فحسبِي ما لقيتُ وما أُلاقى
سَقانى البيْن كأس الموْتِ صِرْفاً * وما ظنى أموتُ بكفّ ساق
٢٠ فيابَرْد اللقــاء إلى فؤادى * أجِرْنى اليومَ منْ حرّ الفِراق

وقال مجنون بنى عامر .

وإنى لمُفْنٍ دمعَ عينى من البكا * حَذاراً لأمرٍ لم يكن وهو كائن

وقالوا : غداً أو بعد ذاك بليْلةٍ ۞ فِراقُ حبيب لم يَبِنْ وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكونَ منيّتى ۞ بكفّىَّ إلّا أنّ ماحانَ حائن

الباهلى وقال أبو هشام الباهلى :

خليلى غداً لا شكَّ فيه مودّعُ ۞ فوالله ماأدرى غداً كيف أصنعُ
فواحَزَنَاً إن لم أُوَدّعه غَدْوةً ۞ ويا أسفا إن كنتُ فيمنْ يُوَدّع ٥
فإن لم أُوَدّعْه غَداً مِتُّ بعده ۞ سريعاًوإن ودّعتُ فالموتُ أسرع
أنا اليومَ أبكيهِ فكيف به غداً ۞ أنا فى غَد والله أبكى وأجزع
لقد سَخِنَتْ عيْنى وجلّت مُصيبتى ۞ غَداةَ غدٍ إن كان ماأتوقّع
فيايومُ لاأدبَرْتَ اهل لكمَحْبِسٌ؟ ۞ ويا غَدُ لاأقبلْت اهل لك مدفَعُ

لبشار وقال بشار بن برد : ١٠

نبتْ عينى عن التغميض حتى ۞ كأنّ جفونها عنها قِصارُ
أقول وليلتى تزداد طولاً ۞ أما للّيل بعدكم نهار

للمعتصم وقال المعتصم لما دخل مصر وذكر جارية له :

غريبٌ فى قُرى مِصْرٍ ۞ يُقاسى الهمَّ والسّقَما
لَليْلكَ كان بالميْدا ۞ نِ أقصرَ منه بالفرما ١٥

لبعضهم وقال آخر :

وداعُكَ مثْلُ وداعِ الربيع ۞ وفقدُكَ مثلُ افتِقادِ الدِّيمْ
عليكَ سلامٌ فكمْ من نَدًى ۞ فقدْناه منكَ وكم من كَرم

قولهم فى الحمام

لجحدر قال أبو الحسن الأخفش : قال جحدر العُكلى ، وكان لصّا : ٢٠

وقِدْماً هاجَنى فازدَدْتُ شوقاً ۞ بُكاءُ حمامتيْن تجاوَبانِ
تجاوَبتا بلحْن أعجَمِىّ ۞ على عودَيْنِ من غربٍ وبان

فكان البانُ أن بانتْ سُليمى ٭ وفى الغربِ اغترابٌ غيرُ دان

وقال آخر :

وتفرّقوا بعــدَ الجميع لأنّه ٭ لا بدّ أن يتفرّقَ الجيرانُ

لا تَصبِرُ الإبِلُ الجيادُ تفرّقتْ ٭ بعد الجميع ، ويَصبِرُ الإنسانُ !

٥ وقال آخر :

فهل ريبة فى أن تَحنّ نَجيبةٌ ٭ إلى إلفِها أو أنْ يحنّ نَجيبُ

وإذا رجعت الإبل الحنين كان ذلك أحسنَ صوت يهتاج له المفارِقون كما يهتاجون لنوح الحمام .

لابن علم

وقال عوف بن مُحلَّم :

١٠ ألا يا حَمامَ الأيْكِ إلفكَ حاضرٌ ٭ وغُصْنُكَ مَيّادٌ ففيمَ تَنوحُ ؟

وكل مطوّقة عند العرب حمامة ، كالدُّبْسِى والقُمرى والورَشان وما أشبه ذلك ؛ وجمعها حمام ، ويقال : حمامة ، للذكر والأنثى ؛ كما يقال : بطة ، للذكر والأنثى ؛ ولا يقال حمام إلا فى الجمع ، والحمامة تبكى وتغنى وتنوح وتغرد وتسجع وتقرقر وتترنم ؛ وإنما لها أصوات سجيع لا تُفهم فيجعله الحزين بكاء ، ويجعله
١٥ المسرور غناء .

لحميد

قال حميد بن ثور :

وما هاجَ هذا الشوقَ إلا حمامةٌ ٭ دعَتْ ساقَ حُرٍّ تَرحةً وتَرنُّما

مُطوّقةٌ خطْباء تَسجعُ كلّما ٭ دنا الصّيفُ وانزاحَ الربيعُ فأنجما

تغنّتْ على غُصنِ عشاءً فلم تَدعْ ٭ لنائِحــةٍ فى نوحِها مُتلوَّما

٢٠ فلم أر مِثلى شاقهُ صوتُ مثلِها ٭ ولا عربيا شاقه صوتُ أعجما

للمجنون

وقال مجنون بنى عامر :

ألا يا حماماتِ اللّوى عُدْنَ عُدوةً ٭ فإنى إلى أصواتِكنّ حزين

فعُدنَ ، فلما عُدن كِدنَ يُمِتْنَنى * وكِدتُ بأشجــانى لهنّ أُبِين

فلم تَر عينى مِثلهنّ بواكياً * بَكَيْنَ ولم تَذرِفْ لهن عُيون!

لحبيب وقال حبيب فى المعنى :

هُنّ الحَمامُ فإن كَسَرْتَ عِيافةً * من حائِهن فإنّهن حِمامُ

وقال : ٥

كما كادَ يَنسى عهدَ ظمياء بالِّلوى * ولكنْ أملّتهُ علىّ الحمائمُ

بَعَثْنَ الهوى فى قلب من ليسَ هائما * فقلْ فى فُؤادي رُعْنَهُ وهْو هائم

لها نَغَمٌ ليست دُموعاً فإن علت * مَضت حيثُ لا تَمضى الدُّموعُ السواجِم

لابن عبد ربه ومن قولنا فى الحَمام :

١٠ فكيفَ ، ولى قلبٌ إذا هبّت الصَّبا * أهاب بِشوقٍ فى الضلوعِ مَكِينِ

ويَهتاجُ منه كلُّ ما كان ساكِنا * دُعاء حمــامٍ لم تَبِت بوُكون

وكان ٱرتياحِى من بُكاء حمامةٍ * كَذِى شَجَن داويْته بشُجون

كأنّ حمــامَ الأيكِ لما تجاوبَت * حزينٌ بكى من رحمةٍ لِحزين

ومن قولنا فى المعنى :

١٥ ونائِح فى غُصونِ الأيكِ أرّقنى * وما عنيت بشىء ظَلّ يَعنيهِ

مُطوّقٌ بخضابٍ ما يُزايِلهُ * حتى تُفارقَه إحــدى تَراقيه

قد بات يَشكو بشجْوٍ ما دَريت به * وبِتُّ أشكو بشجْوٍ ليس يَدْريه

ومن قولنا فيه :

أناحت حماماتُ الِّلوى أم تغنّتِ * فأبدَتْ دواعى قلبه ما أجنّت

٢٠ فدَيْت التى كانت ولا شىء غيرها * مُنى النفسِ لو تُقضَى لها ما تمنّت

ومن قولنا :

لقد سَجعت فى جُنحِ ليْل حمامةٌ * فأىَّ أسًى هاجت على الهائمِ الصبّ

لكِ الويلُ كم هيّجتِ شجواً بلا جَوى * وشكْوى بلا شكوى وكَرْباً بلا كرْبِ
وأسكَبْتِ دمعا من جُفونٍ مُسهَّدٍ * ومارقْرَقتْ منك المدامع السَّكبِ

وقال ذو الرمة : لذى الرمة

رأيتُ غُراباً ناعِباً فوقَ بانةٍ * من القضْب لم ينبُتْ لها ورقٌ نَضْر
٥ فقلتُ غُرابٌ لاغتِرابٍ وبانةٌ * لِبينِ النّوى هٰذا العيافةُ والزَّجْر

قولهم فى طيب الحديث

قال عدى بن زيد : لعدى

فى سمـاعٍ يَأذنُ الشيْخُ له * وحديثٍ مثلِ ماذِيٍّ مُشارِ

وقال القطامى : للقطامى

١٠ فهنّ ينبِذْنَ من قولٍ يُصِبن بهِ * مواقعَ الماء من ذى الغلةِ الصّادِى

وقال جران العَوْد : لجران العود

فنِلنا سِقاطاً من حديث كأنهُ * جَنى النَّحْلِ أو أبكارُ كرْمٍ تقطَّفُ

وقال آخر : لآخر

وإنا ليَجْرى بيننا حين نلتقى * حديثٌ له وشْىٌ كوشْىِ المطارِف

١٥ وقال بشار : لبشار

وكأن نَشْرَ حديثِها * قِطَعُ الرياض كُسينَ زَهرا

وله :

لئن عشقتْ أذْنى كلاماً سمعتُهُ * فقلبى إذاً لا شكَّ باللحظ أعْشقُ
وكيف تناسِى من كأنّ كلامه * بأُذْنى ولو عرّيتُ قُرْط معلّقُ

٢٠ وقال بشار أيضا :

وبِكر كنُوّارِ الربيع حديثُها * يَروقُ بوجْهٍ واضِحٍ وقوامِ

لبعضهم وقال آخر :

كأنما عسلٌ رُجْعانُ منطِقِها * إن كان رَجْعُ كلامٍ يُشبه العسلا

وقال آخر :

وحديثٌ كأنه زهرُ الرَّوْ * ضِ وفيه الصَّفْراء والحمراء

قولهم فى الرياض

٥

المعلى أنشد أحمد بن جدار للمعلّى الطائى :

كأنَّ عيونَ الرَّوْضِ يَذْرِفْن بالنَّدى * عيونٌ يُراسلْن الدموعَ على غدْرِ

البحترى وقال البحترى :

شقائقُ يحمِلنَ النَّدى فكأنه * دُموع التَّصابى فى خُدودِ الخرائدِ

ومن لؤلؤٍ كالأقحوانِ مُنَضَّدٍ * على نُكَت مُصْفرَّةٍ كالفرائد ١٠

وقال أيضا :

وقد نبَّه النَّيْرُوز فى غَلَسِ الدُّجى * أوائلَ وَرْدٍ كن بالأمس نُوّما

يُفَتِّقُه بَرْدُ النَّـــدى فكأنه * يَبُثُّ حديثاً كان قبلُ مُكتَّما

ومن شجَرٍ رَدَّ الرَّبيعُ لباسَـــه * عليها كما نَشَّرت وشْياً مُنَمْنَما

الأعشى وقال أعشى بكر : ١٥

ماروْضةٌ من رياض الحُسنِ مُعْشِبة * خضراء جادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ

يُضاحك الشمسَ فيها كوكبٌ شَرِقٌ * مُؤَزَّرٌ بعميمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ ...

... يوما بأطيَبَ منها نَشْرَ رائحةٍ * ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأصلُ

لابن أبى طاهر وأنشد ابن أبى الطاهر لنفسه :

فتقَتْ جيوبَ الرَّوْضِ منها دِيمة * حلَّتْ عَواليهـا صَباً وقَبولُ ٢٠

ولهـا عيونٌ كالعيونِ نواظرٌ * تبدو فمنهـا أُمْرَهٌ وكحيل

وقال الأخطل الصغير : للأخطل الصغير

خلَع الرَّبيعُ على الثَّرى من وَشْيِه * حُللا يَظَلُّ بهـا الثرى يتخيّلُ
نَور إذا مَرَت الصَّبا فيه الندى * خِلْتَ الزَّبرجدَ بالفَريد يُفصَّل
فكأنها طَوْراً عُيونٌ كُحَّلٌ * وكأنها طوْراً عُيونٌ هُمَّل

٥ وقال أبو نواس : لأبي نواس

يومٌ تقاصرَ واستبتَّ نعيمه * فى ظلِّ مُلْتفِّ الحدائقِ أخضرَا
وإذا الرِّياح تنسَّمت فى روْضةٍ * نثرتْ به مسكا عليك وعنبَرا

وأنشد ابن مُسهر لابن أبى زرعة الدمشقى يقول : لابن أبى زرعة

وقد لبسَتْ زهرُ الرِّياض حُليَّها * وجُللتِ الأرضُ الفضا بالزخارِفِ
١٠ لجَيْنٌ وعِقْيانٌ ودُرٌّ وجوهرٌ * تُؤلِّفه أيدى الربيع اللطائف

وأنشد البحترى لنفسه : البحترى

قطراتٌ من السحابِ وروْضٌ * نثَرتْ وردَها عليه الخدودُ
وكأن الحوذانَ الأقحوانَ الـــغضَّ نَظْمان : لؤلؤٌ وفريدُ

وأنشد ابن جِدار للمعلّى : للمعلى

١٥ ترى للندَى فيه مجالا كأنمـا * نثَرْت عليه لؤلؤاً فتبدّدا

وأنشد ابن الحارثى لنفسه : لابن الحارثى

وماروضـــةٌ عُلْوِيّةٌ أسَـــدِيّةٌ * مُنمْنَمَةٌ زهراء ذاتُ ثَرى جَعْدِ
سقاها الندى فى عقْبِ جنْح من الدُّجى * فنُوّارُها يهتزُّ بالكوكب السعدِ
بأحسنَ من حرٍ تضمّن حاجةً * لِحُرٍ فأوْفى بالنجاح مع الوعـــدِ

٢٠ وأنشد محمد بن عمار للحسن بن وهب، يقول : لابن وهب

طلَع الربيعُ على الرياض فبُشِّرتْ * نوْرُ الرياض بجِدَّةٍ وشـــبابِ
وغدَا السَّحابُ مُكَلِّلا جوَّ الثرى * أذيالَ أسْحمَ حالِكِ الجلبـابِ

فترى السماء إذا أحـــدّ ربابُها • فكأنما التحفت جناحَ غُرابِ
وترى الغُصونَ إذا الرياحُ تناوحت • مُلتفّةً كتعانُقِ الأحبابِ

لحبيب وقال حبيب بن أوس الطائى :

الروضُ ما بين مَغبوقٍ ومُصطبِحٍ • من ريق مكتفلاتٍ فى الثرى دُلُجِ
وطُف إذا وكَفَتْ فى روضةٍ طفِقتْ • عيونُ نُوّارِها تبكى من الفرَجِ ٥

البحترى وأنشد البحترى فى دمشق :

إذا أردتَ ملأتَ العينَ من بلدٍ • مُستحسنٍ وزمانٍ يُشبه البلدا
يُمسى السحابُ على أجبالِها فِرَقاً • ويُصبح النَّبتُ فى صحرائها بَددا
فلستَ تُبصِر إلّا واكِفاً خضِلا • أو يانعاً خضِراً أو طائراً غرِدا
كأنما القَيْظُ ولّى بعد جَيئتِه • أوِ الربيعُ دنا من بَعد ما بَعُدا ١٠

لأشجع وأنشد ابن أبى الطاهر لأشجع :

من الكنائس والأرواح مُطرِدٌ • للعين يلعبُ فيه الطرْفُ والبصَرُ
فى رُقعةٍ من رِقاع الأرض يعمُرُها • قومٌ على أبوَيهم أجمعتْ مُضَرُ

لعلى بن الخليل وأنشد على بن الجهم لعلىّ بن الخليل :

وروضةٍ فى ظِلالِ دَسْكَرةٍ • جداولُ الماءِ فى جوانبِها ١٥
تَستَنُّ فى روضةٍ مُنوّرةٍ • يُغرِّد الطيْرُ فى مَشارِبها
كأنّ فيها الحُلِىَّ والحُلَلَ الــسَّيْمنة تهدى إلى مَرازِبها

لإبراهيم بن العباس وقال إبراهيم بن العباس الكاتب :

تأمّلْ سماءً أظلّت عليــــك فيها مَصابيحُها تزهرُ
وأرضاً تُقابلُها بالعرو • س والمَرْج بينهما جعفرُ ٢٠
ومُنسحَبَ نورٍ غَداةَ الربيــــع أنفاسُه المسكُ والعنبرُ
خلالَ شقائقِه أصفرُ • وأضعافَ أصفرِه أحمرُ

وللماءِ مُطَّرَدٌ بينه * يُصفِّق باديَه المصدرُ
يُشارفه البَرُّ من جانبٍ * ومن جانبٍ بحرُه الأخضر
مجالُ وحوش ومَرْقى سفين * فياعَرْفَ لهو ويا منظرُ
ويا حُسنَ دُنيا ويا عزّ مُلْكٍ * يَسوسُهما السائسُ الأكبرُ

٥ وقال ابن أبى عُيينة فى بستانه : لابن أبى عيينة

يُذكِّرنى الفردوسَ طوْراً فأنثنى * وطوْراً يُواتينى إلى القَصْف والفَتْكِ
بغرْسٍ كأبكارِ العذارى وتُربةٍ * كأنّ ثَراها ماءُ وردٍ على مِسْك
كأنّ قصورَ الأرضِ ينظُرْن حوْله * إلى ملِكٍ أوفى على مِنْبر المُلْك
يُدلُّ عليها مُستطيلا بحُسْنِه * ويَضحكُ منها وهى مُطرِقةٌ تبكى

١٠ وقال فيه :

يا جنة فاقتِ الجِنانَ فما * تَبلُغُها قيمة ولا ثمنُ
ألِفتُها فاتخذتُها وطناً * لأنّ قلبى لأهلِها وطن
زوجَ حِيتانها الضباب بها * فهذه كَنَّةٌ وذا خَتَن
فانظر وفكِّر فيما تمُرّ به * إنّ الأريبَ المفكِّرُ الفطِن
١٥ من سُفُنٍ كالنعَامِ مُقْبِلةٍ * ومن نَعامٍ كأنها سُفُنُ

وقال الخليل بن أحمد : الخليل

ياصاحبَ القصرِ نِعم القَصرُ والوادى * بمنزِل حاضِر إنْ شئت أو بادِى
تَرْفى به السُّفْنُ والظُّلْمانُ واقفةٌ * والنُّونُ والضّبُّ والملاحُ والحادى

وقال إسماعيل بن إبراهيم الحمدونى : الحمدونى

٢٠ بروضةٍ صَبَغت أيدى الربيع لها * برُودَها وكَستْها وشْيَها عدَنُ
عاجتْ عليها مطايا الغيثِ مُسبِلةً * لهنّ فى ضَحِكاتٍ أدمُعٌ هُتُن
كأنما البيْنُ يُبكيها ويُضحِكُها * وَصْلٌ حَباها به مِن بعده سَكَن

فولّدت صُفراً أثوابُها خضرٌ * أحشاؤهُنّ لأحشاء الندى وطَنُ
من كلّ عسجدةٍ في خِدرِها اكتَتَمتْ * عذراء في بطنِها الياقوتُ مُكتمِن

الجاحظ وأنشد عمرو بن بحر الجاحظ :

أين إخوانُنا على السّرّاء * أين أهلُ القباب والدَّهناء
جاوَرونا والأرضُ مُلبسةٌ نَوْ * رَ الأقاحي تُجادُ بالأنواء ٥
كلَّ يوم بأقحوانٍ جديدٍ * تَضحك الأرضُ من بُكاء السماء

لابن عبد ربه ومن قولنا في هذا المعنى :

وروضة عَقَدت أيدي الربيع بها * نوراً بنور وتَزْويجاً بتزويج
بمُلْقح من سَواريها ومُلقِحةٍ * وناتجٍ مِن غَواديها ومَنتوج
توشّحت بمُلاةٍ غير مُلحَمةٍ * من نورِها ورِداءٍ غير منسوج ١٠
فألبستْ حُللَ الموْشِيّ زهرتَها * وجَلَّلتْها بأنماط الديابيج

ومن قولنا :

ومَوْشيّةٍ يُهدِي إليك نسيمُها * على مفرقِ الأرواح مسكا وعنبرا
سدَاوتُها من ناصعِ اللونِ أبيض * ولُحمتُها من فاقعِ اللونِ أصفَرا
يُلاحظ لحظاً من عيونٍ كأنها * فصوصٌ من الياقوتِ كُنّ جَوْهرا ١٥

ومثله قولنا :

وماروضةٌ بالحَزْن حاكَ لها الندى * بُروداً من الموْشيّ حُمْر الشّقائق
يُقيم الدُّجى أعناقَها ، ويُميلُها * شُعاعُ الضُّحى المستَنُّ في كلّ شارقِ
إذا ضاحكتْها الشمسُ تبكي بأعيُن * مُكَلَّلة الأجفانِ صُفْرِ الحمالق
حكَتْ أرضُها لونَ السماء وزانَها * نجوم كأمثال النُّجومِ الخوافِق ٢٠
... بأطيبَ نشراً من خلائقه التي * لها خضعتْ في الحُسْن زهرُ الخلائق

كتاب الجوهرة الثانية

فى أعاريض الشعر وعلل القوافى

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه .

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى أعاريضه وعلله ، وما يحسن ويقبح من زحافه ، وما ينفك من الدوائر الخمس من الشطور التى قالت عليها العرب والتى لم تقل ، وتلخيص جميع ذلك بمنثور من الكلام يقرّب معناه من الفهم ، ومنظوم من الشعر يسهّل حفظه على الرواة ، فأكملت جميع هذه العروض فى هذا الكتاب ـ الذى هو جزءان ، جزء للفرش وجزء للمِثال ـ مختصراً مبيَّناً مفسّرا ؛ فاختصرت للفرش أرجوزة ، وجمعتُ فيها كلَّ ما يدخل العروضَ ويجوز فى حشو الشعر من الزحاف ، وبيّنت الأسباب والأوتاد ، والتعاقب والتراقب ، والخرومَ والزيادة على الأجزاء ، وفكّ الدوائر ـ فى هذا الجُزء ؛ واختصرت المثال فى الجزء الثانى فى ثلاث وستين قطعة ، على ثلاثة وستين ضرباً من ضروب العروض ، وجعلت المقطّعات رقيقة غزلة ، ليسهل حفظها على ألسنة الرواة ؛ وضمّنت فى آخر كل مقطعة منها بيتاً قديما متصلا بها وداخلا فى معناها من الأبيات التى استشهد بها الخليل فى عروضه ، لتقوم به الحجة لمن روى هذه المقطعات واحتج بها .

مختصر الفرش

الساكن والمتحرك

اعلم أنّ أوّل ما ينبغى لصاحب العَروض أن يبتدئ به ، معرفةُ الساكن والمتحرّك ؛ فإنّ الكلام كله لا يعدو أن يكون ساكناً أو متحرّكا .

واعلم أنّ كل ألف خفيفة ، أو ألف ولام خفيفتين لا يظهران على اللسان ويثبتان فى الكتابة ، فإنهما يسقطان فى العروض وفى تقطيع الشعر : نحو ألف «قال ابنك» ، أو ألف ولام نحو «قال الرجل» ، وإنما يعدّ فى العروض ما ظهر على اللسان . ٥

واعلم أنّ كل حرف مشدّد فإنه يُعدّ فى العروض حرفين : أولهما ساكن ، والثانى متحرّك : نحو ميم محمّد ، ولام سلّام .

واعلم أنّ التنوين كله يُعدّ فى العَروض نوناً ساكنة ليست من أصل الكلمة . ١٠

باب الأسباب والأوتاد

اعلم أنّ مدار الشعر وفواصل العروض على ثمانية أجزاء ، وهى :

فاعلن ، مفعولن ، مفاعيلن ، فاعلاتن ، مستفعلن ، مُفاعَلَتُنْ ، متفاعلن ، مفعولات .

وإنما أُلّفت هذه الأجزاء من الأسباب والأوتاد . ١٥

الأسباب

فالسبب سببان : خفيف ، وثقيل : فالسبب الخفيف حرفان : متحرّك ، وساكن ، مثل : مِن ، وعَن ، وما أشبههما ؛ والسبب الثقيل حرفان متحرّكان ، مثل : بكَ ولكَ ، وما أشبههما .

الأوتاد

والوتد وتدان : مفروق ، ومجموع ؛ فالوتد المجموع ثلاثة أحرف : متحرّكان وساكن ، مثل : علَى ، وإلَى ، وما أشبههما ؛ والوتد المفروق ثلاثة أحرف : ٢٠ ساكن بين متحرّكين ، مثل : أَينَ ، وكَيفَ ، وما أشبههما ؛ وإنما قيل للسبب

سبب ؛ لأنه يضطرب ، فيثبت مرة ويسقط أخرى ؛ وإنما قيل للوتد وتد ؛ لأنه يثبت فلا يزول .

باب الزحاف

أعلم أنّ الزّحاف زِحافان : فزحاف يسقط ثانى السبب الخفيف ، وزحاف يسكن ثانى السبب الثقيل ، وربمـا أسقَطه .

ولا يدخل الزحاف فى شيء من الأوتاد ، وإنما يدخل فى الأسباب خاصة ؛ وإنما يدخل فى ثانى الجزء ، ورابعه ، وخامسه ، وسابعه ؛ فإن أردت أن تعرف موضع الزحاف من الجزء ، فانظر إلى جزء من الأجزاء الثمانية التى سمّيتُ لك ؛ فإن رأيت الوتد فى أول الجزء ، فإنما يزحف خامسه وسابعه ؛ وإن كان الوتد فى آخر الجزء ، فإنما يزحف ثانيه ورابعه ؛ وإن كان الوتد فى وسط الجزء ، فإنما يزحف ثانيه وسابعه .

فللزحاف الذى يدخل فى ثانى الجزء ثلاثة أسماء : الخبن ، والإضمار ، والوقص ، فالمخبون : ماذهب ثانيه ، والمضمر : ماسكن ثانيه المتحرك ، والموقوص ؛ ماذهب ثانيه المتحرك .

وللزحاف الذى يدخل فى رابع الجزء اسم واحد : الطَّىّ فالمطوىّ هو ماذهب رابعه الساكن .

وللزحاف الذى يدخل فى الخامس منها ثلاثة أسماء : القبض ، والعصب ، والعقل .

فالمقبوض : ماذهب خامسه الساكن ، والمعصوب : ماسكن خامسه المتحرك ، والمعقول : ماذهب خامسه المتحرك .

[وللزحاف الذى يدخل] السابع اسم واحد : الكَفّ ، فالمكفوف ، هو ماذهب سابعه الساكن .

باب الزحاف المزدوج

المخبول : هو ماذهب ثانيه ورابعه الساكنان .

والمخزول : هو ماسكن ثانيه وذهب رابعه الساكن .

والمنقوص : هو ماسكن خامسه وذهب سابعه الساكن .

والمشكول : هو ماذهب ثانيه وسابعه الساكنان .   ٥

علل الأعاريض والضروب

المحذوف : هو ماذهب من آخر الجزء سبب خفيف .

والمقطوف : هو ماذهب من آخر الجزء سبب خفيف وسكن آخر مابقى .

والمقصور : ماذهب آخر سواكنِه وسكن آخر متحركاته من الجزء الذى فى آخره سبب .   ١٠

والمقطوع : ماذهب أواخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من الجزء الذى فى آخره وتد .

والأبتر : ماحُذف ثم قطع ، فكان فاعلْ من فاعلاتن وفَعْ فى فعولن .

والأحذ : ماذهب من آخر الجزء وتد مجموع .

والأصلم : ماذهب من آخر الجزء وتد مفروق .   ١٥

والموقوف : ماسكن سابعه المتحرك .

والمكشوف : ماذهب سابعه المتحرك .

والمجزوء : ماذهب من آخر الصدر جزء ومن آخر العجز جزء .

والمشطور : ماذهب شطره .

والمنهوك : ماذهب منه أربعة أجزاء وبقى جزآن .   ٢٠

الزيادات على الأجزاء

والزيادة على الأجزاء ثلاثة أشياء : المذال ، وهو ما زاد على اعتدال جزئه حرف ساكن مما يكون فى آخره وتد .

والمسبغ : ما زاد على اعتداله حرف ساكن مما يكون فى آخره سبب .

٥ والمرفل : ما زاد على اعتداله حرفان : متحرك وساكن ، مما يكون فى آخره وتد .

واعلم أن كل جزء من أجزاء العروض يكون مخالفاً لأجزاء حشوه بزحاف أو سلامة فهو المعتل : وما كان معتلا فإنما هو ثلاثة أشياء : ابتداء ، وفصل ؛ وغاية ؛ وإن الاعتماد ليس علة : لأنه غير مخالف لأجزاء الحشو كلها ، وإنما ١٠ خالفها فى الحسن والقبح وليس اختلاف الحسن والقبح علة ، ونحن نجد الاعتماد فى الشعر كثيراً ؛ من ذلك البيت الذى جاء به الخليل :

أقيموا بنى النُّعمانِ عنا صُدُورَكم * وإلا تقيمُوا صاغرينَ الرءوسا

ومنه قول امرئ القيس :

أعنِّى على بَرْق ـ أراهُ ـ وميضِ * يُضِىءُ حَبِيًّا فى شماريخَ بيضِ

١٥ ويخرُجُ منه لامِعاتٌ كأنها * أكُفٌ تلقّى الفوزَ عند المفيض

وإنما زعم الخليل أن المعتل ما كان مخالفا لأجزاء حشوه بزحاف أو سلامة ولم يقل بحسن أو قبح : ألا ترى أن القبض فى مفاعيلن فى الطويل حسن ، والكف فيه قبيح : والقبض فى مفاعيلن فى الهزج قبيح ، والكف فيه حسن ؛ والاعتماد فى المتقارب ـ على ضد ما هو فى الطويل السالم ـ فيه حُسن ، والقبض ٢٠ فيه قبيح ؟

فإذا اعتل أول البيت سمى ابتداء : وإذا اعتل وسطه وهو العروض سمى فصلا ، وإذا اعتل الطرف ــ وهو فى القافية ــ سمى غاية ؛ وإذا لم يعتل أوله ولا وسطه ولا آخره سمى حشواً كله .

وما كان من الأنصاف مستوفيا لدائرته وآخر جزء منه بمنزلة الحشو من الآخر فهو التام ؛ وما كان من الأنصاف لم يذهب به الانتقاص فهو مجزوء ، وما كان من الأنصاف مقفًى فهو مصرّع ؛ فإن كانت الكلمة كلها كذلك فهو مشطور ؛ فإذا لم يبق منه إلا جزآن فهو المنهوك ، وإذا اختلفت القوافى واختلطت وكانت حيزاً حيزا من كلمة واحدة فهو المخمّس ؛ وإذا كانت أنصاف ٥ على قواف يجمعها قافية واحدة ثم تعاد لمثل ذلك حتى تنقضى القصيدة ، فهو المسمّط .

باب الخرم

اعلم أن الخرم لا يدخل إلا فى كل جزء أوله وتد ، وذلك ثلاثة أجزاء : فعولن ، مفاعلَتن ، مفاعيلن ؛ وهو سقوط حركة من أول الجزء ؛ وإنما منعه ١٠ أن يدخل فى السبب ، أنك لو أسقطت من السبب حركةً بقى ساكنٌ ، ولا يُبدأ بساكن أبدا .

ولا يدخل الخرم إلا فى أول البيت ، فإذا أدخل الخرم « فعولن » قيل له أثلم ؛ فإذا دخل القبض مع الخرم قيل له أثرم ؛ فإذا دخل الخرم مفاعلَتن قيل له أعضب ؛ فإذا دخله العصب مع الخرم قيل له أقصم ؛ فإذا دخل الخرم مفاعيلن ١٥ قيل له أخرم ؛ فإذا دخله الكف مع الخرم قيل له أخرب ؛ فإذا دخله القبض مع الخرم قيل له أشتر ؛ وكل مالم يدخله الخرم فهو الموفور [١] .

باب التعاقب والتراقب

اعلم أن التعاقب يدخل بين السببين المتقابلين فى حشو الشعر حيثما كانا ، ولا يكونان مع جميع العروض إلا فى أربعة أشطار : فى المديد ، والرمل ، والخفيف ، ٢٠ والمجتث ؛ وقد بينا جميع ذلك فى موضعه : فما عاقبه ماقبله فهو صدر ، وما عاقبه

(١) فى بعض الأصول « تام » .

مابعده فهو عجز ، وما عاقبه ماقبله وما بعده فهو طرفان ، ومالم يعاقبه ماقبله ولا ما بعده فهو برىء.

والتراقب بين السببين المتقابلين من فاصلة واحدة ؛ ولا يدخل التراقب من جميع العروض إلا فى المضارع ، والمقتضب ؛ وقد فسّرناه هنالك .

٥ وقد نظمنا جميع ما ذكرناه من هذه الأبواب فى أرجوزة ، ليسهل حفظها على المتعلم : إذ كان حفظ المنظوم أسهلَ من حفظ المنثور : وقد ذكرنا فيها كل الدوائر الخمس وما ينفكّ من كل دائرة من عدد الشطور التى قالت عليها العرب والتى لم تقل عليها وموضع الزحاف منها .

واعلم أن الدائرة الأولى مؤلفة من أربعة أجزاء : سباعيين مع خماسيّين

١٠ وهى :

فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعيلن .

والدائرة الثانية من ثلاثة أجزاء سباعية ، وهى :

مفاعلَتن ، مفاعلتن ، مفاعلتن .

والدائرة الثالثة مؤلفة من ثلاثة أجزاء سباعية ، وهى :

١٥ مفاعيلن ، مفاعيلن ، مفاعيلن .

والدائرة الرابعة مؤلفة من ثلاثة أجزاء سباعية ، وهى :

مستفعلن ، مفعولاتُ ، مستفعلن .

والدائرة الخامسة مؤلفة من أربعة أجزاء خماسية وهى :

فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن .

٢٠ واعلم أن كل دائرة من هذه الدوائر ينفك من رأس كل سبب وكلّ وتد فيها شطر ؛ وقد بيّنا جميع ذلك فى الدوائر ، وأسماء الشطور التى تنفكّ عنها.

وهذه أرجوزة العروض :

بالله نَبْــدَا وبه التَّمامُ * وباسْمِــه يُفتتَحُ الـكلامُ
ياطالبَ العلمِ هو المنهــاجُ * قد كثُرتْ من دُونِه الفِجاجُ
وكلُّ علمٍ فــلهُ فُنونٌ * وكــلُّ فنٍّ فلهُ عُيونُ
أوَّلُهــا جوامعُ البيانِ * وأصلُها معرفةُ اللِّسانِ
فإنَّ فى المجــازِ والتَّأويلِ * ضلَّتْ أساطيرُ ذوى العُقولِ
حتى إذا عرَفْتَ تلكَ الأبنِيهْ * واحــدَها وجَمعها والتَّثنِيهْ
طلبتَ ما شئتَ من العلومِ * ما بينَ منثُورٍ إلى منظــومِ
فدَاوِ بالإعرابِ والعَرُوضِ * داءَكَ فى الإمْلاءِ والقَرِيضِ
كِلاهما طِبٌّ لداءِ الشّعرِ * واللَّفظِ من لَحْنٍ به وكَسْرِ
ما فلْسفَ البطْليسُ جالِينُوسُ * وصاحبُ القانونِ بَطليْمُوسُ
ولا الذى يَدعونهُ بِهرمِسِ * وصاحبُ الأرْكَنْدِ والأقليدِسِ
فلسفةَ الخليــلِ فى العَروضِ * وفى صحيحِ الشّعرِ والمَرِيضِ
وقد نظَرْتُ فيه فاختَصرْتُ * إلى نظامٍ منــه قد أحْكمتُ
ملخصٍ مختصَرٍ بديعِ * والبعضُ قد يَكفِى عنِ الجميعِ

اختصار الفرش

هذا اخْتصارُ الفَرْشِ من مَقالى * وبعــدَهُ أقولُ فى المثالِ
أوَّلهُ واللهَ أسْــتعينُ * أن يُعرفَ التّحريكُ والسكونُ
من كلِّ ما يَبدُو على اللسانِ * لا كــلِّ ما تخطُّهُ اليدانِ
ويَظهرُ التضعيفُ فى الثَّقيلِ * تَعدُّهُ حرفيْنِ فى التفصيلِ
مُسكَّناً وبَعــدهُ مُحرَّكا * كنونِ كُنّا وكَرَاءِ سَرَّكا

باب الأسباب والأوتاد

وبَعد ذا الأسبابُ والأوتادُ * فإنهـا لقولِنا عِمـادُ
فالسببُ الخفيفُ إذ يُعدُّ * مُحرِّكٌ وساكنٌ لا يعدُو
والسبب الثقيلُ فى التبْيين * حركتان غير ذى تنْوين
٥ والوتدُ المفروقُ والمجموع * كلاهما فى حَشوهِ ممنوع
وإنما آعتلَّ من الأجزاء * فى الفصل والغائى والابتداء
فالوتدُ المجموع منها فافهَمْ * حركتانقبل حَرْفٍقدسكَنْ
والوتد المفروقُ من هذينِ * مُسكَّنٌ بين مُحرِّكينِ
فهذه الأوتادُ والأسبابُ * لها ثباتٌ ولها ذَهابُ
١٠ وإنما عَروضُ كلِّ قافيَهْ * جارٍ على أجزائِه الثمانيَهْ
وهاكها بينةً مصوَّرهْ * لكلِّ من عاينَها ، مُفسَّره

الفواصل

فاعلن ، فعولن ، مستفعلن ، فاعلاتن ، مفاعيلن ، مفاعلَتن ، متفاعلن ، مفعولات :

١٥ هذِى التى بها يقول المُنشِد * فى كلِّ مايرجوه أو يُقصِّد
كلُّ عَروضٍ يَعتزى إليهـا * وإنمـا مـدارُه عليهـا
منها خُماسيَّانِ فى الهِجاء * وغـيرُها مسَبَّعُ البِناء
يدخُلها النُّقصانُ بالزِّحافِ * فى الحشوِ والعروضِ والقوافى
وإنما يدخُلُ فى الأسبابِ * لأنها تُعرَف باضطراب

٢٠
باب الزحاف

فكلُّ جزءٍ زالَ منه الثانى * من كلِّ مايبدو على اللسانِ

وكان حرفاً شأنه السكونُ * فإنه عندى اسمُه مخبونُ
وإن وجدتَ الثانىَ المنقوصا * محرّكا سميتَه الموقوصا
وإن يكن محرّكا فسُكّنا * فذلك المضمرُ حقّا بيّنا
والرابعُ الساكنُ إذ يزولُ * فذلك المَطْوِىُّ لا يحولُ
وإن يُزَلْ خامسُه المسكّن * فذلك المقبوضُ فهو يحسُن ٥
وإن يكن هذا الذى يزول * محرّكاً فإنه المعقولُ
وإن يكن محرّكا سكنتَه * فسمّه المعصوبَ إن سمّيتَه
وإن أزلتَ سابعَ الحروفِ * سميتَه إذ ذاك بالمكفوف

باب الزحاف

الذى يكون فى موضعين من الجزء ١٠

كل زِحافٍ كان فى حرفين * حلّ من الجزء بموضعَين
فإنه يُجحِف بالأجزاء * وهو يسمّى أقبح الأسماء
فكلُّ ما سُكّن منه الثانى * وأُسقِط الرابع فى اللسانِ
فذلك المخزولُ وهو يقبُح * فحيثُما كان فليس يَصلُح
وإن يُزَلْ رابعُه والثانى * وذا وذا فى الجزء ساكِنان ١٥
فإنه عندى اسمُه المخبولُ * يقصِّر الجزء الذى يطول
وكل جزء فى الكتاب يُدرَك * يَسكنُ منه الخامس المحرّك ..
..وأسقِطِ السابع وهو يسكنُ * فذلك المنقوصُ ليس يَحسُن
وسابعُ الجزء وثانيه إذا * كان يُعَدّ ساكناً ذاك وذا
فأُسقِطا بأقبح الزّحافِ * سُمّىَ مشكولاً بلا اختِلافِ ٢٠
هذا الزحافُ لاسواه فاسمع * يُطلَقُ فى الأجزاء لم يمتنع

باب العلل

والعِللُ التى تجوزُ أجمع * وليس فى الحشو لهن موضِع..
.. ثلاثةٌ ، تُدْعى بالابتداء * والفصلِ والغاية فى الأجزاء
والاعتمادُ خارجٌ عن شكلِها * وفعـــلُه مخالفٌ لفعلِها
٥ لأنهم قد تركوا التزامَهْ * وجاز فيه القبضُ والسّلامهْ
ومثلُ ذاك جائز فى الحشوِ * فنحْوُ هذا غير ذاك النحوِ
وكلُّ مُعتـــلٍّ فغيرُ جائزِ * فى الحشوِ والقصيدِ والأراجز
وإن أجازَه الخليـــلُ * مُجازفاً إذ خانه الدّليـــلُ
وكلُّ حيٍّ من بنى حوّاء * فغيرُ معصومٍ من الخطاء
١٠ فأوّل البيتِ إذا ما اعتلاَّ * سمّيْتَه بالابتداء كُلاَّ
وغاية الضّرب تُسمّى غايهْ * وليس فى الحشوِ لها حكايهْ
وكل ما يدخُلُ فى العَروضِ * من علةٍ تجوزُ فى القريضِ
فهى تسمّى الفصلَ عند ذاكاَ * وقلَّ مَن يَعرِفُه هُناكا !

باب الخرم

١٥ والخَرْمُ فى أوائلِ الأبياتِ * تُعرَف بالأسماء والصّفاتِ
نُقْصانُ حرفٍ من أوائلِ العَددِ * فى كلِّ ماشَطْرٍ يُفَكُّ من وتَدْ
خمسةُ أشطارٍ من الشُّطورِ * يُخرَم منها أوّل الصُّدورِ :
منها الطويل أوّلُ الدّوائر * وأطول البناء عند الشّاعرِ
يَدخلُه الخرْمُ فيُدْعى أثْلما * فإنْ تلاه القبض سُمّى أثرما
٢٠ والوافر الذى مَدارُ الثانيَهْ * عليه ، قد تَعيه أُذُنٌ واعيهْ
يَدخلُه الخرمُ فى الابتداء * فى أوّل الجزءِ من الأجزاء

وهو يُسمى أعْصَباً ، وكلُّما * ضُمَّ إليه العَصْبُ سمّى أقْصَما
وإن يكن أعْصَبَ ثم يُعقَلُ * فذلك الأجَمُّ ليس يُجهلُ
والهزَج الذى هو السَّوار * عليـــه للثالثـــةِ المدارُ
يدخُله الخَرْمَ فيُدعَى أخْرَما * وهو قبيح فاعلَمَن وافهَما
حتى إذا ماكُفَّ بعدالخَرْمِ * سَمَّيتَه أخْرَبَ إذ تُسمَّى
والأشتَرُ الُمهجَّن العَروضا * ماكان منه آخِرٌ مقبوضا
هذا وفى الرابعة المضارعُ * يَدخل فيه الخَرْمُ لا يُدافَعُ
كمثْل مايَدخل فى شطر الهزَجْ * وهو يسمَّى باسمه بلا حَرجْ
ولا يجوز الخَرْمُ فيه وحدَهُ * إلا بقبضٍ أو بكَفّ بعـــدَهُ
لِعلّةِ التراقُب المذكـورِ * خُصَّ به من أجمع الشُّطورِ
والُمتقارب الذى فى الآخِرِ * تحلو به خامسة الدوائرِ
يَدخله مايَدخـــل الطويلا * من خرْمه وليس مُستحيلا
هذا جميع الخرم لا سواهُ * وهو قبيح عنـــد مَن سَمَّاهُ
يَدخل فى أوائل الأشعارِ * ما قيل فى ذى الخمسة الأشطارِ
لأنـ فى أوّل كلِّ شطرِ * حركتين فى ابتداء الصَّدْرِ
وإنمـا ينفـــكُّ فى أوتادِ * فلم يَضِرْها الخرم فى الكَادِ
لقوّة الأوتاد فى أجزائِهـا * وأنها تَبْرَأُ من أدوائِهـا
سالمةٌ مــن أجمع الزِّحافِ * فى كلِّ مجزوءِ وكل وافِ
والجزء مالم تَرَ فيه خَرْما * فإنه الموفورُ قد يُسمَّى

باب علل الأعاريض والضروب

والعلـــلُ المسمَّيات اللاتِى * تعرَف بالفصولِ والغاياتِ

تَدخل في الضَّرب وفي العَروضِ * وليس في الحشْو من القريض
منها الذى يُعرَف بالمحذوفِ * وهو سقوطُ السببِ الخفيفِ
في آخر الجزء الذي في الضرْب * أو في العَروض غير قول كَذِبِ
ومثله المعروفُ بالمقطوفِ * لو بسكونِ آخر الحروفِ
٥ وكلّ جزء في الضروب كائن * أُسقِطَ منه آخرُ السَّواكن
وسَكَّن الآخرَ من باقيهِ * مما يُجيزون الزّحاف فيهِ
فذلك المقصورُ حين يوصَفُ * وإن يكن آخرَه لا يزحفُ ...
من وتَدٍ يكون حين لا سببْ * فذلك المقطوعُ حين ينتسبْ
وكلُّ ما يُحذفُ ثم يُقطَعُ * فذلك الأبتَرُ وهو أشْنَعُ
١٠ وإن يُزَلْ من آخرِ الجزء وتَدْ * إن كان مجموعا فذلك الأحذ
أو كان مفروقا فذاك الأصلمُ * كلاهما للجزء حقًّا صيْلمُ
وإن يُسكَّن سابعُ الحروفِ * فإنه يُعـــرَف بالموقوفِ
وإن يكن مُحرَّكا فأُذهِبا * فذلك المكشوفُ حقًّا مُوجَبا
وبعده التشعيثُ في الخفيف * في ضربه السالمِ لا المحذوف
١٥ يُقطَعُ منه الوتَدُ الموسَّطُ * وكلُّ شيء بعده لا يَسقُطُ

باب التعاقب والتراقب

وبعـــد ذا تعاقبُ الجزءينِ * في السببيْن المتقـــابلَيْن
لا يسقُطان جملة في الشِّعرِ * فإنّ ذاك من أشد الكسرِ
ويَثبُتان أيّما ثَباتِ * وذاك من سلامة الأبياتِ
٢٠ وإن ينلْ بعضَهما إزالهْ * عاقَبه الآخَـــرُ لا محالهْ
فكل ما عاقَبه ما قبلهُ * سُمِّيَ صدْراً فافهمنْ أصلهُ

وكلُّ ما عاقَبه ما بعدهُ * فهو يسمَّى عَجُزاً فعُــدَّهُ
وإن يكن هذا وذا مُعاقِبا * فهو يسمَّى طرَفيْن واجبا
يَدخل فى المديد والخفيفِ * والرَّمَل المجزوءِ والمحذوفِ
ويَدخل المجتث أيضاً أجمعهْ * ولا يكون فى سوى ذى الأربعهْ
والجزء إذ يخلو من التعاقبِ * فهو برىءٌ غير قول الكاذبِ ٥
وهكذا إن قستَه التعاقبُ * وليس مثل ذلك التراقب
لأنه لم يأتِ من جزءين * فى السببيْن المتجاوريْن
لكنه جاء بجزءٍ واحدٍ * فى أول الصدرِ من القصائدِ
والسبَبان غيرُ مزحوفيْنِ * فى جزئِه وغــير سالميْنِ
إن زال هذا كان ذا مكانهْ * فاسمعْ مَقالى وافهمنْ بيانهْ ١٠
فهكذا التراقبُ الموصوفُ * وكلُّه فى شطره معروف
يدخلُ أولَ المضارعِ السببْ * وبعده يدخلُ صدرَ المقتضبْ

الزيادات على الأجزاء

ثم الزياداتُ على الأجزاءِ * موجودةٌ تعرفُ بالأسماءِ
وإنما تكون فى الغاياتِ * تُزادُ فى أواخرِ الأبياتِ ١٥
وكلُّها فى شطره موجودُ * منها المُرفَّلُ الذى يزيد ...
.. حرفيْن فى الجزء على اعتدالهْ * محرّكا وساكناً فى حالهْ
وذاك فيما لا يجوزُ الزحفُ * فيه ولا يُعزَى إليه الضَّعفُ
وفيه أيضاً يَدخل المُذالُ * مُقيّــداً فى كلِّ ما يُقالُ
وهو الذى يزيدُ حرفا ساكِنا * على اعتدال جُزئِه مُبايِنا ٢٠
ومثله المسبَّغ من هذى العللْ * حرفٌ تَزيدُه على شطر الرَّمَلْ

باب نقصان الأجزاء

فإنْ رأيتَ الجُزءَ لم يَذهب مَعا * بالانتِقاصِ فهْو وافٍ فاسْمَعا
وإن يكن أذهبَهُ النُّقْصانُ * فافْهَمْ فني قولى لكَ البيانُ ...
... فذلك المجزُوءُ فى النّصفيْن * إذا انتقَصْتَ منهما جُزْءَيْنِ
والبيتُ إن نقَصْتَ منه شَطْرَهُ * فذلك المشطورُ فافْهَمْ أمرَهُ
وإن نقصْتَ منهُ بعد الشّطرِ * جُزءاً صحيحاً من أخيرِ الصدرِ..
.. وكان ما يَبقى على جُزْءَيْنِ * فذلكَ المنهُوكُ غيرَ مَيْن

صفة الدوائر

فاسْمَعْ فهذى صفةُ الدوائرِ * وصفُ عليمٍ بالعَروضِ خابِرِ
دوائرٌ تعيا على ذِهنِ الحَذِقْ * خمسٌ عليهنّ الخطوطُ والحلَقْ
فما لهما منَ الخطوطِ البائنهْ * دلائلٌ على الحروفِ السّاكِنهْ
والحلَقاتِ المتجوِّفاتِ * علامةٌ للمتحرّكاتِ
والنقَط التى على الخطوطِ * علامة تعدُّ للسُّقوطِ
والحلَقُ التى عليها تنقطُ * تَسكُنُ أحياناً وحيناً تَسقُطُ
والنُّقطُ التى بأجوافِ الحلَقْ * لِمبْتدَا الشطورِ منها يُختَرقْ
فانظرْ تجد من تحتها أسماءها * مكتوبةً قد وُضعَتْ إزاءها
والنُّقطتانِ موضعُ التعاقبِ * ومثل ذاكَ موضعُ التراقُبِ
وهذهِ صُورة كل واحدهْ * منها ومعنى فسْرها على حِدهْ
أوّلُها دائرة الطويلِ * وهى ثمانٍ لذَوى التفصيلِ
مُقسَّم الشطْر على أرباعِ * بينَ خماسِيّ إلى سُباعِى
حُروفه عِشرون بعدَ أربعهْ * قد بيِّنوا الكلَّ حرفٍ موضِعه

يُنقلُ منها خمسةٌ شُطورُ * يفْصلُها التفعيلُ والتقْديرُ

منها الطويلُ والمديدُ بعدَهُ * ثم البسيطُ يُحكِمونَ سرْدَهْ

ثلاثةٌ قالت عليها العربُ * واثنان صدُّوا عنهما ونَكبوا

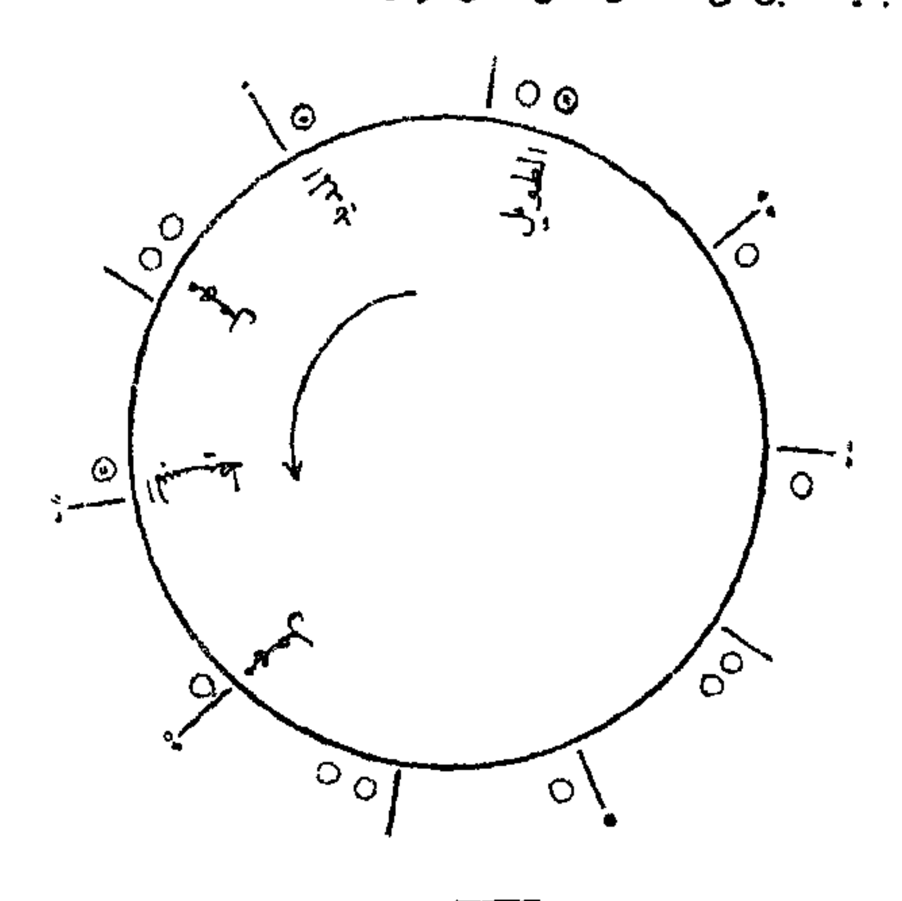
وهٰذهِ صورتُها كما ترى * وذِكرُها مُبيَّنا مُفسَّرا

الأولى : دائرة المختلف

الطويل . مبنى على فعولن مفاعيلن ثمانى مرات(١)

المديد : مبنى على فاعلاتن فاعلن ، ست مرات(١)

البسيط : مبنى على مستفعلن فاعلن ، ثمانى مرات(١)



وهـذه الثانيةُ المخصُوصةْ * بالسببِ الثقيلِ والمنقوصَةْ

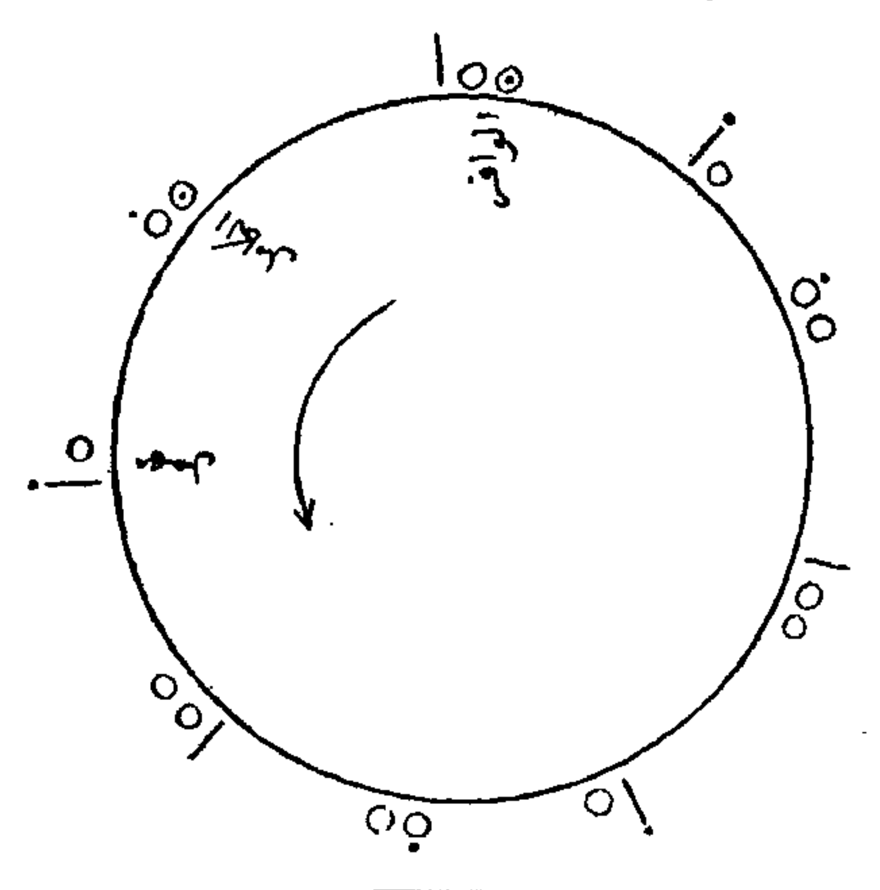
أجزاؤُها مُثلَثةٌ مُسبَّعه * قدكَرهوا أنْ يجعلوها أربَعه

(١) يعنى بقوله «ثمانى مرات» و «ست مرات» : ثمانية أجزاء ، وستة أجزاء ؛ وإلا فإن أجزاء الطويل مثلا هى ، فعولن مفاعيلن ، مكررة أربع مرات لاغير ، مرتين فى كل شطر .

لأنَّها تخرجُ عن مقدارِهِم * فى جُملةِ الموزُونِ من أشعارِهِم
فهْى على عشرينَ بَعدَ واحدِ * منَ الحروفِ ما بِها من زائدِ
ينفَكُّ منها وافر وكاملُ * وثالثٌ قد حار فيه الجاهِلُ

الثانية : دائرة المؤتلف

الوافر : مبنى على مفاعلتن ، ست مرات ، فقطعوا ضربه وعروضه .
الكامل : مبنى على متفاعلن ، ست مرات .



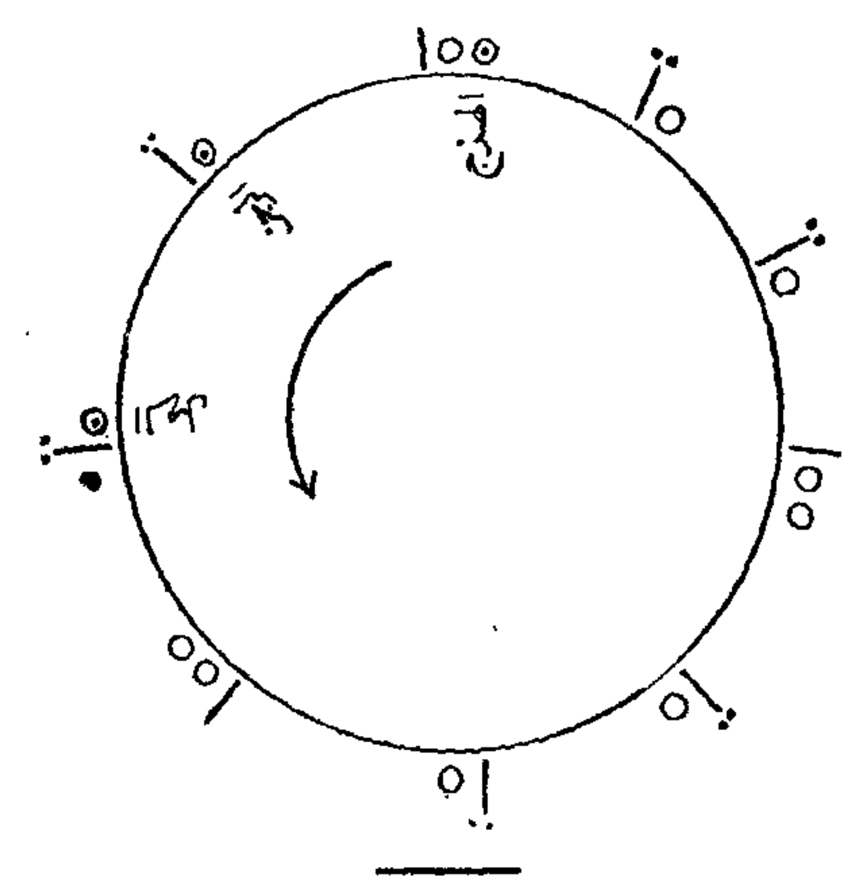
والدائرة الثالثةُ التى حكتْ * فى قدرِها الثانية التى مَضت
فى عِدّةِ الأجزاءِ والحروفِ * وليس فى الثّقيلِ والخفيف
يَنفكُّ منها مثلُ ما ينفكُّ * من تلكَ حقًّا ليس فيه شكُّ
ترفُلُ من ديباجِها فى حُللِ * من هَزَجٍ أو رَجَزٍ أو رمَلِ
وهــذهِ صُورتُها مُبيّنهْ * بحلْيها ووشْيِها مُزيّنهْ

الثالثة : دائرة المجتلب

الهزج : مبنى على مفاعيلن ، بعد الحذف ، أربع مرات .

الرجز : مبنى على مستفعلن ، ست مرات .

الرمل : مبنى على فاعلاتن ، ست مرات .



ورابعُ الدوائرِ المَسْرودَهْ * أجزاؤها ثلاثةٌ معدُودهْ
عجيبةٌ قد حار فيها الوصفُ * عشرونَ حرفاً عَدُّها وحرفُ
مثلُ التى تقدمتْ من قبْلها * وشكلُها مُخالفٌ لشكلِها
بديعةٌ أُحكِمَ فى تدبيرها * بالوتَدِ المفروقِ فى شطورِها
ينفَكُّ منها ستةٌ مَقولَهْ * من بَينِها ثلاثةٌ مجهُولَهْ
وكلُّ هٰذِى السّتّةِ المشطورَهْ * معرُوفةٌ لأهلِها مخبُوره
أوّلها السريعُ ثم المُنسِرحْ * ثم الخفيفُ بعدهُ ثم وضَحْ

وبعـــدهُ مُضارِعٌ ومُقتَضَب ٭ شَطرانِ مجزُوءان فى قولِ العربْ
وبعدَها المُجتثُّ أحلَى شطرِ ٭ يُوجَدُ مجزُوءًا لأهلِ الشِّعرِ

الرابعة : دائرة المشتبه

السريع : مبنى على مستفعلن مفعولات، ست مرات [1] .

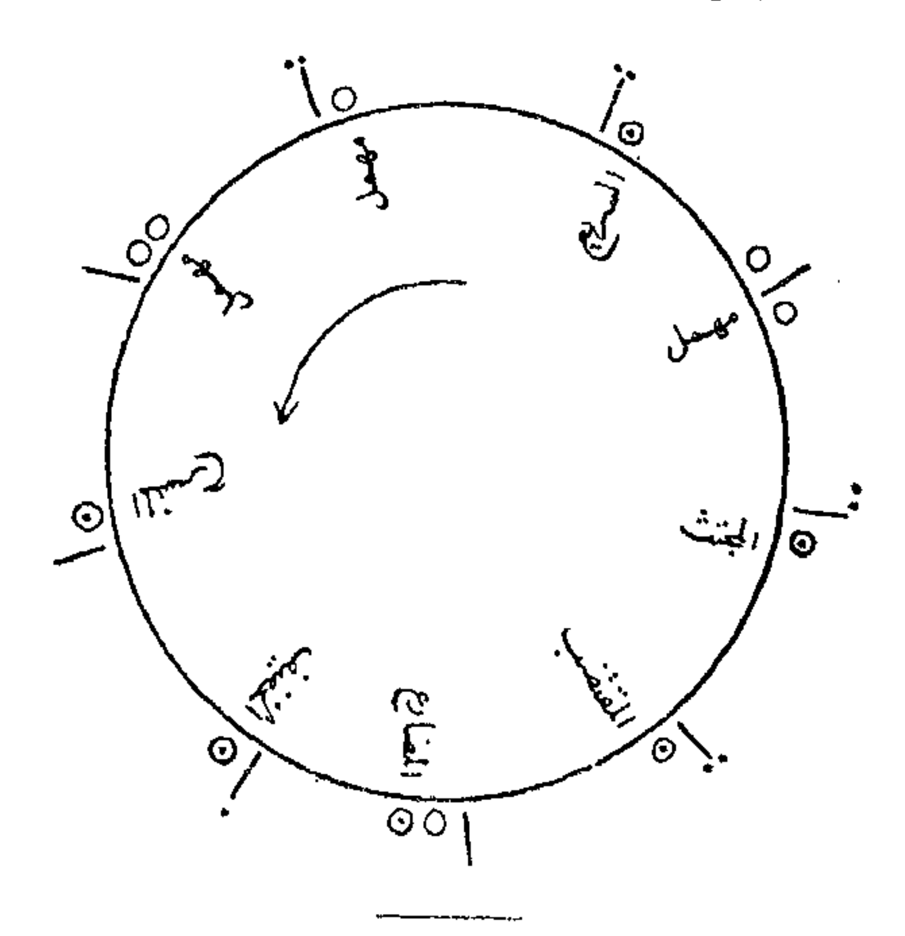
٥ المنسرح : مبنى على مستفعلن مفعولات مستفعلن، ست مرات [1] .

الخفيف : مبنى على فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن، ست مرات [1] .

المضارع : مبنى على مفاعيلن فاعلاتن ست مرات[1] ؛ لحذفوا منه جزأين فصار مربعا.

المقتضب : مبنى على مفعولات مستفعلن مستفعلن ست مرات [1] ، فربعوه كما تقدم .

المجتث : مبنى على فاعلاتن فاعلاتن . ست مرات[1] . فربعوه كما تقدم .



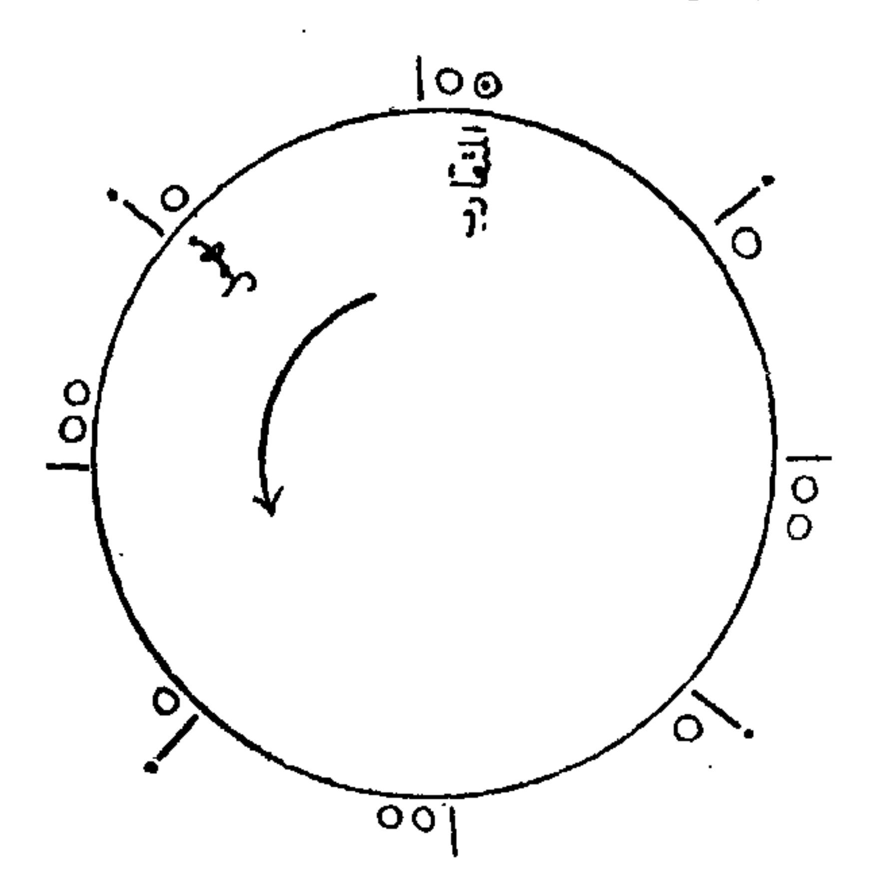
١٠ وبعدها خامسَةُ الدوائرِ ٭ للمتقاربِ الذى فى الآخِرِ

(١) انظر التعليق بصحيفة ٢٤٨

يَنفكُ منها شَطْرُهُ وشطرُ * لم يأتِ فى الأشعارِ منه الذِّكْرُ
من أقصرِ الأجزاء والشُّطورِ * حروفُه عشرون فى التقديرِ
مؤلَّفُ الشطْرِ على فواصل * مجسَّماتٍ أربــعٍ مواثل
هــذا الذى جرّبه المُجَرِّبُ * من كلِّ ما قالت عليه العربُ
فكلُّ شىء لم تقُلْ عليه * فإننا لم نلتفت إليـــه ٥
ولا نقولُ غير ما قد قالوا * لأنه من قولنا مُحالُ
وأنه لو جاز فى الأبيات * خِلافه لجاز فى اللُّغاتِ
وقد أجاز ذلك الخليـــلُ * ولا أقولُ فيه ما يقولُ
لأنه ناقضَ فى معنـــاه * والسيف قد يَنْبو وفيه ماهُ
إذ جعل القولَ القديمَ أصلَه * ثم أجاز ذا وليس مثلَه ١٠
وقدْ يَزِلُ العالِمُ النّحْريرُ * والحَبْرُ قد يخونُه التَّحْبيرُ
وليس للخليل من نظيرِ * فى كلِّ ما يأتى منَ الأمورِ
لكنّه فيـــه نسيجُ وحْدِه * ما مثله من قبلِه وبعدِهْ
فالحمـــد لله على نَعمائِهْ * حمداً كثيراً وعلى آلائِهْ
يا ملِكا ذَلَّتْ له الملوكُ * ليس له فى مُلْكِه شريكُ ١٥
ثبِّتْ لعبدِ الله حُسْنَ نيّتِهْ * وأعطِفْهُ بالفضلِ على رعِيّتِهْ

الخامسة : دائرة المتفق

المتقارب : مبنى على فعولن ، ثمانى مرات .



ابتداء الامثال

شطر الطويل

الطويل له عروض واحد مقبوض ، وثلاثة ضروب : ضرب سالم ، وضرب مقبوض ، وضرب محذوف معتمد .

العروض المقبوض والضرب السالم

ورَوضة وَرْدٍ حُفَّ بالسوْسَنِ الغَضّ * تحلّتْ بلون السّامِ والذهبِ المحضِ
رأيتُ بها بدْراً على الأرض ماشياً * ولم أر بدراً قطُّ يمشى على الأرض
إلى مثله فلْتَصْبُ إن كنتَ صابياً * فقد كاد منه البعضُ يصبُو إلى البعضِ
وكلْ وردَ خـدّيهِ ورُمّانَ صدرِه * بمَصٍّ على مص وعضّ على عضّ
وقُلْ لِلذى أفنَى الفؤادَ بحُبّـه * على أنه يجزى المحبـةَ بالبُغْضِ :
« أبا مُنْـذِرٍ أفنيتَ فاستَبْقِ بعضَنا * حنانَيْكَ بعضُ الشّرّ أهونُ من بعض »

تقطيعه :

فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعلن * فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعيلن

الضرب المقبوض

وحاملة راحًا على راحةِ اليـدِ * مُوَرّدَة تسعى بلونٍ مُوَرّد
متى ما تَرَ الإبريقَ للكأسِ راكعاً * تُصلّ له من غير طُهْرٍ وتسجُدِ
على ياسِمينٍ كاللّجَيْنِ ونرجِسٍ * كأقْراطِ دُرّ فى قضيبِ زَبرْجدِ
بتلك وهٰذِى فالْه ليـلكَ كلّه * وعنها فسلْ لا تسألِ الناسَ عن غدِ
« ستبْدِى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً * ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لم تزوّدِ »

تقطيعه

فعولن مفاعيلن ، فعولن ، مفاعلن * فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعلن

الضرب المحذوف المعتمد

أيقْتُلُنِى دائى وأنت طبيبى * قريبٌ وهل مَنْ لا يُرَى بقريبِ
لئن خنتَ عهدى إننى غيرُ خائنٍ * وأىُّ مُحِبٍّ خان عهدَ حبيب ٥
وساحِبَةٍ فضْلَ الذُّيُولِ كأنها * قضيبٌ من الرَّيْحانِ فوق كثيب
إذا ما بَدَتْ من خِدْرِها قال صاحبى * أطِعْنى وخُذْ من وصْلِها بنصيب
« وما كلُّ ذى لُبٍّ بمؤْتيك نُصْحَهُ * وما كلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بلَبيب »

تقطيعه

١٠ فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعلن * فعولن ، مفاعيلن ، فعولُ ، فعولن

يجوز فى حشو الطويل القبض والكف ؛ فالقبض فيه حسن ، والكف فيه قبيح ؛ ويدخله الخرم فى الابتداء ، فيقال له : أثلم ؛ فإذا دخله القبض مع الخرم قيل له : أثرم .

والخرم سقوط حركة من أول البيت ، ولا يكون إلا فى وتد ؛ والقبض ماذهب خامسه الساكن ، والكف ما ذهب سابعه الساكن ، والاعتماد [فى الطويل] ١٥ سقوط الخامس من فعولن التى قبل القافية ، اعتمد به نقْبض ، ولم تجر فيه السلامة إلا على قبح ، ولم يأت فى الشعر إلا شاذا قليلا ؛ والاعتماد فى المتقارب : سلامة الجزء الذى قبل القافية ؛ والمحذوف ما ذهب من آخره سبب خفيف .

شطر المديد : وهو مجزوء كله

له ثلاثة أعاريض وستة ضروب ؛ فالعروض الأول منها مجزوء وله ضرب ٢٠ مثله ؛ والعروض الثانى محذوف لازم الثانى ، له ثلاثة ضروب لازمة الثانى : ضرب مقصور لازم الثانى ، وضرب محذوف لازم الثانى ، وضرب أبتر لازم الثانى ؛ والعروض الثالث محذوف مخبون وله ضربان : ضرب مثله ، وضرب أبتر لازم الثانى .

العروض المجزوء والضرب المجزوء

ياطويلَ الهجرِ لاتنسَ وصْلى ٭ واشتغالى بكَ عن كلِّ شغلِ
ياهِلالا فوقَ جيدِ غزالٍ ٭ وقضيباً تحتهُ دعْصُ رمل
لا سلَتْ عاذِلتى عنه نفسى ٭ أكثِرى فى حُبّه أو أقِلِّى
شادِنٌ يُزهِى بخدٍّ وجيدٍ ٭ مائِس فاتِنٍ حُسْنٍ ودلٍّ
« ومتى مايعِ منكَ كلاماً ٭ يتكلَّم فيُجبْكَ بعقل »

٥

تقطيعه :

فعلاتن ، فعلن ، فعلاتن فعلاتن ، فعلن ، فعلاتن

العروض المحذوف اللازم الثانى

والضرب المقصور اللازم الثانى

١٠

ياومِيضَ البَرق بين الغَمام ٭ لاعليها بل عليك السلامْ
إنّ فى الأحداجِ مقصورَةً ٭ وجْهُها يهتِكُ سِتر الظلامْ
تَحسبُ الهجْر حلالا لها ٭ وترى الوصلَ عليها حرامْ
ما تأسّيكَ لِدار خلتْ ٭ ولشعب شَتّ بعد التئام
« إنما ذكرُكَ ماقد مضَى ٭ ضلَّةٌ مثلُ حديث المنام »

١٥

تقطيعه :

فاعلاتن ، فعلن ، فاعلن فاعلاتن ، فعلن ، فاعلانْ

الضرب المحذوف اللازم الثانى

عاتبٌ ظلْتُ له عاتباً ٭ رُبَّ مطلوبٍ غدَا طالبا
مَن يتب عن حُب معشوقِه ٭ لستُ عن حُبِّى له تائبا

٢٠

فالهوى لى قدَرٌ غالبٌ ٭ كيف أعصِى القدَرَ الغالبا
ساكِنَ القصرِ ومَن حلَّه ٭ أصبحَ القلبُ بكم ذاهِبا
«آعلَموا أنى لكم حافظ ٭ شاهداً ما عِشْتُ أو غائبا»

تقطيعه :

٥ فاعلاتن ، فاعلن ، فاعلن فاعلاتن ، فاعلن ، فاعلن

الضرب الأبتر

أىُّ تُفّاحٍ ورُمّانٍ ٭ يُجتنَى من خوطِ ريحانِ
أىُّ وردٍ فوق خدٍّ بَدا ٭ مُستنيرا بين سوسانِ
وثَنٌ يُعبدُ فى روْضةٍ ٭ صِيغَ من دُرٍّ ومَرْجانِ
١٠ مَن رأى الذّلفاء فى خَلْوةٍ ٭ لم يَرَ الحدّ على الزّانى !
«إنما الذّلفاءُ ياقوتةٌ ٭ أُخرِجت من كيسِ دهْقان»

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلن ، فاعلن فاعلاتن ، فاعلن ، فعْلن

العروض المجزوء المحذوف

والمخبون ضَرْبُه

١٥

مِن مُحِبٍّ شفَّهُ سقَمُه ٭ وتلاشَى لحْمُه ودَمُه
كاتبٍ حنَّتْ صحيفتُه ٭ وبكى من رحمةٍ قلَمُهُ
يَرفعُ الشكوى الى قمرٍ ٭ ينْجَلى عن وجهِهِ ظُلَمُه
من لقَرْن الشمسِ جَبهتُهُ ٭ ولِلَمْعِ البَرْق مُبتَسمُه
٢٠ خــلُّ عقلى يامُسَفِّهَهُ ٭ إنّ عقلى لستُ أتهِمُه

«للفتى عقلٌ يعيش به * حيث تَهدى ساقَه قدمُهْ»

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلن ، فعِلن * فاعلاتن ، فاعلن ، فعِلن

الضرب الأبتر اللازم الثانى

زادَنى لومُك أضرارا * إنّ لى فى الحب أنصارا
طار قلبى من هوى رَشإ * لودَنا للقلب ماطارا
خُذْ بكفّى لاأمُتْ غَرَقا * إنّ بَحر الحبِّ قد فارا
أنْضجتْ نار الهوى كبدى * ودموعى تُطفئُ النــارا
«رُبَّ نارٍ بتُّ أرمُقُها * تَقضِمُ الهندىَّ والغارا»

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلن ، فعِلن * فاعلاتن ، فاعلن ، فعْلن

* * *

يجوز فى حشو المديد : الخبن ، والكف ، والشكل ؛ فالمخبون : ماذهب ثانيه الساكن ، والمكفوف : ماذهب سابعه الساكن ، والمشكول : ماذهب ثانيه وسابعه الساكنان ، وهو اجتماع الخبن والكف فى فاعلاتن .

ويدخله التعاقب فى السببين المتقابلين بين النون من «فاعلاتن» والألف من «فاعلن» لا يسقطان جميعا ، وقد يثبتان ؛ فما عاقبه ما قبله فهو صدر ، وماعاقبه ما بعده فهو عجُز ، وماعاقبه ما قبله وما بعده فهو طرفان ، ومالم يعاقبه شىء فهو برىء ؛ والمقصور : ماذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحرّكاته من السبب ؛ والأبتر : ماحُذف ثم قُطع .

شطر البسيط

البسيط له ثلاثة أعاريض وستة أضرب :

فالعروض الأوّل مخبون تام ، له ضربان : ضرب مثله ، وضرب مقطوع لازم الثانى .

٥ والعروض الثانى مجزوء ، له ثلاثة أضرب : ضرب مُذال وضرب مجزوء ، وضرب مقطوع ممنوع من الطىّ .

والعروض الثالث مقطوع ممنوع من الطىّ ؛ له ضرب مثله .

العروض المخبون والضرب المخبون

بين الأهلّةِ بدر ماله فَلَكُ * قلبي له سلمٌ والوجه مشتركُ

١٠ إذا بَدا آنتهبتْ عينى محاسنه * وذَلّ قلبي لعينيـــه فينتَهك

آبتعتُ بالدين والدنيا مودّتَه * فخانني، فعلى من يَرجع الدرَك

كُفُّوا بنى حارثٍ ألحاظَ رِيمِكمُ * فكلُّها لفؤادى كلّه شَرَك

« ياحارِ لا أُرمَيَنْ منكم بداهيةٍ * لم يَلقَها سُوقةٌ قبلى ولا مَلِك »

تقطيعه :

١٥ مستفعلن، فاعلن، مستفعلن، فعِلن * مستفعلن، فاعلن، مستفعلن، فعِلن

الضرب المقطوع اللازم الثانى

يا ليلةً ليس فى ظَلْمائِها نورُ * إلا وُجوهاً تضاهِيها الدنانيرُ

حُورٌ سقتْنى بكأس الموت أعينُها * ماذا سقتْنيه تلك الأعينُ الحور

إذا آبتسَمْنَ فدُرُّ الثغر مُنتظِم * وإن نطَقن فدرُّ اللفظ منثور

خَلِّ الصِّبا عنك وآختم بالنُّهى عمَلا * فإنّ خاتمةَ الأعمال تكفير

«والخيرُ والشرُّ مقرونانِ فى قَرَنٍ * فالخيرُ متَّبَع والشر محـذورُ»

تقطيعه :

مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن ، فعْلن * مستفعلن ، فعِلن ، مستفعلن ، فعْلن

العروض المجزوء والضرب المذال

٥

يا طالباً فى الهوى ما لا ينالْ * وسائلا لم يَعَفْ ذلَّ السؤالْ

ولَّت ليـالى الصِّبا محمودةً * لو أنها رجعتْ تلك الليالْ

وأعقبتْها التى واصــلْتُها * بالهَجر لمَّا رأت شيْبَ القَذالْ

لا تلتمسْ وصْلةً من مُخْلِفٍ * ولا تـكن طالباً ما لا يُنال

«يا صاحِ قد أخلفتْ أسماءُ ما * كانت تمنِّيكَ من حُسن الوِصال» ١٠

تقطيعه :

ستفعلن، فاعلن، مستفعلن * مستفعلن، فاعلن، مستفعلان

الضرب المجزوء

١٥

ظالمتِى فى الهوى لا تظلِمى * وتَصْرِمى حبلَ مَن لم يَصرِمِ

أهكذا باطلا عاقبتِنى * لا يَرحمُ اللهُ مَن لم يَرحمِ

قتلتِ نفساً بلا نفسٍ وما * ذنب بأعظمَ من سفكِ الدم

لمثل هذا بكت عينى ولا * للمنزل القفــرِ أو للأرْسُم

«ماذا وُقوفى على رسْمٍ عَفا * مُخْلَوْلِق دارسٍ مُستَعجِم»

٢٠

تقطيعه :

مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن * مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن

الضرب المقطوع الممنوع من الطىّ

ما أقرَب اليأسَ من رجائِى * وأبعدَ الصبرَ من بُكائِى

يا مُذْكِىَ النارِ فى جوانِحِى * أنت دوائِى وأنت دائِى

مَن لى بمُخْلِفةٍ فى وعْدِها * تَخلِط لى اليأسَ بالرجاء

٥ سألتُها حاجةً فـلم تفُهْ * فيها بنعْمَى ولا بِلاء

« قلتُ آستجيبي فلما لم تُجِبْ * سالت دُموعى على رِدائى

تقطيعـــه :

مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن * مستفعلن ، فاعلن ، فعولن

العروض المقطوع الممنوع من الطىّ

١٠ ضربه مثـــله

كآبةُ الذُّلّ فى كتابى * ونَخوَةُ العِـزِّ فى جواب

قَتلتَ نفساً بغير نفسٍ * فكيف تنجو من العذاب

خُلِقْت من بهجةٍ وطِيبٍ * إذ خُلِق الناسُ من تراب

وَلّت حُمَيّا الشباب عنى * فلَهْف نفْسى على الشباب

١٥ « أصبَحْت والشيْبُ قد علاَنى * يَدعو حثِيثاً إلى الخِضاب »

تقطيعـــه :

مستفعلن ، فاعلن ، فعولن * مستفعلن ، فاعلن ، فعولن

* * *

يجوز فى حشو البسيط : الخبن ، والطى ، والخبل ؛ فالخبن ما ذكرناه فى

٢٠ المديد ، والطىّ ما ذهب رابعه الساكن ، والمخبول ما ذهب ثانيه ورابعه الساكنان ، وهو اجتماع الخبن والطىّ فى « مستفعلن » .

والخبن فيه حَسَن ، والطىّ فيه صالح ، والخبل فيه قبيح .

والمقطوع ما ذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من الوتد : والمذال ما زاد على اعتداله حرف ساكن .

[تمت الدائرة الأولى]

شطر الوافر

٥ له عروضان وثلاثة أضرب : فالعروض الأول مقطوف ، له ضرب مثله ؛ والعروض الثانى مجزوء ممنوع من العقل ، له ضربان : ضرب سالم ، وضرب معصوب .

العروض المقطوف : الضرب المقطوف

تجافى النومُ بَعدَك عن جُفونى * ولكن ليس يَجفوها الدموعُ
١٠ يذكّرُنى تَبَسُّمَك الأقاحِى * ويَحكِى لِى تَوَرُّدَك الربيعُ
يطير إليك من شوقٍ فؤادى * ولكن ليس تتركُه الضلوعُ
كأنّ الشمسَ لمّا غِبْتَ غابت * فليس لها على الدُنيا طُلوعُ
فمالى عن تَذَكُّرِك امتناعٌ * ودون لِقائك الحِصنُ المنيع
«إذا لم تستطعْ شيئاً فدعْهُ * وجاوِزْه إلى ما تستطيعُ»

١٥ تقطيعه :

مفاعلْتن ، مفاعلْتن ، فعولن * مفاعلْتن ، مفاعلْتن ، فعولن

العروض المجزوء الممنوع من العقل . الضرب السالم

غزالٌ زانَه الحوَرُ * وساعَد طرْفَه القدَرُ
يُريك إذا بدا وجْهاً * حكاه الشمسُ والقمَر
٢٠ بَراهُ الله من نورٍ * فلا جِنٌّ ولا بشَرُ
فذاك الهمُّ ، لا طَلَلٌ * وقفتَ عليه تعتبِرُ

«أهاجك منزلٌ أقوى * وغيّر آيهُ الغِيَرُ»

تقطيعـــه :

مفاعلَتن ، مفاعلْتن * مفاعلَتن ، مفاعلَتن

الضرب المعصوب

وبدْرٍ غيرِ مّمْحوقٍ * من العِقيان مخلوقِ

إذا أُسقِيت فضلَتَه * مَزَجتُ بريقهِ رِيق

فيالك عاشقاً يُسْقَى * بقيَّةَ كأسِ معشوقِ

بكيْتُ لنأْيِه عنى * ولا أبكى بتَشْهِيق

«لمنْزلةٍ بها الأفلا * كُ أمثال المهارِيق»

تقطيعـــه :

مفاعلَتن ، مفاعلْتن * مفاعلْتن ، مفاعلْتن

* * *

يجوز فى حشو الوافر : العصب ، والعقل ، والنقص ؛ فالعصب فيه حَسَن ، والنقص فيه صالح ، والعقل فيه قبيح .

ويدخله الخرم فى الابتداء فيسقط حركة من أول البيت فيسمى أعصب ، فإذا دخله العصب مع الخرم قيل له : أقصم ، فإذا دخله النقص من الخرم قيل له : أعقص ، فإذا دخله العقل مع الخرم قيل له : أجمّ .

والمعصوب ماسكن خامسه المتحرك ، والمنقوص ماسكن خامسه المتحرك وذهب سابعه الساكن ، والمقطوف ماذهب من آخره سبب خفيف وسكن آخر ما بقى ؛ ولا يدخل القطف إلا فى العروض والضرب من تمام الوافر .

شـــطر الكامل

الكامل له ثلاثة أعاريض وتسعة ضروب ، فالعرض الأول تام ، له ثلاثة

ضروب : ضرب تام مثله ، وضرب مقطوع ممنوع إلا من سلامة الثانى وإضماره ، وضرب أحذّ مضمر .

والعروض الثانى أحذّ له ضربان : ضرب مثله وضرب مضمر .

والعروض الثالث مجزوء له أربعة ضروب : ضرب مرفَّل ، وضرب مُذال ، وضرب مجزوء ، وضرب مقطوع ممنوع إلا من سلامة الثانى وإضماره . ٥

العروض التام : الضرب التام

يا وجهَ مُعْتذرٍ ومُقْلةَ ظالمٍ * كم من دمٍ ظلماً سفكتَ بلا دمِ
أوجدتَ وصلى فى الكتابِ مُحرَّما * ووجدتَ قتلى فيه غيرَ مُحرَّمِ
كم جنةٍ لك قد سكَنْتَ ظِلالها * مُتفكِّها فى لذَّةٍ وتنعُّمِ
وشرِبْتُ من خمرِ العيونِ تعلُّلا * فإذا انتشيْتُ أُجودُ جُودَ المِرْزمِ ١٠
« وإذا صحوْتُ فما أُقصِّرُ عن ندًى * وكما علِمتَ شمائلى وتكرُّمى »

تقطيعـــه :

متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن * متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن

الضرب المقطوع الممنوع إلا من الإضمار والسلامة

حالَ الزّمانُ فبدَّل الآمالا * وكسا المَشيب مفارقًا وقَذالا ١٥
غنِيَتْ غَوانى الحىِّ عنك وربما * طَلَعت إليك أكِلَّةً وحِجالا
أضحى عليك حلالُهُنّ مُحرّما * ولقد يكونُ حَرامُهُن حلالا
إنّ الكواعبَ إنْ رأيْنك طاويا * وصْل الشباب طَوَين عنك وصالا
« وإذا دعَونَك عمَّهُنّ فإنه * نسَبٌ يزيدُك عندهُن خَبالا »

تقطيعـــه : ٢٠

متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن * متفاعلن ، متفاعلن ، فَعِلاتن

الضرب الأحذ المضمر

يوم المحبِّ لطوله شهـــرُ * والشهـــرُ يحسَبُ أنه دهرُ
بأبى وأمى غادةً فى خـــدها * سحـــر وبين جُفونها سحـــر
الشمسُ تحسب أنها شمسُ الضُحَى * والبدرُ يحسِب أنهـا البـــدْر
٥ فسَلِ الهوى عنها يجبْك، وإن نأتْ * فسلِ القِفارَ يُجيبُك القفـــر
«لمَن الديارُ برامَتَيْن فعاقلٍ * درستْ وغيَّر آيَهـا القَطر»

تقطيعه

متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن * متفاعلن ، متفاعلن ، فعْلن

العروض الأحذ ضربه مثله

١٠ أمّا الخليطُ فشذَّ ماذهبوا * بانوا ولم يَقضوا الذى يَجبُ
فالدارُ بعـــدهم كرشْم يَدٍ * يادار فِيكِ وفيهمُ العجب
أين التى صِيغتْ محاسنُها * من فضَّةٍ شيبَتْ بهـا ذهَب
ولّى الشبابُ فقلتُ أندُبُه * لا مثْلَ ماقالوا ولا نَدَبوا
«دِمَنٌ عَفتْ ومَحا معالِمَها * هَطِلٌ أجشُّ وبارِحٌ تَرِب»

١٥ تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن ، فعِلن * متْفاعلن ، متفاعلن ، فعِلن

الضرب الأحذ المضمر

عينيَّ كيف غررتمـا قلبى * وأجتُماه لوعةَ الحبِّ
يا نظرةً أذكتْ على كَبدى * ناراً قضيْتُ بحرِّها نَحْبِى
٢٠ خَلُّوا جوَى قلبى أكابِدُه * حسْبى مُكابَدةُ الجوَى حسْبى

عيني جنَت من شؤْمِ نظرتِها * ما لا دواء له ، على قلبي
«جانِيكَ من يَجني عليك وقد * تعْدِي الصِّحاحَ مَبارِكُ الجُرْب»

تقطيعه :

متْفاعلن ، متْفاعلن ، فعِلن * متْفاعلن ، متَفاعلن ، فعْلن

العروض المجزوء والضرب المجزوء المرفل

هتكَ الحِجابَ عن الضمائرْ * طرْفٌ به تُبلَى السرائرْ
يرْنُو فيَمتَحِنُ القلو * بَ كأنه فى القلب ناظر
ياساحراً ماكنتُ أعْ * رفُ قبله فى الناس ساحر
أقصيْتَنى من بعد ما * أدنيْتَنى فالقلب طائر
«وغَرَرْتَنى وزعمتَ أنْـ * ـك لابِنٌ بالصيف تامر»

تقطيعه :

متَفاعلن ، متَفاعلن * متَفاعلن ، متْفاعلاتن

الضرب المذال

يا مُقْلَةَ الرَّشإِ الغريـ * ـرِ وشقَّةَ القمرِ المنيرْ
ما رَنَّقتْ عيْناكِ لى * بين الأَرائكِ والسُّتور
إلا وضعتُ يَدى على * قلبي مخافةَ أن يطير
هبْنى كبعضِ حَمام مكْـ * ـةَ وآستمعْ قولَ النذير :
«أبُنَيَّ لا تَظلمْ بمكَّـ * ـةَ لاالصغيرَ ولا الكبير»

تقطيعه :

متَفاعلن ، متْفاعلن * متَفاعلن ، متَفاعلان

الضرب المجزوء

قل ما بدا لكَ وافعَلِ * واقطعْ حِبالكَ أو صِلِ
هٰـــذا الربيع فحَيِّهِ * وانزلْ بأكرمِ منزلِ
وصِلِ الذى هُو واصلٌ * فإذا كرهْتَ فبدِّلِ
٥ وإذا نبا بك منزلٌ * أو مسكَنٌ فتحوّلِ
«وإذا افتقرتَ فلا تكُن * مُتخشِّعاً وتجمّـــلِ»

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن * متفاعلن ، متفاعلن

الضرب المقطوع الممنوع إلا من سلامة الثانى وإضماره

١٠ يا دهرُ مالى أصْفِى * وأنتَ غيرُ مُواتِى
جرعْتنى غُصَصاً بها * كدرتَ صَفْوَ حياتِى
أين الذينَ تسابقُوا * فى المجدِ للغاياتِ
قومٌ بهمْ روحُ الحيا * ةِ تُردُّ فى الأمواتِ
«وإذا هُمُو ذكرُوا الإسا * ءةَ أكثرُوا الحسناتِ»

١٥ ### تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن * متفاعلن ، فعِلاتن

* * *

يجوز فى الكامل من الزحاف : الإضمار والوقص والخزل ، فالإضمار فيه حَسن ، والوقص فيه صالح ، والخزل فيه قبيح .

٢٠ فالمضمر ما سكن ثانيه المتحرك .

والموقوص ماذهب ثانيه المتحرك .

والمخزول ماسكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن .

ويدخله من العلل القطع والحذذ ، فالمقطوع ما تقدم ذكره ، والأحذ ما ذهب من آخر الجزء وتد مجموع .

[تمت الدائرة الثانية]

شطر الهزج

الهزج له عروض واحد مجزوء ممنوع من القبض ، وضربان : ضرب سالم ، وضرب محذوف .

العروض المجزوء الممنوع من القبض ضربه مثله

أيا مَن لامَ فى الحبِّ * ولم يَعلَمْ جَوى قلبى

مَلامُ الصبِّ يُغويهِ * ولا أغْوى منَ القلبِ

فأنى لُمتَ فى هندٍ * مُحبًّا صادقَ الحبِّ

وهند مالها شِبهٌ * بِشرقٍ لا ولا غربِ

«إلى هند صَبا قلبى * وهِندٌ مثلُها يُصبى»

تقطيعه :

مفاعيلن ، مفاعيلن * مفاعيلن ، مفاعيلن

الضرب المجزوء المحذوف

متى أشفِى غليلِى * بنيلٍ من بَخيلِ

غزالٌ ليس لى منه * سوى الحزن الطويلِ

جميلُ الوجهِ أخلانِى * من الصبرِ الجميلِ

حَمَلْتُ الضَّيْمَ فيه من ٭ حَسودٍ أو عـذول
«وما ظَهرى لباغى الضَّـيْم بالظهرِ الذَّلُولِ »

تقطيعه :

مفاعيلن ، مفاعيلن ٭ مفاعيلن ، فعولن

٥

* * *

يجوز فى الهزج من الزحاف : القبض، والكف ؛ فالكف فيه حسن ،والقبض فيه قبيح ؛ وقد فسرنا المقبوض والمكفوف فى الطويل أيضا ؛ ويدخله الخرم فى الابتداء ، فيكون أخرم ، فإذا دخله الكف مع الخرم قيل له : أخرب ، فإذا دخله القبض مع الخرم قيل له : أشتر ، والخرم كله قبيح .

١٠

شطر الرجز

الرجز له أربعة أعاريض وخمسة ضروب :

فالعروض الأول تام ، له ضربان : ضرب تام مثل عروضه ، وضرب مقطوع ممنوع من الطىّ .

والعروض الثانى مجزوء ، له ضرب مثله مجزوء .

١٥

والعروض الثالث مشطور ، له ضرب مثله ؛ والعروض الرابع منهوك ، له ضرب مثله .

العروض التام . الضرب التام

لم أدرِ جِنِّىٌّ سَبانى أم بشرْ ٭ أم شمسُ ظُهرٍ أشرقتْ لى أم قمرْ
أمْ ناظرٌ يُهدِى المنايا طرفهُ ٭ حتى كأنَّ الموتَ منه فى النَّظر

٢٠

يُحيِى قتيلا ماله من قاتلٍ ٭ إلا سهامُ الطَّرْفِ ريشَت بالحوَرْ
ما بالُ رسمِ الوَصْلِ أضحى دارِساً ٭ حتى لقد أذكرَتنى عما دَثَرْ

« دارٌ لِسلمى إذ سُليمَى جارةٌ * قفْرٌ ترى آياتِها مثلَ الزُّبُرْ »

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن

الضرب المقطوع الممنوع من الطى

قلبٌ بلوْعاتِ الهوى معمودُ * حيٌّ كَمَيْتٍ حاضرٌ مفقودُ
مَن ذا يُداوى القلبَ من داء الهوى * إذ لا دواءٌ للهوى موجود
أم كيفَ أسلُو غادةً ماحُبُّها * إلا قضـــاءٌ ماله مَرْدودُ
« القلبُ منهـــا مُستريح سالمٌ * والقلب منِّى جاهِد مجهودُ »

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلْ

العروض المجزوء . الضرب المجزوء

أعطيتُـه ماسَألا * حكَّمْتُه لو عـدَلا
وهَبته رُوحى فما * أدرى به ما فعَلا
أسلَمتُهُ فى يده * عيَّشهُ أم قَتلا
قلبى به فى شُغُلٍ * لاَمَلَّ ذاكَ الشُّغُلا
« قيَّدهُ الحبُّ كما * قيدَ راعٍ جَملا »

تقطيعه :

مفتعلن ، مفتعلن مفتعلن ، مفتعلن

العروض المشطور . الضرب المشطور

يأيها المشغوف بالحبِّ التّعِبْ * كم أنت فى تقريب مالا يَقترِبْ

دعْ وُدَّ مَنْ لا يَرْعَوى إذا غضِبْ * ومَن إذا عاتَبْتَهُ يوما عَتبْ

* « إنك لا تَجنى من الشَّوْكِ العِنَبْ » *

تقطيعه :

مفتعلن ، مستفعلن ، مستفعلن

٥ العروض المنهوك . الضرب المنهوك

ياصُ شيْب قد نَصَعْ * رَقَعْته فما ارْتَقعْ

إذا رأى البِيضَ انقَمَع * ما بين يأس وطمع

للهِ أيّامُ النَّخَعْ * يا ليتنى فيها جَذَع

* أخُبُّ فيها وأضَع *

١٠ تقطيعه :

مُتَفْعلن ، مفتعلن

* * *

ويجوز فى حشو الرجز : الخبن ، والطى ، والخبل ؛ فالخبن فيه حسَن ، والطىّ فيه صالح ، والخبل فيه قبيح ؛ وقد مضى تفسير الطىّ والخبن والخبل فى البسيط .

١٥ ويدخله من العلل القطع ، وقد ذكرناه ، ويكون مجزوءاً ، والمجزوء ما ذهب من آخر الصدر جزء ومن آخر العجز جزء ؛ ويأتى مشطوراً ، والمشطور ما ذهب شطره ؛ ويأتى منهوكا ، والمنهوك ما ذهب من شطره جزآن وبقى على جزء .

شطر الرمل

الرمل له عروضان وستة ضروب ؛ فالعروض الأول محذوف جائز فيه

٢٠ الخبن ، له ثلاثة ضروب : ضرب متمّم ، وضرب مقصور جائز فيه الخبن ، وضرب محذوف مثل عروضه ؛ والعروض الثانى مجزوء له ثلاثة ضروب :

ضرب مسبّغ ، وضرب مجزوء مثل عروضه الجائز فيه الخبن ، وضرب محذوف جائز فيه الخبن .

العروض المحذوف الجائز فيه الخبن لضرب المتمم

أنا فى اللّذاتِ مخلوعُ العِذارِ * هائمٌ فى حُبِ ظَبْي ذى احْوِرار

صُفرةٌ فى حُمْرةٍ فى خدِّهِ * جمعتْ رَوضةَ وردٍ وبَهار

٥

بأبى طاقـــةَ آسٍ أقبلَتْ * تتثنّى بين حَجْـــلٍ وسِوار

قادنى طَرْفى وقلبى للهوى * كيف من طرفى ومن قلبى حَذارى

«لو بغيرِ الماءِ حلْقى شَرِقٌ * كنتُ كالغَصّانِ بالماءِ اعتِصارى»

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن ، فعلن   فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلاتن

١٠

الضرب المقصور

يا مُديرَ الصُّدْغِ فى الخدِّ الأسيلْ * ومُجيلَ السِّحْرِ بالطَّرفِ الكحيلْ

هل لِمحزونٍ كئيبٍ قُبلةٌ * منك يَشفى بَرْدُها حرَّ الغليل

وقليـــلٌ ذاك إلّا أنه * ليس من مِثْلِك عندى بالقليل

بأبى أحورَ غَـــنَّى مَوْهِناً * بغِناءٍ قصّر الليلَ الطويل

١٥

« يا بَنى الصَّيْداءِ رُدُّوا فرسى * إنما يُفعلُ هـذا بالذّليـل »

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن ، فعلن   فاعلاتن ، فعلاتن ، فاعلات

الضرب المحذوف

شادِنٌ يَسْحَبُ أذيالَ الطَّرَبْ * يَتثنّى بين لهـــوٍ ولعِبْ

٢٠

بجَبينٍ مُفْرَغٍ من فِضّةٍ * فوق خدٍّ مُشْرَبٍ لونَ الذهب

كَتَبَ الدمعُ بخدّى عهدَه ۞ للهوى والشوقُ يُملِى ماكَتبْ
ما لجهْلِى ما أراه ذاهبـــا ۞ وسَوادُ الرأسِ منى قد ذَهب
« قالت الخنساء لمّا جئتُها ۞ شاب بعدى رأْسُ هذاواشتَهبْ »

تقطيعـــه :

٥ فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن ۞ فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن

العروض المجزوء . الضرب المسبغ

يا هلالا فى تَجَنّيهْ ۞ وقضيباً فى تَثَنّيهْ
والذى لستُ أُسَمّيـــهِ ولكنى أُكَنّيهْ
شادِنٌ ما تَقْدِر العيــنُ تراهُ من تلالِيه
١٠ كلّما قابلَه شخــصٌ رأى صورتَه فيه
« لآن حتى لومشَى الذَّ ۞ رُّ عليه كاد يُدْميه »

تقطيعـــه :

فاعلاتن ، فاعلاتن ۞ فعلاتن ، فاعلاتانْ

الضرب المجزوء

١٥ يا هلالا قد تَجلّى ۞ فى ثياب من حرير
وأمـــيراً بهـــواه ۞ قاهراً كلّ أمير
ما لخدّيْكَ آستَعارا ۞ حُمرةَ الوردِ النضيرِ
ورُسوم الوصْلِ قد ۞ ألبسْتَها ثوبَ دُثورِ
« مُقفِرات دارِسات ۞ مثْل آياتِ الزبورِ »

٢٠ تقطيعـــه :

فاعلاتن ، فاعلاتن ۞ فاعلاتن ، فاعلاتن

الضرب المجزوء المحذوف الجائز فيه الخبن

يا قتيلا من يَدِهْ * ميّتاً من كَمَدِهْ
قَدَحتْ للشوْق نارا * عينُه فى كَبِدِهْ
هائمٌ يَبكى عليه * رحمةً ذو حَسَدِه
كلّ يومٍ هو فيه * مُستعيذٌ من غدِه ٥
«قلبُه عند الثُّريّا * بائنٌ عن جسده»

تقطيعـــه :

فاعلاتن ، فاعلاتن * فاعلاتن ، فعلن

* * *

يجوز فى الرمل من الزحاف : الخبن ، والكف ، والشكل ؛ فالخبن فيه حسن ١٠
والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح ، وقد فسرنا المكفوف والمخبون .

فأما المشكول فهو ماذهب ثانيه وسابعه الساكنان .

ويدخله التعاقب فى السببين المتقابلين على حسب مايدخل فى المديد ؛ ويدخله من العلل : الحذف ، والقصر ، والإسباغ ؛ وقد فسرنا المحذوف والمقصور ، وأما المسبغ فهو مازاد على اعتدال جزئه حرف ساكن مما يكون فى آخره سبب ١٥
خفيف ، وذلك «فاعلاتن» يزاد عليها حرف ساكن فيكون «فاعلاتان» .

[تمت الدائرة الثالثة] .

شطر السريع

السريع له أربعة أعاريض وسبعة أضرب .

فالعروض الأول مكشوف مطوى لازم الثانى ، له ثلاثة ضروب : ضرب ٢٠
موقوف مطوى لازم الثانى ، وضرب مكشوف مطوى لازم الثانى مثل عروضه وضرب أصلم سالم .

والعروض الثانى مخبول مكشوف ، له ضربان : ضرب مثل عروضه ، وضرب أصلم سالم .

والعروض الثالث مشطور موقوف ممنوع من الطىّ ، ضربه مثله .

والعروض الرابع مشطور مكشوف ممنوع من الطىّ ضربه مثله .

العروض المكسوف المطوى اللازم الثانى

الضرب الموقوف المطوى اللازم الثانى

بكيتُ حتى لم أدَعْ عَبْرةً * إذ حَملوا الهوْدجَ فوق القَلوصْ
بُكاء يعقوبَ على يوسُفٍ * حتى شَقَى غُلتَه بالقميصْ
لا تأسفِ الدهرَ على ما مضى * وألْقَ الذى ما دونَه من مَحيص
«قد يُدرِكُ المُبْطِئُ من حظّه * والخيرُ قد يَسبِق جُهدَ الحريص»

تقطيعه :

مستفعلن ، مفتعلن ، فاعلن * مستفعلن، مفتعلن، فاعلات

الضرب المكشوف المطوى اللازم الثانى

لله دَرُّ البيْنِ ما يَفعلُ * يقتُل من شاء ولا يُقتَلُ
بانُوا بمن أهواه فى ليلةٍ * رُدَّ على آخِرها الأوّلُ
ياطولَ ليلِ المبتَلَى بالهوى * وصُبْحُه من ليْلِه أطوَل
فالدارُ قد ذكّرَنى رسمُها * ما كدتُ من تَذكاره أذهَل
«هاج الهوى رسْمٌ بذاتِ الغَضَى * مُخْلَوْلِقٌ مُستَعجِمٌ مُحْول»

تقطيعه :

مستفعلن، مستفعلن، فاعلن * مستفعلن، مستفعلن، فاعلن

الضرب الأصلم السالم

قلبي رهينٌ بين أضلاعى * من بين إيئاس وإطماع
من حيثما يدعوه داعي الهوى * أجابه لبّيك من داعى
مَنْ لسقيمٍ ماله عائدٌ * وميّتٍ ليس له ناعِى
لما رأتْ عاذِلتى ما رأتْ * وكان لى من سَمْعِها واعى
« قالت ولم تقصِدْ لقِيْل الخَنا * مَهلا لقد أبلغْتَ أسماعى »

تقطيعه :

مستفعلن، مستفعلن، فاعلن * مستفعلن، مستفعلن، فعْلن

العروض المخبول المكسوف

ضربه مثله

شمسٌ تجلّت تحت ثوبِ ظُلَمْ * سَقيمةُ الطرْف بغير سَقَمْ
ضاقتْ علىّ الأرضُ مُذْ صَرَمَت * حَبْلى فما فيها مكانُ قدم
شمسٌ وأقمارٌ تطُوفُ بها * طوْفَ النصارى حول بيْتِ صنَمْ
« النّشرُ مِسكٌ والوجوه دَنا * نيرٌ وأطرافُ الأكُفِّ عَنَم »

تقطيعه :

مستفعلن، مستفعلن، فعِلن * مستفعلن، مستفعلن، فعِلن

الضرب الأصلم السالم

أنت بما فى نفْسه أعلمْ * فاحكم بما أحببْتَ أن تحكُمْ
ألحاظُه فى الحبِّ قد هتَكتْ * مكتومهُ والحبُّ لا يُكتَم
يا مُقْلةً وحشِيّةً قتلتْ * نفساً بلا نفْسٍ ولم تَظلِمْ
قالت تَسلّيْتَ فقلتُ لها * ما بالُ قلبي هائمٌ مُغْرَمْ

«يا أيها الزارِى على عُمَرٍ * قد قلتَ فيه غير ما تعلمْ»

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، فعِلن * مستفعلن ، مستفعلن ، فعْلن

العروض المشطور الموقوف الممنوع من الطى

٥ ضربه مثله

خلّيتُ قلبى فى يدىْ ذات الخالْ * مُصفَّدًا مُقيّـــداً فى الأغلالْ
قد قلتُ للباكى رُسومَ الأطلالْ * «يا صاح ما هاجك من رَبْعٍ خالْ»

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، مفعولانْ

العروض المشطور المكسوف الممنوع من الطى

١٠ ضربه مثله

ويحى قتيلا ما له من عقلِ * بشادنٍ يهتزّ مثلَ النَّصْلِ
مكحَّلٍ ما مسّه من كحْلِ * لا تعذلانى إننى فى شُغْلِ
«يا صاحبَىْ رَحْلى أقِلّا عَذْلى»

١٥ تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، مفعولن

* * *

يجوز فى السريع من الزحاف : الخبن ، والطىّ ، والخبل ؛ فالخبن فيه حسَن ، والطى صالح ، والخبل فيه قبيح .

٢٠ ويدخله من العلل : الكشف ، والوقف ، والصلم ؛ فالمكشوف ما ذهب

سابعه المتحرك ، والموقوف ماسكن سابعه ، والأصلم ماذهب من آخره وتد مفروق ؛ والمشطور ماذهب شطره .

شطر المنسرح

المنسرح له ثلاثة أعاريض وثلاثة ضروب ؛ فالعروض الأول ممنوع من الخبل ، له ضرب مطوى ؛ والعروض الثانى منهوك موقوف ممنوع من الطىّ ، له ضرب مثله ؛ والعروض الثالث منهوك مكشوف ممنوع من الطىّ ، له ضرب مثله .

العروض الممنوع من الخبل

الضرب المطوى

بيضاء مضمومة مُقرْطقةٌ * ينقَدّ عن نَهدها قَراطِقُها

كأنما باتَ ناعماً جَذِلا * فى جنة الخلد مَن يُعانقها

وأىّ شىءٍ ألذُّ من أملٍ * نالته معشوقة وعاشقها

دعْنى أُمت من هَوَى مُخدَّرةٍ * تعْلق نفسى بها عَلائقها

«مَن لم يَمتْ عِبْطةً يَمت هَرَما * الموتُ كأسٌ والمرء ذائقها»

تقطيعه :

مستفعلن ، مفْعلاتُ ، مفتعلن * مستفعلن ، مفعولاتُ مفتعلن

العروض المنهوك الموقوف الممنوع من الطى

ضربه مثله

أقصرتُ بعضَ الإقصارْ * عن شادِنٍ نائى الدارْ

صَبَّرَنِى لمَّا صارْ * ولم أكن بالصَّبَّارْ

«وقال لى باستعْبار * صَبْراً بنى عبد الدارْ»

تقطيعه :

مستفعلن ، مفعولاتْ

العروض المنهوك المكسوف الممنوع من الطى

٥ ضربه مثله

عاصَتْ بوصْل صدًّا * تريد قتْلى عمــدا

لمـا رأتــنى فرْدا * أبكى وألقَى جهْدا

«قالت وأبدتْ ردّا * وَيْلٌ سعدٍ سعدا»

تقطيعه :

١٠ مستفعلن ، مفعولن

* * *

يجوز فى المنسرح من الزحاف : الخبن ، والطىّ ، والخبل ؛ فالخبن فيه حسن ، والطىّ فيه صالح ، والخبل قبيح .

ويدخله من العلل : الوقف ، والكشف ؛ وقد فسرناهما فى السريع .

١٥ والمنهوك ماذهب شطره ثم ذهب منه جزء بعد الشطر .

شطر الخفيف

الخفيف له ثلاثة أعاريض وخمسة ضروب :

فالعروض الأول منه تامّ له ضربان : ضرب يجوز فيه التشعيث ، وضرب محذوف يجوز فيه الخبن .

٢٠ والعروض الثانى جائز فيه الخبن . وله ضرب مثله .

والعروض الثالث مجزوء ، له ضربان : ضرب مثله مجزوء ، وضرب مجزوء مقصور مخبون .

العروض التامّ . الضرب التامّ

الجائز فيه التشعيث

أنتَ دائي وفى يديك دوائي * ياشِفائي من الجوَى وبلائي
إنّ قلبي يُحبُّ مَن لا أُسمّى * فى عَناءٍ أَعْظِمْ به من عَناء
كيف لا كيف أنْ ألَذّ بعيشٍ * مات صبرِي به ومات عزائى
أيها اللائمون ماذا عليكم * أن تعيشوا وأن أموتَ بدائى
«ليس مَن مات فاستراح بميْتٍ * إنما الميْتُ ميِّتُ الأحياء»

تقطيعه :

فاعلاتن ، مُتَفعلن ، فعِلاتن * فاعلاتن ، متفعلن ، مفعولن

الضرب المحذوف يجوز فيه الخبن

ذاتُ دَلٍّ وشاحُها قَلِقُ * من ضُمُورٍ وحَجلها شَرِقُ
بزّتِ الشمسَ نورُها ، وحَباها * لَحْظَ عينيه شادِنٌ خَرِق
ذَهبٌ خدّها يَذوبُ حَياءً * وسِوَى ذاكَ كلّه وَرِق
إن أُمتْ ميتةَ المحبِّين وجْداً * وفؤادى من الهوى حَرِق
فالمنايَا من بين غادٍ وسارٍ * كلُّ حىّ برَهْنِها غَلِق

تقطيعه :

فاعلاتن ، مستفعلن ، فاعلاتن * فاعلاتن ، متفعلن ، فعِلن

الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن

ضربه مثله

يا غليلا كالنارِ فى كبدِى * واغترابِ الفؤادِ عن جسدِى
وجفوناً تذرى الدموعَ أسى * وتَبيعُ الرقادَ بالسهدِ
٥ ليت مَن شَفَّنِى هواهُ رأى * زفراتِ الهوى على كبدِى
غادةٌ نازحٌ محلّتُها * وكلتنى بلوعةِ الكَمَد
«رُبَّ خرقٍ من دونِها قذف * ما به غير الجنِّ من أحدِ»

تقطيعه :

فاعلاتن ، مستفعلن ، فعِلن فاعلاتن ، مستفعلن ، فعِلن

١٠ العروض المجزوء والضرب المجزوء

ما لِليلَى تبدّلتْ * بعدَنا ودّ غيرنا
أرهَقتْنا ملامةً * بعد إيضاح عُذرِنا
فسلوْنا عن ذكرها * وتسلّتْ عن ذكرنا
لم نقُل إذ تَحرمتْ * واستهلّتْ بهجرنا
١٥ «ليتَ شِعرى ماذا تَرى * أُمُّ عمرو فى أمرِنا»

تقطيعه :

فاعلاتن ، مستفعلن فاعلاتن ، مستفعلن

الضرب المجزوء المقصور المخبون

أشرقَتْ لى بُدُورُ * فى ظلامٍ تُنيرُ
٢٠ طار قلبي بحبِّها * مَن لِقلبٍ يَطير
يا بُدوراً أنا بها * الدهرَ عانٍ أسيرُ

إن رضِيتم بأن أمو * تَ فوتى حقيرُ

«كل خطب إن لم تكو * نوا غَضبتم يسيرُ»

تقطيعه :

فاعلاتن ، مستفعلن فاعلاتن ، فعولن

* * *

يجوز فى الخفيف من الزحاف : الخبن ، والكف ، والشكل ؛ فالخبن فيه حَسن ، والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح . ٥

ويدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من مستفعلن وفاعلاتن : لا يسقطان معا ، وقد يثبتان ؛ وذلك أن وتد «مُسْ تَفْعِ لنْ» فى الخفيف والمجتث ، كله مفروق فى وسط الجزء ؛ وقد بينا التعاقب فى المديد .

ويدخله من العلل ، التشعيث ، والحذف ، والقصر ؛ وقد بينا المحذوف والمقصور ، وأما التشعيث فهو دخول القطع فى الوتد من «فاعلاتن» التى من الضرب الأول من الخفيف ، فيعود «مفعولن» . ١٠

شطر المضارع

المضارع له عروض واحد مجزوء ممنوع من القبض ، وضرب مجزوء ممنوع من القبض مثل عروضه ، وهو : ١٥

أرى لِلصِّبا وَداعا * ولا يذكرُ اجتماعا

كأن لم يكنْ جديراً * بحفظِ الذي أضاعا

ولم يُصبِنا سرُوراً * ولم يُلهِنا سَماعا

لجِدِّ وِصالَ صبٍّ * متى تعصِه أطاعا

«وإن تَدْنُ منه شبراً * يُقرِّبْك منه باعا» ٢٠

تقطيعه :

مفاعيلن فاعلاتن مفاعيلن فاعلاتن

* * *

يجوز فى حشو المضارع من الزحاف : القبض ، والكف ، فى مفاعيلن ، ولا يجتمعان

٥ فيه لعلة التراقب ، ولا يخلو من واحد منهما ؛ وقد فسرنا التراقب مع التعاقب .

ويدخله فى فاعلاتن الكف ؛ فأما القبض فهو ممنوع منه وتد فاع‌لاتن فى المضارع ؛ لأنه مفروق وهو «فاع» ؛ والتراقب فى المضارع بين السببين فى «مفاعيلن» فى الياء والنون ؛ لا يثبتان معا ولا يسقطان معا ؛ وهو فى المقتضب بين الفاء والواو من «مفعولات» .

١٠ شطر المقتضب

المقتضب له عروض واحد بجزوء مطوى . وضرب مثل عروضه ، وهو :

يا مليحةَ الدعجِ * هل لديكِ من فرَجِ

أم تُراكِ قاتِلَتى * بالدلالِ والغنْجِ

من لِحسْنِ وجهكِ من * سوءِ فِعلِكِ السمِجِ

١٥ عاذِلىَّ حسبُكما * قد غرِقْتُ فى لُجَجِ

«هل علىَّ ويْحَكما * إن لهوْتُ من حرجِ»

تقطيعه :

فاعلاتُ مفتعلن فاعلاتُ مفتعلن

* * *

٢٠ يدخل التراقب فى أول البيت ، فى السببين المتقابلين ، على حسب ما ذكرناه فى المضارع .

شطر المجتث

له عروض واحد مجزوء . ضربه مثله

وشادِنٍ ذى دلالٍ ◦ مُعصَّبٍ بالجمالِ
يضنُّ أنْ يحتويه ◦ معى ظلامُ الليالى
أو يلتقى فى منامى ◦ خيالُهُ معْ خيالى
غُصنٌ نما فوقَ دعْصٍ ◦ يختالُ كلَّ اختيال
«البطنُ منها خميص ◦ والوجهُ مثلُ الهلالِ»

تقطيعه :

مستفعلن ، فاعلاتن   مستفعلن ، فاعلاتن

* * *

يجوز فى المجتث من الزحاف : الخبن ، والكف ، والشكل ؛ فالخبن فيه حسَن ، والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح .

ويدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من مستفع لن ، وفاعلاتن ، على حسب مايدخل الخفيف ؛ وذلك لأن وتد مستفع لن فى المجتث مفروق كما هو فى الخفيف مفروق وذلك «تفع» .

[تمت الدائرة الرابعة]

شطر المتقارب

المتقارب له عروضان وخمسة أضرب .

فالعروض الأول منها تام يجوز فيه الحذف والقصر ، له أربعة ضروب : ضرب تام مثل عروضه ، وضرب مقصور ، وضرب محذوف معتمد ، وضرب أبتر .

والعروض الثانى مجزوء محذوف معتمد ، له ضرب مثله معتمد .

العروض التام الجائز فيه الحذف والقصر

الضرب التام

لحالٍ عن العهدِ لمَّا أحالا * وزال الأحِبَّةُ عنه فزالا
محل تَحِلُّ عُرَاها السَّحابُ * وتَحكى الجنوبُ عليه الشَّمالا
فياصاحِ هذا مُقامُ المُحِبِّ * وربْعُ الحبيبِ فُحطَّ الرِّحالا ٥
سلِ الرَّبْعَ عن ساكِنيه فإنِّى * خَرِسْتُ فما أستطيعُ السُّؤالا
«ولا تَعْجَلَنِّى هداكَ المليكُ * فإنَّ لكلِّ مَقامٍ مَقالا»

تقطيعه :

فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن   فعولُ ، فعول ، فعولن ، فعولن

الضرب المقصور ١٠

فؤادى رَمَيْتَ وعقلى سَبَيْتْ * ودَمعى مَرَيْتَ ونومى نَفَيْتْ
يَصُدُّ اصْطِبارى إذا ما صدَدْتَ * ويَنْأى عَزائى إذا ما نأيْت
عزَمْتُ عليكَ بمجرى الوِشاحِ * وما تحت ذلك مما كَنَيْتْ
وتُفاحِ خَدٍّ ورمّانِ صدرٍ * وَجَناهما خيرُ شىءٍ جَنَيْتْ
تُجدِدُ وصلًا عفا رسْمُه * فمثْلَكَ لمّا بَدا لى بَنَيْت ١٥
«على رسمِ دارٍ قِفارٍ وقفْت * ومن ذِكْرِ عهدِ الحبيب بكيْت»

تقطيعه :

فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولْ   فعولن ، فعولن ، فعولُ ، فعولْ

الضرب المحذوف المعتمد

أياويحَ نفسى وويلُ آمِّها * لِما لقِيَتْ من جوَى همِّها ٢٠
فديْتُ التى قتلَتْ مُهجَتى * ولم تتَّقِ اللهَ فى دمِها

أُغُضُّ الجُفونَ إذا مابَدتْ * وأَبْكِي إذا قيل لى سَمِّها
أُدارى العيونَ وأخشى الرَّقيبَ * وأَرْصُدُ غَفْــلةَ قَيِّمِها
«سَبَتْنِي بِجيدٍ وخدٍ ونحْرٍ * غَداةَ رمَتْنِى بأسْهُمِها»

تقطيعه :

فعولن، فعولن، فعولن، فعولن فعولُ ، فعولن ، فعولُ ، فعلْ ٥

الضرب الأبتر

لا تبْكِ ليلَى ولا مَيَّهْ * ولا تندُبَنْ راكبا نيهْ
وأبْكِ الصِّبا إذ طَوى ثوبَهُ * فلا أحــدٌ ناشِرٌ طَيَّهْ
ولا القلبُ ناسٍ لِما قد مضى * ولا تاركٌ أبداً غَيَّهْ
ودعْ عنك يأساً على أرْسُمٍ * فليس الرُّسوم بمَبْكيَّه ١٠
«خليلَيَّ عُوجا على رسم دارٍ * خلتْ من سُلَيْمَى ومن مَيَّه»

تقطيعه :

فعولن، فعولن، فعولن، فعولن فعولن ، فعولن ، فعولن ، فَعْ

العروض المجزوء المحذوف المعتمد

ضربه مثله ١٥

أأُحرَمُ منكَ الرِّضا * وتذْكرُ ما قد مضَى
وتُعرِضُ عن هائِمٍ * أبَى عنكَ أن يُعرِضا
قضى اللهُ بالحبِّ لى * فصَبراً على ما قضى
رَمَيْتِ فؤادى فما * تركْتِ به مَنْهَضا
فقوْسُــكِ شُرْيانه * ونَبلُكِ جَمرُ الغَضا ٢٠

تقطيعه :

فعولُ ، فعولن ، فعُلْ   فعولُ ، فعولن ، فعلْ

* * *

يجوز فى المتقارب من الزحاف ، القبض ، وهو فيه حسن ؛ ويدخله الخرم
٥ فى الابتداء على حسب ما يدخل الطويل .

[تمت الدوائر]

وقد [1] أكملنا فى هذا الجزء مختصر المثال فى ثلاث وستين مقطعة ، وهى عدد ضروب العروض ، والتزمنا فيها ذكر الزحف والعلل التى يقوم ذكرها فى الجزء الأول الذى اختصرنا فيه فرش العروض ؛ ليكون هذا الكتاب مكتفيا بنفسه
١٠ لمن قد تأدى إليه معرفة الأسباب والأوتاد ومواضعها من الأجزاء الثمانية التى ذكرناها فى مختصر الفرش .

واحتجنا بعد هذا إلى اختلاف الأبيات التى استشهد بها الخليل فى كتابه ، لتكون حجة لمن نظر فى كتابنا هذا ؛ فاجتلبنا جملة الأبيات السالمة والمعتلة ، وما لكل شطر منها :

١٥ ## أبيات الطويل

العروض المقبوض . الضرب السالم

أبا منذر أفنيتَ فاستبق بعضَنا ❊ حنانيك بعضُ الشّر أهون من بعضِ

ضرب مقبوض

ستبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ❊ ويأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ

٢٠ أثلم مكفوف

شاقتك أحداجُ سُليمى بعاقل ❊ فعيناك للبين يجودان بالدمع

(١) هذا الجزء إلى آخره لم نقف عليه إلا فى أصل واحد مما بين أيدينا من أصول العقد ، وفيه تحريف كثير لم نوفق لتحقيقه كاملا .

أثرم

هاجك ربعٌ دارس باللِّوى * لأسماء عفَّى المُزْن والقَطْرُ

محذوف معتمد

وما كلُّ ذى لبٍّ بمؤتيك نُصحَهُ * وما كلُّ مؤتٍ نصحه بلبيبِ

* * *

أقيموا بنى النعمان عنا صدوركم * وإلا تقيموا صاغرين الرءوسا

أبيات المديد

عروض مجزوء : ضرب مجزوء

يالَبكرٍ آنشروا لى كُليباً * يالَبكر أين أين الفرار

ضرب مجزوء : مخبون صدر

ومتى مايَع منك كلاماً * يتكلَّمْ فيُجِبْك بعقـــلِ

مكفوف عجز

لن يزالَ قومُنا مُخصِبين * صالحين مااتَّقَوْا واستقاموا

مشكول عجز

لمن الدِّيارُ غـــيَّرهُنَّ * كلُّ جوْنِ المُزْنِ دانى الرِّباب

مشكول طرفاه

ليت شعرى هل لنا ذات يوم * بجنونٍ فارغٍ من تلاق

العروض المحذوف اللازم الثانى

الضرب المقصور ، اللازم الثانى

لايضرنَّ آمرءًا عيشُـه * كلُّ عيش صائرٌ للزوال

الضرب المحذوف ، اللازم الثانى

اعلموا أنى لكم حافظ * شاهداً ماكنتُ أو غائبا

الضرب الأبتر ، اللازم الثانى

إنما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

العروض المحذوف المخبون

الضرب المحذوف المخبون

٥ للفتى عقلٌ يعيش به * حيث تهدى ساقَه قدمُهْ

الضرب الأبتر

رُبَّ نارٍ بِتُّ أرمُقُها * تقضم الهِندىَّ والغارا

أبيات البسيط

العروض المخبون . الضرب المخبون

١٠ يا حارِ لا أُرْمَيَنْ منكم بداهيةٍ * لم يلقَها سوقة قبلى ولا مِلِك

مخبون

لقد خلَتْ ... صروفها عجبٌ * فأحدثت عبرا وأعقبت دُولا

مطوى

ارتحلوا غدوة وانطلقوا بُكَراً * فى زُمَرٍ منهم تتْبَعُها زُمَرُ

١٥ الضرب المقطوع

اللازم الثانى

قد أشهد الغارةَ الشعواء تحملنى * جرداء معروقة اللَّحيين سُرحوب

* * *

والخير والشر مقرونان فى قَرَن * فالخير مُتّبعٌ والشر محذور

٢٠ العروض المجزوء

الضرب المذال

إنّا زمنا على ما خيّلَتْ * سعد بن زيد وعمرا من تميم

مخبون

قد جاءكم أنكم يوما إذا * فارقتم الموتَ سوف تبعثون

مطـــوى

يا صاح قد أخلفت أسماء ما * كانت تُمَنّيك من حُسن الوصال

الضرب المجزوء ٥

ماذا وقوفى على ربْعٍ خلَا * مُخْلولق دارسٍ مُستعجمِ

مخبون

إنى لمُثْنٍ عليها استمعوا * فيها خصالٌ تعدْ أربعُ

مطـــوى

تلقَ الهوى عن بنى صادق * نفسى فداه وأمى وأبى ١٠

الضرب المقطوع الممنوع من الطىّ

سيروا معا إنما ميعادكم * يومَ الثلاثاء بَطْنُ الوادى

* * *

قلت استجيبى فلما لم تجب * سالت دموعى على ردائى

العروض المقطوع الممنوع من الطى ١٥

ما هيج الشوقَ من أطلالٍ * أضحتْ قفارا كَوَحْى الواحى

أبيات الوافر

العروض المقطوف ، الضرب المقطوف

لنا غنمٌ نُسَوِّقُها غِزارٌ * كأنّ قُرونَ جِلّتها العِصِىُّ

* * *

إذا لم تستطع شيئا فدعه * وجاوِزْه إلى ما تستطيعُ ٢٠

معقـــول

منازلٌ لفرتنى قفارُ * كأنما رسومُها سُطور

أعصب

إذا نزل الشتاء بدار قوم * تجنَّبَ جارَ بيتهمُ الشتاء

٥ أقصم

ما قالوا لنا سيدا ولكن * تفاحَشَ قولهم فأتوا بهُجر

أجمّ

وإنك خير من ركب المطايا * وأكرمهم أباً وأخا ونفسا

العروض المجزوء الممنوع من العقل : ضربه مثله

١٠ لقد علمت ربيعة أنّ حبلك واهنٌ خَلَق

* * *

أهاجك منزلٌ أقوى * وغـيَّرَ آيَهُ الغِـيَر

الضرب المعصوب

عجبتُ لمعشرٍ عدَلوا * بمعتمرٍ أبا عمرو

---

١٥ أبيات الكامل

العروض التام : الضرب التام

وإذا صحوتُ فما أقصِّر عن نَدًى * وكما علمتِ شمائلى وتكرُّمى

المضمر

إنّى آمرؤ من خير عبس منصبى * شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

٢٠ موقوص

يذبُّ عن حريمه بنبله * وسيفه ورُمحه ويحتمى

مخـــزول

منزلة صم صداها وعفا * رسمها إن سئلت لم تجب

الضرب المقطوع ، ممنوع إلا من الإضمار

وإذا دعونك عمهن فإنه * نسب يزيدك عندهن خبالا

٥ * * *

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الأعمـال

الضرب الأحذّ المضمر

لمن الديار برامتين فعاقل * درست وغيّر آيها القَطْرُ

العروض الأحذّ السالم : الضرب الأحذّ المضمر

١٠ لمن الديار عفا معالمها * هطلٌ أجشّ وبارحٌ تَرِبُ

الضرب الأحذ المضمر

ولأنت أشجعُ من أسامة إذْ * دُعيتْ نَزَالِ ولَجّ فى الذعرِ

العروض المجزوء : الضرب المرفَّل

ولقـــد سبقتهمُ إلـــىّ فلِمْ نزعْتَ وأنت آخِر

١٥ المضـــمر

وغررتنى وزعمت أنـــك لابنٌ فى الصيف تامر

موقوص

ذهبوا إلى أجلٍ وكـــل مؤجّلٍ حيٍ كذاهبْ

الضرب المذال

٢٠ جَدَثٌ يكون مقامه * أبدا بمختلف الرياح

مضـــمر

وإذا اغتبطت أو ابتأســـت حمدت ربّ العالمين

موقوص

كتب الشقاء عليهما * فهما له متيسران

مخزول

جاوبت إذ دعاك * مُعالِناً غير مُخاف

الضرب المجزوء

وإذا افتقرت فلا تكن * متخشّعاً وتجمّلِ

مضمر

وإذا الهوى كره الهدى * وأبى التقى فاعْصِ الهوى

موقوص

ولو أنها وزنت شمام * بحلمه شالت له

مخزول

خلطت مرارتها * بحلاوة كالعسل

الضرب المقطوع الممنوع إلا من إضمار

وإذا همُ ذكروا الإسا * ءة أكثروا الحسنات

مضمر

وأبو الحُليس ورَبِّ مكّـة فارغ مشغولُ

أبيات الهزج

العروض المجزوء الممنوع من القبض : ضربه مثله

إلى هند صبا قلبي * وهندٌ مثلها يُصْبِي

مكفوف

فهذان يذودان * وذا من كَثَب يَرمي

مقبوض

فقالت لا تخف شيئاً * فما عندك مِنْ باس

أثرم

أعادوا ما استعاروه * كذاك العيش عاريه

٥ أحزب

ولو كان أبو بشر * أميراً ما رضيناه

أبتر

وفى الذين ماتوا * وفيما جمعوا عِبره

الضرب المحذوف

١٠ وما ظهرى لباغى الضيـ * ـم بالظهـر الذلول

مثله

قتلنا سيّد الخزر * ج سعد بن عباده

أبيات الرجز

العروض التام : الضرب التام

١٥ دار لسلمى إذ سُليمى جارة * قفرٌ ترى آياتها مثلَ الزُبر

مخبون

وطالما وطالما سَقَى * بكفُ خالد وأطعما

مطوى

فأرسل المهر على آثارهم * وهيأ الرمح لطعنٍ فطَعَن

٢٠ مخبول

ما ولدت والدة من ولد * أكرم من عبد مناف حسبا

الضرب المقطوع الممنوع من الطى

القلب منها مستريح سالم * والقلب منى جاهد مجهود

* * *

لا خير فيمن كفّ عنا شرّهُ * إذ كان لا يُرجَى ليومٍ خيرُهُ

٥ العروض المجزوء : الضرب المجزوء

قد هاج قلبي منزل * من أمّ عمرو مقفر

مخبول

مات الفَعال كله * إذ مات عبدُ ربّه

مطوى

١٠ هل يستوى عندك من * تهوى ومن لا تَمقه

مخبول

لامتك بنت مَطَر * ما أنت وابنة مطر

العروض المشطور

الضرب المشطور

١٥ * ما هاج أحزانا وشجواً قد شجا *

* * *

* إنك لا تجنى من الشوك العنب *

مخبون

* قد تعلمون أنى ابن أختكم *

٢٠ مطوى

* ما كان من شيخك إلا عمله *

مخبول

* هلا سألت طللا وخيما *

مطوى العروض المنهوك

ياليتنى فيها جَذَعْ * أخبُّ فيها وأضع

مخبون

* فارقت غير وامق *

مخبول

* يا صاح فيما غضبوا *

أبيات الرمل

العروض المحذوف والجائز فيه الخبن ١٠

الضرب المتمم

مثل سَحْق البُردِ عفّى بعدك الـ * ـقَطرُ مغناه وتأويبُ الشمال

مخبون صدر

وإذا رايةُ مجـــدٍ رُفعت * نهض الصّلتُ إليها فحَواها

مكفوف عجز ١٥

ليس كل من أراد حاجة * ثم جدّ فى طِلَابها قضاها

مشكول عجز

فدعوا أباسعيد عامراً * وعليكم أخاه فاضربوه

مشكول طرفان

إنّ سعداً بطل مُمارسٌ * صابر محتسب لمـا أصابه ٢٠

الضرب المقصور

يا بنى الصيداء ردّوا فرسى * إنمـا يُفعل هذا بالذليلْ

* * *

أحدثْ كسرى وأمسى قيصرٌ * مُغلقاً من دونه بابُ الحديد

الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن

٥ قالت الخنساء لمـا جئتهـا * شاب بعدى رأس هذا واشتهبْ

مخبون

كيف ترجون سقوطى بعدما * لفع الرأسَ مشيبٌ وصَلَع

الضرب المشبع

يا خليلىّ اربعا فاستـ * ـخبرا رسماً بعسفان

١٠ مخبون

واضحات فارسيا * ت وأدم عربيات

الضرب المجزوء

مقفرات دارسات * مثل آيات الزبور

الضرب المشبع

١٥ لان حتى لو مشى الذ * رُّ عليه كاد يدميه

الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن

ما لما قرّت به العيـ * ـنان من هذا ثَمَنْ

مخبون

قلبه عند الثريا * بائن من جسده

أبيات السريع

قد يدرك المبطئ من حظّه * والخير قد يسبق جهد الحريص

العروض المكفوف : المطوى اللازم الثانى

الضرب الموقوف اللازم الثانى

أزمان سلمى لايرى مثلها الـ * ـراءون فى شامٍ ولا فى عراق ٥

مخبول

قالهـا وهو بها عارف * ويحك أمثال طريف قليل

مخبون

أرِدْ من الأمور ما ينبغى * وما تُطيقه وما يستقيم

الضرب المكسوف اللازم الثانى ١٠

لا تكسع الشَّولَ بأغبارها * إنك لا تدرى من الناتج

* * *

هاج الهوى رسم بذات الغضى * مُخلولق مستعجم مُحْـولُ

الضرب الأصلم السالم

قالت ولم تقصد لقيل الخنَا * مهلا فقد أبلغت أسماعى

الضرب المخبون المكسوف ١٥

النشر مسك والوجوه دنا * نير وأطراف الأكف عَنَم

* * *

يأيها الزارى على عمرو * قد قلت فيه غير ما تعلم

العروض المشطور الموقوف الممنوع من الطىّ

يا صاح ما هاجك من ربع خال * ينضحن فى حافاته بالأبوال

مخبون

لا بد منه فاحذرَن وإن قَتَنْ

٥ مشطور

يا صاحبىْ رحلى أقِلا عذلى

مخبون

الضربُ المشطور المكسوف الممنوع من الطىّ

يارب إن أخطأت أو نسيت

* * *

١٠ وبلدة بعيدة النياط

أبيات المنسرح

العروض الممنوع من الخبل : الضرب المطوى

إن ابن زيد مازال مستعملا * للخير يهدى فى مصره العُرفا

* * *

منْ لم يَمُت عبطة يمت هَرما * والموتُ كأسٌ والمرء ذائقُها

١٥ مثاله

إن سميرا أرى عشيرته * قد حدبوا دونه وقد أنفوا

المطوى

منازل عفاهن بذى الأراك * كل وابل مُسـبل هطل

مخبون

فى بلد معروفة سِمّته ٭ قطعه عابر على جمل

مخبول

صبراً بنى عبد الدار

العروض المهوك المكسوف الممنوع من الطى : ضربه مثله ٥

ويل آمّ سعد سعدا

أبيات الخفيف

العروض التام : الضرب التام الجائز فيه التشعيث

حلّ أهلى بطنَ الغُميس فبادوا ٭ لى وحلت عُـلويّة بالسخال

٭ ٭ ٭

ليس من مات فاستراح بميْتٍ ٭ إنمـا الميت ميّتُ الأحياء ١٠

مخبون صدر

وفؤادى كعهده بسليمى ٭ بهوى لم يزل ولم يتغير

مكفوف عجز

وأقل ما يظهر من هوا كا ٭ ونحن نستكثر حين يبدو

مشكول عجز ١٥

إن قومى جحاجحة كرام ٭ متقادم مجدهم أخيار

مشكول طرفان

الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن

إن قدرنا يوما على عامر ٭ نمتثل منه أو ندعه لكم

مخبون

رب خرق من دونها قذف * مابه غير الجن من أحد

العروض المجزوء : الضرب المجزوء

ليت شعرى ماذا ترى * أم عمرو فى أمرنا

٥ مثله

اسلمى أمّ خالد * رُبّ ساعٍ لقاعد

الضرب المقصور المخبون

كل خطب إن لم تكونوا غضبتم يسير

أبيات المضارع

١٠ العروض المجزوء الممنوع من القبض

وإن تَدْنُ منه شبرا * يقربك منه باعا

مقبوض

دعانى إلى سعاد * دواعى هوى سعاد

أخرب

١٥ وقد رأيت مثل الرجال * فما أرى مثل زيد

أشتر

قلنا لهم وقالوا * كل له مقال

أبيات المقتضب

العروض المجزوء المنطوى : الضرب المجزوء المنطوى

٢٠ هل علىّ ويحكما * إن لهوتُ من حَرجِ

مخبون

أعرضت فلاح لها * عارضان كالبرد

أبيات المجتث

العروض المجزوء

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال ٥

الضرب المجزوء

ولو علقت بسلمى * علمت أنْ ستموت

* * *

أولئك خير قومى * إذْ ذكر الخيار

* * *

أنت الذى ولدتك أسماء بنت الحباب

أبيات المتقارب ١٠

العروض التام الجائز فيه الحذف والقصر : الضرب التام

فأما تميم تميم بن مرّ * فألفاهم القوم رَوْبَى نياما

مثله

فلا تعجلَنِّى هداك المليك * فإن لكل مقام مقالا

مقبوض ١٥

أفاد فجاد وساد وزاد * وذاد وعاد وقاد وأفْضَل

أثلم

رمينافصاصاوكان التقاصّ * حقًّا وعدلا على المسلمينا

أثرم

قلت سدادا لمن جاءنى ٭ فأحسنت قولا وأحسنتُ رأيا

مثل الأول

ولولا خداش أخذت دواب سعد ولم أعطه ماعليها

٥ الضرب المقصور

ويأوى إلى نسوة بائسات ٭ وشُعْث مراضيع مثل السّعالى

مثله

على رسم دار قفار وقفتُ ٭ ومن ذِكر عهد الحبيب بكيتُ

مثله مقصور

١٠ الضرب المحذوف المعتمد

وأبنى من الشعر شعرا عويصا ٭ يُنَسّى الرواة الذى قد رَوَوْا

٭ ٭ ٭

سبتنى بخدّ وجيد ونحر ٭ غداة رمتنى بأسهمها

الضرب الأبتر : غير معتمد الاعتماد فى المتقارب

١٥ بإثبات النون فى «فعولن» التى قبل القافية

خليلىّ عُوجا على رسم دار ٭ خلَتْ من سليمى ومن ميّه

مثله

صفية قُومى ولا تعجزى ٭ وبكّى النساء على حمزَهْ

الضرب المحذوف

٢٠ أمن دمنة أقفرت ٭ لسلمى بذات الغضا

المجزوء المعتمد

ورواحك فى النادى ٭ وتعلم ما فى غدِ

علل القوافى

القافية حرف الروىّ الذى يُبنى عليه الشعر ، ولابد من تكريره فيكون فى كل بيت ؛ والحروف التى تلزم حرف الروىّ أربعة : التأسيس ، والردف ، والوصل ، والخروج .

فأما التأسيس فألف يكون بينها وبين حرف الروى حرف متحرك بأى الحركات كان ، وبعض العرب يسميه الدخيل ، وذلك نحو قول الشاعر :

٭ كِلينِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةُ ناصِبِ ٭

فالألف من « ناصب » تأسيس ، والصاد دخيل ، والباء روىّ ، والياء المتولدة من كسرة التاء وصل .

وأما الردف فإنه أحد حروف المدّ واللين ، وهى : الياء ، والواو ، والألف؛ يدخل قبل حرف الروىّ ؛ وحركة ما قبل الردف بالفتح إذا كان الردف ألفا ، وبالضم إذا كان واواً ، وبالكسر إذا كان ياء مكسوراً ما قبلها ؛ وقد تجتمع الياء والواو فى شعر واحد . لأن الضمة والكسرة أختان ، كما قال الشاعر :

أجارَةَ بيْتَيْنا أبوكِ غيورُ ٭ وميْسورُ ما يُرْجى لديْكِ عسيرُ

فجاء بغيور مع عسير ، ولا يجوز مع الألف غيرها ، كما قال الشاعر :

٭ بانَ الخليطُ ولو طوِّعْتُ ما بَانا ٭

وجنس ثالث من الردف ، وهو أن يكون الحرف قبله مفتوحاً ويكون الردف ياء أو واواً ، نحو قول الشاعر :

كنتُ إذا ما جِئْتُهُ من غيْبِ ٭ يشمُّ رأسى ويشُمُّ ثوبى

وأما الوصل فهو إعراب القافية وإطلاقها ؛ ولا تكون القافية مطلقة

إلا بأربعة أحرف : ألف ساكنة مفتوح ما قبلها من الروى ، وياء ساكنة مكسور ما قبلها من الروىّ ، وهاء متحركة أو ساكنة مكنية ولا يكون شيء من حروف المعجم وصلا غير هذه الأربعة الأحرف : الألف ، والواو ، والياء ، والهاء المكنية ، وإنما جاز لهذه أن تكون وصلا ولم يجز لغيرها من حروف المعجم ، ٥ لأن الألف والياء والواو حروف إعراب ليست أصليات وإنما تتولد مع الإعراب وتشبّهت الهاء بهن لأنها زائدة مثلهن ، ووجودها يكون خلفا منهن فى قولهم : أَرَقْتُ الماء ، وهرَقت الماء ؛ وأيا زيد ، وهيا زيد ؛ ونحو قول الشاعر :

قد جُمِعت من أمْكِنٍ وأمكِنَهْ ٭ من هاهُنا وهاهُنا ومن هُنَهْ

وهو يريد : هنا ؛ فجعل الهاء خلفا من الألف .

١٠ وأما الخروج ، فإن هاء الوصل إذا كانت متحركة بالفتح تبعتها ألف ساكنة وإذا كانت متحركة بالكسر تبعتها ياء ساكنة ، وإذا كانت متحركة بالضم تبعتها واو ساكنة ، فهذه الألف والياء والواو يقال لها الخروج ، وإذا كانت هاء الوصل ساكنة لم يكن لها خروج ، نحو قول الشاعر :

٭ ثارَ عَجاجٌ مُستطِيرٌ قَسْطَلُهْ ٭

١٥ وأما الحركات اللوازم للقوافى نخمس ، وهى : الرس ، والحذو ، والتوجيه ، والمجرى ، والنفاذ .

فأما الرس ففتحة الحرف الذى قبل التأسيس .

وأما الحذو ففتحة الحرف الذى قبل الردف أو ضمته أو كسرته .

وأما التوجيه فهو ما وجه الشاعر عليه قافيته من الفتح والضم والكسر : ٢٠ يكون مع الروى المطلق أو المقيد إذا لم يكن فى القافية ردف ولا تأسيس .

وأما المجرى ففتح حرف الروى المطلق أو ضمه أو كسره .

وأما النفاذ فإنه فتحة هاء الوصل أو كسرتها أو ضمتها ؛ ولا تجوز الفتحة مع الكسرة ، ولا الكسرة مع الضمة ؛ ولكن تنفرد كل حركة منها على حالها .

وقد يجتمع في القافية الواحدة : الرس ، والتأسيس ، والدخيل ، والروى ، والمجرى والوصل ، والنفاذ ، والخروج ؛ كما قال الشاعر :

يوشِكُ مَنْ فرّ من مَنِيّتِه * فى بعضِ غِرّاته يُوافِقُها

فحركة الواو الرس ، والألف تأسيس ، والفاء دخيل ، والقاف رويّ ، وحركته المجرى ، والهاء هاء الوصل ، وحركتها النفاذ ، والألف الخروج . ٥

ونحو قول الشاعر :

* عفتِ الدّيار محلّها فمقامُها *

فحركة القاف الحذو ، والألف الردف ، والميم الرويّ : وحركتها المجرى ، والهاء وصل ، وحركتها النفاذ ، والألف الخروج .

وكل هذه الحروف والحركات لازمة للقافية. ١٠

باب مايجوز أن يكون تأسيسا

وما لا يجوز

إذا كان حرف الألف ، ألِف التأسيس ، فى كلمة ، وكان حرف الروى فى كلمة أخرى منفصلة عنها ؛ فليس بحرف تأسيس ؛ لانفصاله من حرف الرويّ وتباعده منه ، لأن بين حرف الروى والتأسيس حرفاً متحركا ، وليس كذلك ١٥ الردف ؛ لأن الردف قريب من الروى ليس بينهما شيء ؛ فهو يجوز أن يكون فى كلمة ويكون الروى فى كلمة أخرى منفصلة منها ، نحو قول الشاعر:

أَتتْهُ الخِلافةُ مُنقادةً * إليه تُجَرِّرُ أذيالَها

فلم تكُ تصلُحُ إلّا له * ولم يكُ يصلُحُ إلّا لها

فألف « إلا » ردف واللام حرف الروى ، وهى فى كلمة منفصلة من الردف ٢٠ فجاز ذلك ، لقرب ما بين الردف والروى ، ولم يجز فى التأسيس لتباعده من الروى، نحو قول الشاعر :

فهُنّ يعكُفْنَ به إذا حَجـــا * عكفَ النَّبيطِ يلعبونَ الفَنزَجَا

فلم يجعلها تأسيساً لتباعدها عن الروى وانفصالها منه ؛ ومثله :

وطالمَا وطالمَا وطالمَا ٭ غَلبْت عاداً وغَلبْت الأعجما

فلم يجعل الألف تأسيساً .

وقد يجوز أن تكون تأسيساً إذا كان حرف الرويّ مضمراً ، كما قال زهير :

٥ ألا ليْت شِعْرى هل يرى الناسُ ما أرى ٭ من الأمر أو يَبدو لهم ما بَدَا ليا

فجعل ألف بدا ليا تأسيساً وهى [فى] كلمة منفصلة من القافية لما كانت القافية فى مضمر ؛ وكذلك قول الشاعر :

وقد يَنْبُت المَرْعى على دِمَنِ الثَّرى ٭ وتبقى حَزازاتُ النُّفوس كما هيَا

وأما «غلامك» و«سلامك» فى قافية فلا تكون الألف إلا تأسيساً ؛ لأن

١٠ الكاف التى هى حرف ، لا تنفصل من «غُلام» .

باب ما يجوز أن يكون حرف رويّ

وما لا يجوز أن يكونه

اعلم أن حروف الوصل كلها لا يجوز أن تكون رويا ، لأنها دخلت على القوافى بعد تمامها ، فهى زوائد عليها ، ولأنها تسقط فى بعض الكلام ؛ فإذا كان

١٥ ما قبل حرف الوصل ساكنا فهو حرف الرويّ ، لأنها لا تكون [وصلا] وقبلها حرف الروى ساكنا ؛ نحو قول الشاعر :

أصبحَتِ الدنيا لأرْبابِها ٭ مَلْهى وأصبحْتُ لها مَلْهَى

كأنى أُحْرَم منها على ٭ قدْرِ الذى نالَ أبى منها

وإذا حُرِّكت ياء الوصل أو واو الوصل ، جاز لها أن تكون رويا ، كما

٢٠ قال زهير :

ألا ليت شِعرى هل يرى الناسُ ما أرى ٭ من الأمر أو يَبْدو لهم ما بدا ليا

وقال عبد الله بن قيس الرّقيّات :

إنّ الحوادثَ بالمدينةِ قد ٭ شيَّبْنَنى وقرَعْن مَرْوَتيَهْ

كذلك الهاء من طلحة وحمزة وما أشبهما ، [يجوز أن تكون وصلا و] أن تكون رويا ؛ [لجواز] أن تُطلق فتعود تاء ؛ فإذا كان ذلك فأنت فيها بالخيار : إن شئت جعلتها رويا ، أو وصلا لما قبلها ؛ وجعلها أبو النجم رويا فقال :

أقولُ إذ جِئْنَ مُرَبَّجاتِ ۞ ما أقرب الموت من الحياةِ

كذلك التاء [من] نحو اقشعرت واستهلّت ، والكاف [من] نحو مالكا وفعالكا ، فقد يجوز أن تكون رويا ، وقد يجوز أن تكون وصلا ؛ وإنما جاز أن تكون رويا ، لأنها أقوى من حرف الوصل ؛ وجاز أن تكون وصلا ، لأنها دخلت على القوافى بعد تمامها ؛ وقد جعلت الخنساء التاء وصلا ولزمت ما قبلها ، فقالت :

أعَيْنَىَّ هلاَّ تبكيان أخاكما ۞ إذا الخيلُ من طُولِ الوجيفِ اقْشَعَرَّتِ

فلزمت الراء فى الشعر كله وجعلت التاء صلة . وقال آخر فجعل التاء رويا :

الحمدُ لله الذى اسْتَقلَّتِ ۞ بإذنِه السَّماء واطمأنَّتِ

وقال حسان فجعل الكاف رويا :

دَعوْا فلجاتِ الشامِ قد حِيل بينها ۞ بطعْنٍ كأفواهِ المخاضِ الأوارِكِ

بأيدى رجالٍ هاجروا نحو ربِّهم ۞ بأسيافِهم حقًّا وأيدى الملائك

وقال :

إذا سَلَكْتْ بالرَّملِ من بطنِ عالجٍ ۞ فقولا لها ليس الطريق هُنالكِ

وهنالك كافها زائدة ، تقول للرجل هنالكَ ، وللمرأة هنالكِ .

وقال غيره :

أبا خالِدا يا خير أهلِ زمانِكا ۞ لقد شغل الأفواهَ حُسْنُ فعالِكا

فجعل الكاف رويًّا ، وقد يجوز أن تكون وصلا ويُلزَم ما قبلها ؛ وكذلك فعالكم وسلامكم : الميم الآخرة حرف الروى ، كما قال الشاعر :

بنو أُميَّةَ قومٌ من عجيبِهم ۞ أنَّ المنُونَ عليهم والمنونُ هُمُ

الميم حرف الروىّ ؛ وقد جعلها بعض الشعراء وصلا مع الهاء والكاف التى قبلها ، لأنهما حرفا إضمار ، كالهاء والكاف ، ولحقت الاسم بعد تمامه كما لحقت الهاء والكاف فى نحو قوله :

زُرْ والدَيْكَ وقِفْ على قبريهما * فكأنى بكَ قد نُقلْت إليهما

٥ ومثله لأمية بن أبى الصلت :

لبَّيْكُما لبَّيْكُما * هاأناذا لديْكُما

وأما النسبة ، مثل ياء قرشى وثقفى وما أشبه ذلك ، إذا كانت خفيفة فأنت فيها بالخيار : إن شئت جعلتها رويا ، وإن شئت وصلا ، نحو قول الشاعر :

١٠ إنى لِمَنْ أنكَرَنى آبن اليثْرِبِى * قتلتُ عِلْباء وهندَ الجملِى

فجعل الياء الخفيفة رويا ؛ وإذا كانت النسبة مثقلة ، مثل قرشى وثقفىّ ، لم تكن إلا رويا .

وإذا قال شعرا على « حصاها » و « رماها » ، لم تكن الهاء إلا حرف الروى ، ومن بنى شعرا على « اهتدى » فجعل الدال رويا ، جاز له أن يجعل مع ذلك « أحمدا » ؛

١٥ وإن جعل الياء من « اهتدى » حرف الروى ، لم يجز معها « أحمدا » وجاز له معها « بشرى ، وحبلى ، وعصا ، وأفعى » ؛ ومن ذلك قول الشاعر :

داينتُ أرْوَى والدُّيونُ تُقْضَى * فطَلَتْ بعضاً وأدّت بعضا

فلزم الضاد من « تقضى » وجعل الياء وصلا ، فشبهها بحرف المد الذى فى القافية . ومثله :

٢٠ ولأنتَ تَفرِى ماخلَقْتَ وبعـــضُ القوْمِ يخلُقُ ثم لا يَفرِى

ومثله :

هجَرَتْك بعد توَاصُل دَعْدُ * وبدا لِدَعْدٍ بعضُ ما يبْدو

و « يرى » مع « يقضى » جائز إذا كان الياء حرف الروى ، لأنها من أصل الكلمة ،

ومما لا يجوز أن يكون رويا ، الحروف المضمرة كلها ؛ لدخولها على القوافى بعد تمامها ، مثل : اضربا ، واضربوا ، واضربى ، لأن ألف « اضربا » لحقت اضرب وواو « اضربوا » لحقت اضرب ، وياء « اضربى » لحقت اضرب — بعد تمامها ، فلذلك كانت وصلا ؛ ولأنها زائدة مع هذا فى نحو قول الشاعر .

لا يُبعِدُ اللهُ جيرانًا تركتُهُم ٭ لم أدرِ بعدَ غَداةِ البَيْنِ ما صَنعُ ٥

يريد : ما صنعوا . ومثله :

يا دارَ عَبْلةَ بالجِواءِ تكلّمى ٭ وعَمِى صباحا دارَ عَبْلةَ واَسلمِ

يريد : واسلمى ، فجعل الياء وصلا ؛ وبعضهم جعلها رويا على قبح .

وأما ياء « غلامى » فهى أضعف من ياء « اسلمى » ؛ لأنها قد تحذف فى بعض المواضع تقول : هذا غلام ، تريد غلامى ، وقالوا : يا غلام أقبل ، فى النداء ، ١٠ واغلاماه ، فحذفوا الياء ؛ وبعضهم يجعلها رويا على ضعفها ، كما قال :

إنى امرؤٌ أحمِى ذِمارَ إخوتى ٭ إذا رأوْا كريهةً يَرمون بى

ومثله :

إذا تغدّيتُ وطابت نفسى ٭ فليس فى الحىّ غلامٌ مِثلى

قال الأخفش : وقد كان الخليل يجيز « إخوانى » مع « أصحابى » ، ويأبى عليه ١٥ العلماء ؛ ويحتج بقول الشاعر :

بازِلُ عامَيْن حديثٌ سِنّى ٭ لمثل هــــذا ولدَتنى أُمّى

وحرف الإضمار إذا كان ساكنا كان ضعيفا ، فإذا تحرّك قوى وجاز أن يكون رويا ؛ كقول الشاعر :

ألا ليت شِعْرى هل يَرى الناسُ ما أرى ٭ منَ الأمرِ أو يَبْـــدو لهم ما بَدا ليا ٢٠

وإنما جاز للكاف أن يكون رويا ولم يجز ذلك للهاء وكلاهما حرف إضمار ، لأن الكاف أقوى عندهم من الهاء وأثبت فى الكلام ، وإذا خاطبت المذكر والمؤنث لا تُبدل صورتها كما تبدل الهاء فى غلامه وغلامها ، وإذا

قلت : مررت بغلامك ، ورأيت غلامك ؛ فالكاف فى حال واحدة ، والهاء مضطربة فى قولك : رأيت غلامه ، ومررت بغلامِه ؛ وإنما جاز فيها أن تكون وصلا أيضاً كما تكون الهاء ، لأنها تشبهت بالهاء ؛ إذ كانت حرف إضمار كالهاء ، ودخلت على الاسم كدخول الهاء ، وكانت اسماً للحرف كما تكون الهاء ؛ وإنما خالفتها بالشيء اليسير ؛ وأما قولك : آرمِه ، وآغزُهُ ، فلا تكون الهاء ههنا رويا ؛ لأنها لحقت الاسم بعد تمامه ، ولأنها زوائد فيه وأنها دخلت لتبين حركة [الزاى] من آغزه والميم من آرمه ؛ وقد تكون تدخل للوقف أيضا .

وإذا كانت الهاء أصلية لم تكن إلا رويا ، مثل قول الشاعر :

قالت أبِنًا لى وإلا أسفَهِ * ما السُّوء إلا غفلةُ المدلَّهِ

ومن بنى شعرا على « حىّ » جاز له فيه « طىّ » و « رمى » ؛ لأنّ الياء الأولى من حىّ ، ليست ردف ، لأنها من حرف مثقل قد ذهب مدُّه ولينه ، قال سيبويه : وإذا قال الشاعر : تعالَىْ ، أو تعالَوا ، لم تكن الياء والواو إلا رويا ؛ لأنّ ما قبلهما انفتح ، فلما صارت الحركة التى قبلهما غير حركتهما ذهبت قوتهما فى المد وأكثريتهما ؛ وكذلك : اخشَى واخشَوا ، وكل ياء أو واو انفتح ما قبلها ؛ وكذلك هذه الياء والواو إذا تحرّكتا لم تكونا إلا حرف روى ، لذهاب اللين والمد وكذلك قوله : رأيت قاضيا ، وراميا ، وأريد أن يغزو ، وتدعو ، فى قافيتين من قصيدة ..

وأمّا الميم من غلامهم وسلامهم ، فقد تكون رويا ، وقد تكون وصلا ويُلزم ما قبلها ؛ كما قال الشاعر :

يا قاتَلَ اللهُ عُصْبةً شَهِدوا * خِيف مِنًى لى ما كان أسرَعهمْ

إن نَزَلوا لم يكن لهم لبثٌ * أو رحَلوا أعجَلوا مودّعَهم

لا غفَـرَ الله للحَجيج إذا * كان حبيبى إذا نأوْا معهم !

فالعين هنا حرف الروىّ ، والهاء والميم صلة ، كحروف الإضمار كلها التى

تقدّم ذكرها ، ولا يحسن أن يكون رويا إلا ما كان منها محركا ؛ لأنّ المتحرك أقوى من الساكن ، وذلك مثل ياء الإضافة التى ذكرنا ، أو ما كان منها حرفا قويا : مثل الكاف والميم والنون ؛ فإنها تكون رويا ساكنة كانت أو متحركة ؛ وذلك مثل قول الشاعر :

قِفِى لا يكن هذا تَعِلّةَ وصْلنا * لِبَيْن ، ولا ذا حظّنا من نَوالِكِ ٥

ثم قال :

أَبَرَّ وأوْفى ذمّــــةً بعهودهِ * إذا وازنتْ شُمُّ الذُّرَى بالحَوارِكِ

وقال آخر :

قل لمن يَملك الملو * كَ وإن كان قد ملكْ

قد شرّيْنــاكَ مرة * وبعثنا إليـــك بِكْ ١٠

وقال آخر فى الهاء :

رمونى وقالوا ياخُويلد لا تُرَعْ * فقلتُ وأنكرتُ الوجوهَ همُ همُ

ولآخر :

نمتْ فى الكرام بنى عامر * فُروعى وأصْلى قريشُ العَجَمْ

فهُم لى فخْـــر إذا عددوا * كما أنا فى الناس فخْـــر لهم ١٥

وقال آخر فى النون :

طَرَحتم من التَّرحال أمراً فعمَّنا * فلو قد رحَلتم صبَّح الموتُ بعضَنا

وقال آخر :

فهل يَمنعُنى آرتيادى البلا * دَ من حذَر الموت أن يأتينْ

أليس أخو الموت مُستوثِقاً * علىَّ فإن قلت قد أنسأن ٢٠

وأمّا الهاء فقد أجمعوا أن لا تكون رويا لضعفها ، إلا أن يكون ما قبلها ساكنا كما قد ذكرنا .

ومن بنى شعراً على « آخشَوْا » جاز له معها « طغَوا ، وبغَوا ، وعصَوا » ،

فتكون الواو رويا لانفتاح ما قبلها وظهورها ، مع القبح ، لأنها مع الضمة صلة ، ولا تكون هذه إلا رويا .

باب عيوب القوافى

السناد ، والإيطاء ، والإقواء ، والإكفاء ، والإجازة ، والتضمين ، والإصراف .

٥ السناد على ثلاثة أوجه : الأول منها اختلاف الحرف الذى قبل الردف بالفتح والكسر نحو قول الشاعر :

ألم تَرَ أنّ تغلِبَ أهلُ عزّ * جبالُ مَعاقِلٍ ما يُرتقَينا

شربنا من دماء بنى تميمٍ * بأطرافِ القَنا حتى رَوِينا

والوجه الثانى اختلاف التوجيه فى الروى المقيد ، وهو اجتماع الفتحة التى

١٠ قبل الروى مع الكسرة والضمة كهيئتها فى الحذو ، وذلك كقوله :

وقاتِمِ الأعْماق خاوِى المُخْتَرَقْ * ألَّفَ شتَّى ليس بالراعى الحمِقْ

ومثله :

تميمُ بن مُرٍّ وأشــياعُه * وكِنْدَة حوْلى جميعاً صُبُرْ

إذا رَكِبوا الخيلَ واستَلأَموا * تحرّقتِ الأرضُ واليومُ قَرّ

١٥ والوجه الثالث من السناد أن يُدخل حرف الردف ثم يدعه ، نحو قول الشاعر :

وبالطوْفِ بالأخيار ما اصطحبابه * وما المرء إلا بالتقلُّب والطَّوْفِ

فِراق حبيبٍ وانتهاء عن الهوى * فلا تَعذلينى قد بَدا لك ما أُخْفِى

وأمّا القافية المطلقة فليس اختلاف التوجه فيها سنادا .

٢٠ وأمّا الإقواء والإكفاء فهما عند بعض العلماء شىء واحد ، وبعضهم يجعل الإقواء فى العروض خاصة دون الضرب ، ويجعلون الإكفاء والإيطاء

فى الضروب دون العروض ؛ فالإقواء عندهم أن ينتقص قوّة العروض فيكون «مفعولن» فى الكامل ، ويكون فى الضرب «متفاعلن» فيزيد العجز على الصدر زيادة قبيحة ، فيقال : أقوَى فى العروض ، أى أذهَب قوّته ، نحو قول الشاعر :

لمّا رأتْ ماء السّلَى مَشْروبًا ✽ والفَرْثَ يُعصَر فى الإناء أرَنَّتِ ٥

ومثله :

أفبَعد مقتل مالك بن زهيْر ✽ ترجو النساء عَواقبَ الأطهار

والخليل يسمى هذا المقعر ، وزعم يونس أنّ الإكفاء عند العراب هو الإقواء ، وبعضهم يجعله تبديل القوافى ، مثل أن يأتى بالعين مع الغين ، لشبههما فى الهجاء ، وبالدال مع الطاء ، لتقارب مخرجيهما ، ويحتج بقول الشاعر ١٠

جاريةٌ من ضَبّة بن أُدّ ✽ كأنها فى دِرْعها المُنْعَطّ ...

والخليل يسمى هذا : الإجازة ، وأبو عمرو يقول : الإقواء : اختلاف إعراب القوافى بالكسر والضم والفتح ؛ وكذلك هو عند يونس وسيبويه ؛ والإجازة عند بعضهم : اجتماع الفتح مع الضم أو الكسر فى القافية ، ولا تجوز الإجازة إلا فيما كان فيه الوصل هاء ساكنة ؛ نحو قول الشاعر : ١٥

الحمـــدُ لله الذى ✽ يَعفو ويشتدّ انتقامُهْ

وربُّنــا ربُّهـــمُ ✽ لا يستطيعون اهتِضامَهْ

ومثله :

فديْتُ من أنْصفَنى فى الهوى ✽ حتى إذا أحكَمَه دَلَّهْ

أينَ ماكنت ومَن ذا الذى ✽ قبلى صَفَا العيشُ له كُلُّهُ ٢٠

والإكفاء : اختلاف القوافى بالكسر والضم عند جميع العلماء بالشعر ، إلا ماذكر يونس .

وأمّا المضمّن ، فهو أن لا تكون القافية مستغنية عن البيت الذى يليها

نحو قول الشاعر :

وهُم وردُوا الجِفارَ على تميمٍ * وهم أصحابُ يومِ عِكاظ أنى
شهِدْتُ لهم مواطِنَ صالحاتٍ * نُنَبِّهم بِوُدّ الصّدْرِ منّى

وهذا قبيح ؛ لأن البيت الأول متعلق بالبيت الثانى لا يستغنى عنه ، وهو
٥ كثير فى الشعر .

وأما الإيطاء وهو أحسن ما يعاب به الشعر ، فهو تكرير القوافى ؛ وكلما تباعد الإيطاء كان أحسن ، وليست المعرفة مع النكرة إيطاء ؛ وكان الخليل يزعم أن كل ما اتفق لفظه من الأسماء والأفعال ، وإن اختلف معناه ، فهو إيطاء ؛ لأن الإيطاء عنده إنما هو ترديد اللفظتين المتفقتين من الجنس الواحد ، إذا قلت
١٠ للرجل تخاطبه : أنت تضرب ، وفى الحكاية عن المرأة : هى تضرب ، فهو إيطاء وكذلك فى قافية : أمرٌ جلَل ، وأنت تريد تعظيمه ، وهو فى قافية أخرى : جلَل ، وأنت تريد تهوينه ـ فهو إيطاء .

... حتى إذا كان اسم مع فعل ، وإن اتفقا فى الظاهر ، فليس بإيطاء ، مثل اسم يزيد ، وهو اسم ويزيد وهو فعل .

١٥ ## باب ما يجوز فى القافية من حروف اللين

اعلم أن القوافى التى يدخلها حروف المد ، وهى حروف اللين ، فهى كل قافية حُذف منها حرفٌ ساكن وحركة ، فتقوم المدة مقام ما حُذف ، وهو من الطويل « فعولن » المحذوف .

ومن المديد « فاعلانْ » المقصور ، و « فعْلن » الأبتر .

٢٠ ومن البسيط « فعْلن » المقطوع « مفعولن » المقطوع ، فأما « مستفعلان » المذال فاختلف فيه ، فأجازه قوم بغير حرف مدّ ؛ لأنه قد تم وزيدَ عليه حرف بعد تمامه ، وألزمه قول المدّ ، لالتقاء الساكنين ، وقالوا : المدة بين الساكنين تقوم مقام الحركة ، وإجازته بغير حرف مدٍ أحسن ، لتمامه .

وأما الوافر فلا يلزم شيء منه حرف مدّ .

وأما الكامل فيدخل منه حرف اللين فى « فعلاتن » المقطوع ، وفى « متفاعلان » المذال .

وأما الهزج فلا يلزمه حرف مدّ .

وأما الرجز فيلزم « مفعولن » منه المقطوع حرفُ المدّ . ٥

وأما الرمل فيلزم « فاعلان » وحدها ، لالتقاء الساكنين .

وأما السريع فيلزم « فاعلان » الموقوف ، لالتقاء الساكنين ، وكذلك « مفعولات » .

وأما المنسرح فيلزم « مفعولات » كما يلزم السريع .

وأما الخفيف فإنه يلزم « فعولن » المقصور وإن كان قد نقص منه حرفان ١٠ وليس فى المد خلفٌ من حرفين ، ولكن لما نقص من أول الجزء حرف ، وهو سين « مستفعلن » قام ما أخلف بالمدة مقام ما نقص من آخر الجزء ، لأنه بعد المدة .

وأما المضارع والمقتضب والمجتث فليس فيها حرف مدٍ ؛ لتمام أواخرها وأما المتقارب فألزموا « فعول » المقصور حرف المد : لالتقاء الساكنين . قال سيبويه : وكل هذه القوافى قد يجوز أن تكون بغير حرف المد لأنّ رويها تام صحيح على ١٥ مثل حاله بحرف المد ، وقد جاء مثل ذلك فى أشعارهم ، ولكنه شاذ قليل ، وأن تكون بحرف المد أحسن ، لكثرته ولزوم الشعراء إياه .

ومما قيل بغير حرف مدّ :

ولقد رحَلتُ العيسَ ثم زجرتُها * قدماً وقلتُ عليكِ خيرَ مَعَدّ

وقال آخر : ٢٠

* إن تَمنَعِ النومَ النّسا يُمنَعْن *

مقطعات على حروف الهجاء وضروب العروض

ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض :

الأول من الطويل : سالم

وأزهرَ كالعُيُوقِ يَسعَى بزهراء * لنا منهُما داءٌ وبُرءٌ من الداء

٥ ألا بأبي صُدْغَ حكى العيْنَ عَطفُهُ * وشاربُ مسْكٍ قد حكى عطفةَ الراء

فما السِّحْرُ ما يُعزَى إلى أرضِ بابلٍ * ولكنْ فتُورُ اللَّحظِ من طرْفِ حوراء

وكفّ أدارتْ مُذهَبَ اللونِ أصفَراً * بمذهبةٍ في راحةِ الكفِّ صفْرا

الضرب الثاني من الطويل : مقبوض

مُعــذِّبتي رفقاً بقلبٍ مُعذبٍ * وإن كان يُرضيكِ العذابُ فعذِّبي

١٠ لعمْري لقد باعدْت غــير مُباعِدٍ * كما أنني قرّبتُ غــيرَ مقرَّبِ

بنفسِيَ بدرٌ أخمــدَ البدْرَ نورُهُ * وشمسٌ متّى تبدُو إلى الشمسِ تغرُبِ

لو انّ امرأَ القيسِ بنِ حُجرٍ بدتْ لهُ * لمــا قال « مُرَّا بي على أمِّ جُنْدُبِ »

الضرب الثالث من الطويل

المحذوف المعتمد

١٥ مُحِبٌّ طَوى كشحاً على الزفراتِ * وإنسانُ عينٍ خاضَ في غَمرات

فيامن بِعينَيهِ سقامي وصحتي * ومَن في يديْهِ ميتَتي وحياتي

بحبِّكَ عاشَرت الهُمومَ صبابةً * كأنِّي لهــا تِربٌ وهُنّ لِداتي

فخدّيَ أرض للدموعِ ومُقلتِي * سماءٌ لهــا تنهلُّ بالعَبرات

الضرب الأول من المديد

وهو السالم

طلَّقَ اللّهوَ فؤادى ثلاثًا * لا ارتجاعَ لى بعدَ الثلاثِ

وبياضٌ فى سوادِ عِذارى * بدّلَ التّشبيبَ لى بالمراثِى

غيرَ أنّى لا أطيقُ اصطبارا * وأرانى صابراً لِاتكاثى ٥

بإناث فى صِفاتِ ذُكورٍ * وذُكورٍ فى صفاتِ إناثِ

الضرب الثانى من المديد

وهو المقصور اللازم اللين

صدَعَتْ قلبِىَ صدْعَ الزُّجاجْ * مالهُ من حِيلة أو علاجْ

مَزَجَتْ روحِىَ ألحاظُها * بالهوى فهْو لروحى مِزاج ١٠

يا قضيباً فوقَ دعصٍ نقا * وكثيباً تحتَ تِمثالِ عاج

أنتَ نورى فى ظلامِ الدُّجى * وسراجى عند فقدِ السِّراج

الضرب الثالث من المديد

وهو المحذوف اللازم اللين

مُستَهامٌ دمعُـه سائحُ * بينَ جنبيْه هوًى قادحُ ١٥

كلما أمَّ سبيلَ الهُدى * عاقهُ السانِحُ والبارِح

حلّ فيما بينَ أعدائِه * وهو عن أحبابِه نازِح

أيُّها القادِح نارَ الهوى * أضلَّها يا أيُّها القادحُ

الضرب الرابع من المديد

وهو المحذوف المقطوع ٢٠

عادَ منها كلّ مطبوخٍ * غيرَ داذِيٍّ ومفضُوخِ

واعْتقِدْ من أهلِ وُدِّ الحِمى * كلَّ وُدٍّ غيرِ مَشْدُوخِ
وانْتَشِقْ رِيّاكَ مِنْ مُلْتَقى * شاربٍ بالمِسْكِ ملطوخِ
إنّ فى العِـــلمِ وآثارِه * ناسخاً من بعدِ منسوخِ

الضرب الخامس من المديد

٥ وهو المحذوف المخبون

ياجمالَ الرُّوحِ فى جسَدى * والذى يَفْـتَرُّ عن بَرَدِ
وفريدَ الحُسنِ واحـدَه * مُنْتَهاه مُنْتهى العـــدَد
خُذْ بكفّى إننى غرِقٌ * فى بحـارِ جَمّـــةِ المدد
ورِياحُ الهجرِ قد هَدَمتْ * ما أقام الوصلُ من أودى

الضرب السادس من المديد

١٠ وهو الأبتر

أذْكرَتْنى طــيرَ تاناذِ * قُرَى الكَرْخِ ببَغداذِ
قهوة ليست ببـارِقةٍ * لا ولا بِتعٍ ولا داذى
مُرّةٌ يَهذِى الحليمُ بها * بأبى ذلك من هاذى
فهى أُستاذ الشرابِ بنا * والمَعانى دَأْبُ أُستاذ ١٥

الضرب الأول من البسيط

وهو المخبون

نورٌ تولّدَ من شمسٍ ومن قمرٍ * فى طرْفه قدَرٌ أمضى من القدر
أصلَى فؤادى بلاذنبٍ جوَى حرَقٍ * لم يبْقِ من مُهجتى شيئاً ولم يذَرِ
٢٠ لا والرّحيقِ المُصفّى من مَراشِفِه * وما بخديهِ من وردٍ ومن طُرَر
ما أنصفَ الحُبُّ قلبى فى حُكومتِه * ولا عفا الشوق عنى عفو مُقتدر

الضرب الثانى من البسيط

وهو المقطوع

خرجْت أجتازُ قفْرا غيْرَ مُجتازِ * فصادنى أشهلُ العينين كالبازِى
صقرٌ على كفّه صقرٌ يؤلّفهُ * ذا فوْق بغل وذاك فوق قفّاز
٥ كم موعدٍ لىَ من ألحاظ مُقْلَتِه * لو أنه موعدٌ يُقْضَى بإنجاز
أبكى ويَضحكُ منّى طرْفُه هُزُواً * نفسى الفِداءُ لِذاك الضاحكِ الهازى

الضرب الثالث من البسيط

وهو المجزوء المذال

يا غصُنًا مائِساً بين الرِّياضْ * مالى بعدَك بالعيش اغْتباط
١٠ يا مَن إذا ما بَدا لى ماشياً * ودِدْتُ أنّ له خدّى بساط
تتركُ عيناه مَن أبصره * مُختلِطاً عقلُه كلّ اختلاط
قلتُ متى نَلتقى يا سيِّدى * قال غدا نلتقى عند الصراط

الضرب الرابع من البسيط

وهو المجزوء السالم

١٥ ياساحرا طرْفُه إذ يَلحَظ * وفاتِناً لفظُه إذ يلفِظ
يا غُصُنا ينثنى من لِينِه * وجهُكَ من كلّ عين يُحفَظ
أيقظَ طرْفى إذا ما قد بَدا * من طرفِه ناعسٌ مُستيقِظ
ظَبْىٌ له وجنةٌ من رِقّة * تجرَحُها مُقلَتى إذ تَلحظ

الضرب الخامس من البسيط

٢٠ وهو المقطوع

يامَن دمى دونَه مَسفوكْ * وكل حُرّ له مملوك

كأنه فِضّــة مَسبوكة * أو ذهبٌ خالصٌ مسبوك

ما أطيبَ العيشَ إلّا أنه * عن عاجلٍ كُلّهُ متروك

والخيرُ مسدودة أبوابُه * ولا طريقٌ له مسلوك

العروض المقطوع:المجزوء

ضربه مثله

٥

إليكِ ياغُرّةَ الهلالِ * وبِدعةَ الحسنِ والجمالِ

مدَدتُ كفًّا بها انقِباضٌ * فأين كَفّي من الهلال

شكوتُ ما بي إليكِ وجْداً * فلم تَرِقّي ولم تُبالى

أعاضكِ اللهُ عن قريبٍ * حالًا منَ السُّقمِ مثلَ حالى

العروض الأول من الوافر:المقطوف

١٠

ضربه مثله

بنفسى مَن مراشفه مُدامٌ * ومَن لحظاتُ مُقلتِه سِهام

ومن هو إن بَدا والبدرُ تِمٌّ * خفى من حُسنِه البدرُ التَّمام

أقولُ له وقد أبدى صُدوداً * فلا لفظٌ إلىّ ولا ابتسام

تكلّمْ ليس يُوجِعُكَ الكلام * ولا يمحو محاسنَك السلام

١٥

العروض الثانى من الوافر مجزوء سالم

ضربه مثله

سلبتَ الرُّوحَ من بدنى * ورُعْتَ القلبَ بالحَزَنِ

فلِى بدنٌ بِلا رُوحٍ * ولى روح بِلا بدنِ

قرَنْتَ مع الرّدَى نفسى * فنفسى وهو فى قرَنِ

٢٠

فليت السحرَ من عينيـ * ـك لم أره ولم يَرُن

العروض الثالث من الوافر: المجزوء المعصوب

غزال من بنى العاصِ ٭ أحسَّ بصوتِ قنّاصِ
فأتلع جِيـــدَهُ ذُعرا ٭ وأشخَص أىّ إشخاصِ
أيا مَن أخلَصت نفسى ٭ هـواهُ كلَّ إخلاصِ
أطاعكَ من صميمِ القلْ ٭ بِ عفوًا كلُّ مُعْتاص ٥

العروض الأول من الكامل: التام

ضربه مثـــله

فى الكِلّة الصفراء ريمٌ أبيضُ ٭ يشفى القلوبَ بمقلتيه ويُمرِضُ
لمّا غدا بين الحمــولِ مُقوِّضاً ٭ كادَ الفؤادُ عن الحياة يُقوِّض
صَد الكَرى عن جَفن عينكَ مُعْرِضاً ٭ لمّا رآهُ يصُـــدُّ عنك ويُعْرِض ١٠
أديتُ من حُبى إليك فريضة ٭ إن كان حُبُّ الخلْقِ مِمّا يُفرَضُ

الضرب الثانى: المقطوع

أومَتْ إليك جُفونُها بوَداعِ ٭ خَودٍ بدتْ لك من وراء قناعِ
بيضاء أنماها النعيمُ بصُفْرةٍ ٭ فكأنها شمسٌ بغيرِ شعاعِ
أما الشبابُ فودّعَتْ أيامُهُ ٭ ووَداعُهن مُوَكَّل بوداع ١٥
لله أيامُ الصِّــبا لو أنّهـا ٭ كرّت علىّ بلَذّةٍ وسماع

الضرب الثالث: الأحذ المضمر

أصغَى إليك بكأسهِ مُضْنِغ ٭ صلْتُ الجبينِ مُعقربُ الصُّدْغ
كأس تُؤلّفُ بالمحبّةِ بيننـا ٭ طوْراً وتنزغ أيّما نزغ

في روضةٍ درجتْ بزهرتِها الصبا * والشمسُ درجٌ من الفرغِ
فاشرب بكف أغنَّ عقربُ صُدْ * غِه للقلبِ منك منيّةُ اللَّدغ

الضرب الرابع: الأحذ الممنوع من الإضمار

العروض الثاني

٥ يا دُمْية نُصِبَتْ لِمُعْتَكِفِ * بل ظبية أوْفتْ على شرفِ
بل دُرّة زهراء ما سَكَنَتْ * بحراً ولا اكتنفتْ وراً صدَفِ
أسرفتِ في قتــــلي بِلا تِرَةٍ * وسمِعتِ قول الله في السَّرَف
إني أتوبُ إليــك مُعْترِفا * إن كنت تقبلُ توْبَ مُعْترِف

الضرب الخامس: الأحذ المضمر

١٠ يا فتنة بُعِثَتْ على الخَلْقِ * ما بينها والموتِ من فرْقِ
شمسٌ بدت لك من مغاربِها * يفترُّ مبسمُها عن البرْقِ
ما كنتُ أحسبُ قبل رؤيتها * للشمسِ مطلعاً سوى الشَّرْقِ
يا من يَضِنّ بفضلِ نائلِهِ * لو في يديه مفاتِح الرِّزْقِ

العروض الثالث، له أربعة ضروب (١)

١٥ ## الضرب السادس: المجزوء المرفل

طلعتْ له والليلُ دامِسْ * شمسٌ تجلّت في حنادِسْ
تختــــالُ في لينِ المجا * سدِ بين حارسة وحارس
يا مَن لَبَهْجَـــةِ وجهِه * يستأسِرُ البطلُ المُمارس

(١) كان حق الترتيب الهجائي أن يكون موضع هذه القطعة والتي تليها، قبل
٢٠ ذلك؛ على أن هنا موضعها من حيث التقسيم العروضي وانظر التعليق ص (٣٢٧)
من هذا الجزء.

لم يبقَ من قِبلِي سِوى * رسْم تغيَّر فهْو دارِسْ

الضرب السابع : المجزوء المذال

دع قولَ واشيةٍ وواشْ * وآجعلْهُما كلَبى هِراشْ
وآشرب مُعتّقةً تسلْسَلُ في العظام وفى المُشاش

الضرب الثامن : المجزوء الصحيح

ألحاظُ عينى تلتَهى * فى روْض وردٍ يَزْدَهى
رتَعتْ بها وتنزَّهتْ * فيها ألذَّ تنزُّهِ
ياأيُّها الخَنِثُ الجفو * نِ بنخوةٍ وتكرُّهِ
والمُكْتَسِى غنجاً أما * تَرْثى لأشعَث أَمْرَهِ

١٠

الضرب التاسع : المجزوء المقطوع بسلامة الثانى

أطفَتْ شرارةَ لهْوِى * ولوَتْ بشدّةِ عذْوِى
شُعَلٌ علَوْنَ مفارِقى * ومضتْ ببهجةِ سرْوِى
لمّا سلكْتُ عَروضها * ذهبَ الزِّحافُ بجُزوى
ياأيها الشّادى صهِ * ليست بساعةِ شدْوِ

١٥

الهزج له عروض واحد وضربان

(الضرب المجزوء الممنوع من القبض)

ألَا يادينَ قلبي للشّ * ـبابِ الغضِّ إذ ولّى
جعلْتُ الغىَّ سِربالى * وكان الرُّشدُ بى أوْلى
بنفسى جائر فى الحُـ * ـكمِ يُلْفى جوْره عدلَا
وليس الشهْدُ فى فيهِ * بأحلى عنده مِن « لا »

٢٠

الضرب الثانى : المحذوف

هنا تَفْنَى قوافى الشِّــعرِ فى هـذا الرَّوِى[1]
قوافٍ أُلبِسَت حلياً * من الْحسنِ البدِىّ
تعالتْ عن جريرٍ بل * زُهَـيْرٍ بل عــدِىّ

تم الجزء السادس

ويليه ـــ إن شاء الله ـــ الجزء السابع

وأوله كتاب الياقوتة الثانية ، فى علم الألحان واختلاف الناس فيه

(١) قلت : وأغفل باقى بحور الشعر ، إذ انتهت قافيته عند الياء ، وليس بعد الياء هجاء . . .

صفحة

صحيفة

١٠٣ كتاب الزمردة